

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى عَلَى نَبِيِّكُمْ وَأَكْبَرَهُ

١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى عَلَى نَبِيِّكُمْ وَأَكْبَرَهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم

كاتب:

سيد جعفر مرتضى حسيني عاملی

نشرت فى الطباعة:

سحرگاهان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٤	الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم المجلد ١٠
١٤	اشاره
١٥	اشاره
٢٠	[اتمه القسم السادس]
٢٠	[اتمه الباب السادس]
٢٠	الفصل الثاني: حدث و تشريع
٢٠	اشاره
٢١	ماذا في هذا الفصل؟!:
٢٢	صلاه الخوف:
٢٤	إننا نسجل هنا ما يلي:
٢٤	الروايه الأقرب إلى القبول:
٢٨	كيفية صلاه الخوف:
٢٨	صلاه الخوف في غزوه الخندق:
٢٩	صلاه الخوف لماذا؟!:
٣٢	قصر الصلاه:
٣٢	١- تاريخ قصر الصلاه:
٣٤	القصر في حالتى الأمن و الخوف:
٣٧	إتمام عثمان للصلاه في منى و عرفات:
٣٨	الصامدون و المترلفون:
٣٩	معاويه و الأمويون، و سنه عثمان:
٤٠	أعذار لا تصح:
٤٤	التقصير رخصه أم عزيمه:
٤٧	نزول آيه التيمم:

- ٥٠ الفصل الثالث: عظات و كرامات أو سياسات إلهيه
- ٥٠ اشاره
- ٥١ ماذا في هذا الفصل؟!
- ٥٣ جمل جابر:
- ٥٧ اختلافات الروايه في مقدار ثمن الجمل:
- ٥٩ الزيادة المباركه:
- ٥٩ تاريخ قصه جمل جابر:
- ٦٠ القيمه الحقيقيه لهذا الحدث:
- ٦٣ كرامه و تكريم:
- ٦٥ مع الحدث في دلالاته و خصوصياته:
- ٦٧ رحمه الله بعباده:
- ٦٨ النبي صلى الله عليه و آله يعالج ابن الأعرابيه:
- ٧٠ كرامه أخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٧١ جمل يستعدى على صاحبه:
- ٧٢ معرفه النبي صلى الله عليه و آله بلغات البشر، و الحيوان و الجماد، و الشجر:
- ٧٤ سؤالان يحتاجان إلى جواب:
- ٧٥ الإجابه و التوضيح:
- ٧٦ هناك معجزات و كرامات في اتجاهات ثلاثه:
- ٧٨ تسخير المخلوقات للإنسان في الآيات القرآنيه:
- ٧٩ الشعور و الإدراك لدى المخلوقات:
- ٨١ نماذج حيه من تسخير الموجودات العاقله:
- ٨٢ قصه سليمان و داود نموذج فذ:
- ٨٣ آيات من سوره النمل:
- ٨٤ مع آيات سوره النمل:
- ٨٥ إعادته توضيح و بيان:
- ٨٦ النقاط على الحروف:

٨٨	الفصل الرابع: بدر الموعد
٨٩	بدايه الحديث عن بدر الموعد:
٩٠	تاريخ غزوه بدر الموعد:
٩٠	الفصل الرابع: بدر الموعد
٩٠	اشاره
٩١	بدايه الحديث عن بدر الموعد:
٩٢	تاريخ غزوه بدر الموعد:
٩٤	النص التاريخى لبدر الصغرى:
١٠٠	آيات سوره آل عمران:
١٠٢	مواقف لا بد من التأكد من صحتها:
١٠٤	الأفراح و الأتراح:
١٠٧	المجتمع المفتوح:
١٠٩	استخلاف ابن أبى على المدينه:
١٠٩	قوه الإسلام:
١١٣	لا بد من الندم:
١١٥	الانتظار ثمانيه أيام:
١١٦	الإتجار فى بدر الموعد:
١١٨	غزوه دومه الجندل:
١١٩	تاريخ هذه الغزوه:
١٢٠	هذه الغزوه:
١٢٣	مده غيبته صلى الله عليه و آله عن المدينه:
١٢٣	رجوع النبى صلى الله عليه و آله قبل بلوغ دومه!!
١٢٤	التوجيه الأقرب:
١٢٨	دومه الجندل حقيقه أم خيال!؟
١٣٠	ذكريات أبى موسى الأشعري فى دومه الجندل:
١٣١	موادعه عينه بن حصن الغادر:

- ١٣٢ حكومة القيم، أم حكومة المشاعر؟!
- ١٣٦ القسم السابع من الخندق إلى الحديبيه
- ١٣٦ اشاره
- ١٣٧ آيات حول غزوه الخندق:
- ١٣٩ تقديم:
- ١٣٩ اشاره
- ١٤٠ موجز عن غزوه الخندق:
- ١٤٥ الباب الأول التحضيرات لغزوه الخندق
- ١٤٥ اشاره
- ١٤٧ الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينة
- ١٤٧ اشاره
- ١٤٩ تمهيد و بيان:
- ١٥٢ تحزيب الأحزاب في روايات المؤرخين:
- ١٥٧ تجمع القوى:
- ١٥٩ الأحزاب إلى المدينة:
- ١٦٠ مناقشات و إيضاحات:
- ١٦١ تاريخ غزوه الخندق:
- ١٧٠ غزوه الخندق في زمن الحصاد:
- ١٧١ هل أخطأ التقييم التطبيقي؟!
- ١٧٢ مشاركة الحارث بن عوف في الخندق:
- ١٧٣ أبو رافع قتل بعد أحد:
- ١٧٤ هل كان أبو الأعور في الخندق؟!
- ١٧٦ توثيق أبي الأعور!!:
- ١٧٩ آيه سوره النساء متى و فيمن نزلت:
- ١٨١ توضيح و تصحيح:
- ١٨٢ تحريض اليهود:

- ١٨٤ الداء الدوى:
- ١٨٤ أهداف الحرب:
- ١٨٧ الأحقاد هي المحرك:
- ١٨٨ يريدون ليطفئوا نور الله سبحانه:
- ١٩٠ الإيمان و الموائيق لا تجدى:
- ١٩٣ تمر خبير:
- ١٩٤ تأثير المال فى تحزيب الأحزاب:
- ١٩٥ الإرهاب الفكرى و الخداع للسذج:
- ١٩٦ الحارث بن عوف ينصح قومه:
- ١٩٧ عقده بدر الموعد:
- ١٩٧ عينه بن حصن و المعانى الإنسانيه:
- ١٩٩ شك المشركين:
- ٢٠١ الفصل الثانى: الخندق فى خطه الحرب و الدفاع
- ٢٠١ اشاره
- ٢٠٣ المفاجأه:
- ٢٠٦ المشوره و التخطيط:
- ٢٠٨ من أخبر النبى صلى الله عليه و آله بمسير الأحزاب!؟
- ٢٠٩ من المشير بحفر الخندق!؟
- ٢١١ وعى سلمان:
- ٢١٢ لو كان الخندق بإشاره سلمان:
- ٢١٤ طريقه استشارته صلى الله عليه و آله أصحابه:
- ٢١٥ الخندق فى إيجابياته الظاهره:
- ٢١٧ بين الأصاله و التجديد:
- ٢١٨ أين كان الخندق و ما هى مواصفاته!؟
- ٢١٨ اشاره
- ٢١٩ ١- موضع الخندق:

- ٢٢٠ - جعل الأبواب للخندق:
- ٢٢١ - خصوصيات و مواصفات أخرى:
- ٢٢٢ - الموقع الجغرافي للخندق:
- ٢٢٤ - تشبيك المدينة بالبنيان:
- ٢٢٥ - مده حفر الخندق:
- ٢٢٧ - زمام المبادرة بيد من؟!
- ٢٢٩ - الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات
- ٢٢٩ - اشاره
- ٢٣١ - شدائد و متاعب:
- ٢٣٢ - حفر الخندق في روايات المؤرخين:
- ٢٣٣ - المساحي و المكاتل:
- ٢٣٣ - تقسيم العمل في الخندق:
- ٢٣٥ - النبي صلى الله عليه و آله يشارك في حفر الخندق:
- ٢٣٨ - على عليه السلام و شيعته أعظم الناس عناء:
- ٢٣٨ - و ثمه تفاصيل أخرى:
- ٢٤١ - عمل المنافقين في الخندق:
- ٢٤١ - اشاره
- ٢٤٢ - ١- توزيع المهام على العاملين:
- ٢٤٤ - ٢- النبي صلى الله عليه و آله و الشعر:
- ٢٤٦ - ٣- دور عضل و القاره:
- ٢٤٧ - ٤- الأمثوله المواساه:
- ٢٤٧ - ٥- المتحذلقون الأغبياء:
- ٢٤٨ - ٦- لا عيش إلا عيش الآخرة:
- ٢٤٨ - ٧- الحماسه و المثابره:
- ٢٤٨ - ٨- الأسوه الحسنه:
- ٢٥١ - منع حسان و كعب بن مالك من الشعر:

- ٢٥٢الكلمه المسؤوله و القرار الحاسم:
- ٢٥٤ زيد بن ثابت:
- ٢٥٥سلمان منا أهل البيت:
- ٢٥٩الصحيح فى القضيه:
- ٢٦٠تقتلك الفئه الباغيه:
- ٢٦٦الفصل الرابع: كرامات فى نطاق السياسه الإلهيه -
- ٢٦٦اشاره
- ٢٦٧مما سبق:
- ٢٦٧الكرامات و المعجزات فى الخندق:
- ٢٦٩نبوءه صادقه للنبي صلى الله عليه و آله:
- ٢٧٠كرامه أخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٢٧١قصور الروم و فارس:
- ٢٧٥نص آخر يخالف ما سبق:
- ٢٧٧القياده الحازمه، و الإنضباط أساس النجاح:
- ٢٧٩مدائن كسرى و قصور الروم و صنعاء:
- ٢٨٠الأمل بالنصر:
- ٢٨١كرم و كرامه:
- ٢٨٤قضيه أخرى فيها كرامه لرسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٢٨٥كرامه أخرى للنبي صلى الله عليه و آله:
- ٢٨٥يطعم الجيش كله حفته من تمر:
- ٢٨٦كرامه أخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٢٨٦بين نظرتين:
- ٢٨٨التزوير الرخيص:
- ٢٨٩الجهد، و الضعف و الجوع:
- ٢٨٩اشاره
- ٢٩٠الأولى: النبي صلى الله عليه و آله وصوم الوصال:

- ٢٩١ الثانية: العزم و الثبات:
- ٢٩٢ الثالثة: الخصاصه و الجوع:
- ٢٩٤ الفصل الخامس: جيش المسلمين و جيش المشركين فى المواجهه
- ٢٩٤ اشاره
- ٢٩٧ الإعداد و الإستعداد:
- ٢٩٩ مقر القيادة:
- ٣٠٠ عرض النبى صلى الله عليه و آله الخارجين إلى الحرب:
- ٣٠١ النساء و الأطفال فى الأظام:
- ٣٠١ الحرس على أبواب الخندق:
- ٣٠٢ تركيبه الحرس مثار تساؤل:
- ٣٠٣ الذرارى و النساء فى الأظام:
- ٣٠٥ عقد الألويه للحرب:
- ٣٠٧ شعار الحرب:
- ٣١٠ عدده و عدد المسلمين:
- ٣١٤ عدد المشركين:
- ٣١٤ عدده جيش الشرك:
- ٣١٨ معنويات جيش الشرك:
- ٣١٩ جيش أهل الإيمان:
- ٣٢٠ الغطرسه القرشيه:
- ٣٢١ رساله تهديد من أبى سفيان:
- ٣٢٤ الفصل السادس: غدر بنى قريظه
- ٣٢٤ اشاره
- ٣٢٥ بنو قريظه ينقضون العهد:
- ٣٢٩ لا بد من التثبت:
- ٣٣٣ النزعه العنصرية لدى اليهود:
- ٣٣٤ وفاء اليهود:

- ٣٣٤ طريقه حياى للتأثير على كعب بن أسد:
- ٣٣٥ دوافع نقض العهد:
- ٣٣٥ جهام بلا ماء:
- ٣٣٦ الشعور بالذنب و الخيانه:
- ٣٣٦ عدہ مبعوثين لمهمه واحده:
- ٣٣٧ طريقه الرمز فى نقل المعلومات الحساسه:
- ٣٣٨ البشائر النبويه بالنصر:
- ٣٣٨ حده سعد بن عبادہ:
- ٣٣٩ أسيد بن حضير:
- ٣٣٩ فضيله مكذوبه للزبير:
- ٣٤٨ من الذى شاتم بنى قريظہ؟!
- ٣٤٩ عمر عرف بأمر بنى قريظہ:
- ٣٥٠ أحلاف عبادہ بن الصامت:
- ٣٥١ عريش جديد لأبى بكر:
- ٣٥٤ الفهارس
- ٣٥٤ اشاره
- ٣٥٥ ١- الفهرس الإجمالى
- ٣٥٧ ٢- الفهرس التفصيلى
- ٣٧٣ تعريف مركز

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴- م.

عنوان و نام پدیدآور : الصحيح من سيره النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم / جعفر مرتضی العاملی

مشخصات نشر : سحر گاهان، ۱۴۱۹ق. = ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری : ج ۱۰

شابک : ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛
۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل) ؛ ۱۳۰۰۰۰ اریال (دوره کامل)

وضعیت فهرست نویسی : فیا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است.

یادداشت : افسست از روی چاپ بیروت: دار السیره

یادداشت : جلد دهم: الفهارس

یادداشت : کتابنامه

موضوع : محمد صلی الله علیه و آله وسلم ، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۴۱ق.

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹ع/۲ ص ۳ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۷-۱۵۹۲۹

ص: ۱

اشاره

ص: ٦

[تمه القسم السادس]

[تمه الباب السادس]

الفصل الثاني: حدث و تشريع

اشاره

ماذا فى هذا الفصل!؟

إننا لاستكمال الحديث عن الأمور المرتبطه بغزوه ذات الرقاع نتحدث فى هذا الفصل عن عدہ أمور بالترتيب التالى:

١- إنهم يقولون: إن صلاه الخوف قد شرعت فى غزوه ذات الرقاع، و صلاها النبى (صلى الله عليه و آله) بأصحابه فيها، و هى أول صلاه خوف فى الإسلام.

و نحن نرى: أن ذلك غير سليم، و أن صلاه الخوف قد شرعت فى الحديبيه، و هى قبل ذات الرقاع.

بل قد يقال: إنها قد شرعت قبل الحديبيه أيضا.

٢- ثم نشير إلى الاختلافات الوارده فى كيفية صلاه الخوف.

٣- و نتحدث أيضا بإجمال عما يقال عن عدم صلاه الخوف فى غزوه الخندق، لأنها لم تكن شرعت آنئذ ..

٤- ثم نعقب ذلك بفلسفه تحليليه لتشريع صلاه الخوف فى حدود ما تسمح به المناسبه.

٥- ثم نتوجه إلى الحديث عن قصر الصلاه، حيث يقال: إن ذلك قد حدث فى غزوه ذات الرقاع أيضا.

٦- ثم نستطرد في الحديث إلى موضوع آخر يرتبط بقصر الصلاة، وهو ما اشترطته الآية للقصر، من كونه في مورد خوف الفتنه، وذلك من أجل بيان المراد من هذا الشرط، ثم المبرر لإدراجه في الآية الشريفة.

٧- ولا ننسى أن نستطرد أيضا إلى موضوع قصر عثمان للصلاه في منى و عرفات في أيام الحج، و ما نشأ عن ذلك و ما انتهى إليه.

و نذكر أيضا: أعذارا و توجيهات لهذا الأمر لا يمكن أن تصح، و لا يصح الاعتماد عليها.

٨- ثم نختم الحديث عن هذا الموضوع بالإشارة إلى أن القصر في السفر رخصه أم عزمه؟ من أجل أن يتضح المقصود من آية القصر، حيث إن الحديث عن القصر فيها إنما هو بصيغته: ليس عليكم جناح أن تقصروا.

٩- و أما الحديث عن أن آية التيمم قد نزلت في غزوه ذات الرقاع أيضا فترجئه إلى الحديث عن غزوه المريسيع بعد الخندق، حيث يتم التعرض له هناك إن شاء الله تعالى ..

هذه خلاصه ما سوف نتحدث عنه في هذا الفصل. و أنت ترى: أنه كله حديث عن تشريعات ادّعى أنها قد حصلت في غزوه ذات الرقاع، ثم استطرادات مفيده في نطاق الحديث عن هذه التشريعات.

و نحن نرجو أن يكون فصلا مفيدا للقارئ و ممتعا له في نفس الوقت ..

فإلى ما يلي من مطالب، و من الله نستمد العون و القوه، و عليه نتوكل ..

صلاه الخوف:

يقال: إن صلاه الخوف قد شرعت في غزوه ذات الرقاع، حيث إنه

(صلى الله عليه وآله) فى هذه الغزوه واجه جمعا من الأعداء (فتقارب الجمعان، و لم يكن بينهما حرب. وقد خاف بعضهم بعضا، من غير أن يغيروا عليهم، فصلى بهم النبى (صلى الله عليه وآله) صلاه الخوف، ثم انصرف بالناس) (١).

و هى أول صلاه خوف فى الإسلام (٢).

و نقول: ه.

١- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٨ و ٢٩ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٧١ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٠ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٠ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٣ و راجع: صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٤ و ٢٥ و راجع: الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٧ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٠ و راجع: طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١ و تفسير البرهان ج ١ ص ٤١١ عن من لا يحضره الفقيه و الثقات ج ١ ص ٢٥٨ و زاد المعاد ج ١ ص ١١٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٤ و راجع: نصب الرايه ج ٢ ص ٢٤٦ و ٢٤٧ و راجع صحيح مسلم (باب صلاه الخوف) ج ٢ ص ٢١٤ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٥٨ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٧ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٢ و ٢١٣ عن أبى داود، و ابن حبان، و الحاكم و صححه و البيهقى، و عن مالك، و الشافعى، و ابن أبى شيبه، و عبد بن حميد، و البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و الدارقطنى.

٢- حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦١ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٧ و الجامع ص ٢٧٩ و راجع المصادر المتقدمه أيضا، فبعضها قد ذكر ذلك و نصب الرايه ج ٢ ص ٢٤٨ و ٢٤٩ عن الواقدي و غيره.

إننا نسجل هنا ما يلي:

١- قولهم: إنها أول صلاة خوف صليت في الإسلام لا تؤيده الروايات على اختلافها؛ فقد ذكروا- وإن كنا قد رددنا ذلك فيما يأتي-: أن صلاة الخوف إنما شرعت في غزوه بنى النضير (١) و هي قبل غزوه ذات الرقاع قطعاً.

٢- و من جهة أخرى ثمة روايات تقول: إن آيات صلاة الخوف قد نزلت في غزوه عسفان، فصلى بهم النبي (صلى الله عليه و آله) صلاة الخوف.

و في روايه الترمذى و ابن جرير: أن جرثيل هو الذى علم النبي (صلى الله عليه و آله) كيف يصليها، و ذلك بين ضجنان، و عسفان. و عسفان كانت بعد الخندق (٢). ١-

١- راجع هذا القول فى: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٥ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٥٩ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٠ و صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٣ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٥ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٢.

٢- الدر المنثور ج ٢ ص ٢١١ و ٢١٣ عن المصادر التاليه: عبد الرزاق، و سعيد بن منصور، و ابن أبى شيبه، و أحمد، و أبى داود، و عبد بن حميد، و النسائى، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و الدار قطنى، و الطبرانى، و الحاكم، و صححه، و البيهقى، و الترمذى، و ابن جرير. و عن البزار عن ابن عباس، و عن أبى عياش الزرقى، و أبى هريره، و مجاهد و فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٧ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧١-

٣- و سأل سليمان الشكري جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاة أى يوم أنزل؟.

فقال جابر بن عبد الله: و غير قریش آتیه من الشام، حتى إذا كنا بنخل ..

ثم ذكر ما جرى، و صلاة النبي (صلى الله عليه و آله) بهم صلاة الخوف، ثم قال: فأنزل الله فى إقصار الصلاة (١).

و لكن قال ياقوت: (إن نخلا موضع بنجد، من أرض غطفان مذکور فى غزاه ذات الرقاع) (٢).

و عن السمهودى، أنه قال: (حتى نزل نخلا، و هى غزوه ذات الرقاع) (٣).

و قال السمهودى أيضا: (و كأن أبا حاتم رأى اتحادهما، فلم يذكر ذات ١).

١- الدر المنثور ج ٢ ص ٢١١ عن عبد بن حميد، و ابن جرير، و جامع البيان و بغية الألمعى (مطبوع مع نصب الراية) ج ٢ ص ٢٤٨ و سنن النسائي ج ٣ ص ١٧٦.

٢- معجم البلدان (ط دار الكتب العلميه) ج ٥ ص ٣٢٠.

٣- بغية الألمعى (مطبوع بهامش نصب الراية) ج ٢ ص ٢٤٨ عن وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٨١.

الرقاع، و هي بنخل عند بعضهم، فلذلك لم يذكرها أيضا (١).

و نقول: إن هذا اشتباه واضح، فإن نخلا إذا كانت بنجد لم يكن ثمة مناسبة بينها و بين غير قريش الآتية من الشام، فالمراد إذن هو النخل التي من جهة الشام دون سواها.

٤- و عن مجاهد أنه قال: بالنسبة لصلاة الخوف في عسفان: (فلم يصل رسول الله (صلى الله عليه و آله) صلاة الخوف قبل يومه، و لا بعده) (٢).

٥- عن جابر قال: غزا رسول الله (صلى الله عليه و آله) ست غزوات قبل صلاة الخوف، و كانت صلاة الخوف في السنة السابعه (٣).

فالقول بأنها في ذات الرقاع، و ذات الرقاع في السنة الرابعه، لا يصح.

الروايه الأقرب إلى القبول:

و المعتمد عندنا في هذا المجال هو: الروايه التي رواها على بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن الإمام الصادق (عليه السلام): (فإنها نزلت لما خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى الحديبيه، يريد مكه، فلما وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد في مائة فارس كميناً يستقبل رسول الله (صلى الله عليه و آله) [فكان يعارض رسول الله] على الجبال.

فلما كان في بعض الطريق، و حضرت صلاة الظهر، فأذن بلال، فصليته.

١- وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٨٠.

٢- الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٤ عن ابن أبي شيبه، و ابن جرير، و راجع جامع البيان ج ٥ ص ١٥٦.

٣- مسند أحمد ج ٣ ص ٣٤٨ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٤ عنه.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالناس.

فقال خالد بن الوليد: لو كنا حملنا عليهم و هم فى الصلاه لأصبناهم، فإنهم لا يقطعون صلاتهم، و لكن تجىء لهم الآن صلاه أخرى هى أحب إليهم من ضياع أبصارهم، فإذا دخلوا فى الصلاه أغرنا عليهم.

فنزله جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بصلاه الخوف فى قوله: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ .. (١).

و لا يعارض ذلك ما رواه ابن بابويه فى الفقيه بسند صحيح إلى عبد الرحمن بن أبى عبد الله: أن النبى (صلى الله عليه وآله) قد صلى بأصحابه صلاه الخوف فى ذات الرقاع؛ فإن هذه الروايه ليس فيها: أن جبرئيل قد نزل بصلاه الخوف آنئذ، و لا أن الآيه قد نزلت أيضا فى غزوه ذات الرقاع.

و إن كان الإمام (عليه السلام) بعد أن ذكر كيفية صلاته (صلى الله عليه وآله) بأصحابه صلاه الخوف، قد أورد الآيه، مظهرا بذلك موافقه فعل النبى (صلى الله عليه وآله) لمضمونها، فراجع (٢).

فتشريع صلاه الخوف قد كان فى الحديبيه التى كانت فى سنه ست ثم صلاها (صلى الله عليه وآله) مره أخرى بأصحابه فى غزوه ذات الرقاع، التى كانت فى السنه السابعه حسبما قدمنا.

١- البرهان فى تفسير القرآن ج ١ ص ٤١١.

٢- البرهان فى تفسير القرآن ج ١ ص ٤١١ و من لا يحضره الفقيه (ط مؤسسه النشر الإسلامى) ج ١ ص ٤٦٠.

كيفية صلاة الخوف:

قد اختلفت رواياتهم في كيفية صلاة الخوف التي صلاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مغازيه، حتى ليقول البعض:

(قد رويت صلاة الخوف على ست عشره صوره كلها سائغ فعله) (١).

وقال آخر: (و وراء ذلك من الكيفيات المتباينات، و الخلافات المتعددهات بحسب اختلاف الروايات، ما يطول ذكره، و يعز حصره) (٢).

و قد أغنانا ذلك عن ذكر التناقضات الكثيره و الاختلافات الفاحشه بين الروايات المختلفه.

و الحل الأمثل: هو الرجوع إلى أهل بيت النبوه، و معدن الرساله، فإنهم هم أحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما، و هم سفينه نوح، من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق و هوى.

و قد ذكروا: أن صلاة الخوف في ذات الرقاع كانت قصرا (٣).

صلاه الخوف في غزوه الخندق:

و قد زعم البعض: أن صلاه الخوف لم تكن شرعت في غزوه الخندق، و إلا- لكان صلاها حينئذ، لأنهم حبسوه عن صلاه الظهرين و العشاءين ١.

١- سيره مغلطای ص ٥٣ و ٥٤ و راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٥٣ و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٤ و راجع: التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٧.

٢- بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٣.

٣- البرهان في تفسير القرآن ج ١ ص ٤١١.

فصلاهن جميعا، و ذلك قبل نزول صلاه الخوف (١).

و نقول:

إن هذا الاستدلال لا يصح: إذ لعل العدو كان في جهه القبله فصلاها المسلمون إيماء أو كان الوضع الحربى لا يسمح بالصلاه جماعه بسبب تلاحم المقاتلين، و المناوشه بينهم، حيث يكفى في هذه الحاله التهليل و التسبيح، و التحميد، و الدعاء، كما حدث في صفين ليله الهيرير (٢).

و سيأتى: عدم صحه ما يذكرون حول هذا الأمر في موضعه إن شاء الله تعالى ..

صلاه الخوف لماذا!؟!!:

و لربما يراود ذهن البعض سؤال: عن السبب فى الإصرار على الصلاه جماعه حتى فى حال الحرب، إذ أن بالإمكان أن يصلى المسلمون فرادى متفرقين، مع الاحتفاظ بمواجهه العدو بالكثيره العدديه فى ساحه القتال. خصوصا مع اتساع الوقت لأداء الصلاه بصوره متواليه من العناصر، بحيث لا يخل ذلك بالحاله التى يتخذونها تجاه العدو بهدف إرهاقه، أو دفع شره.

و للإجابة على هذا السؤال: لا بد لنا من الإشاره إلى أن هذا أمر مقصود لله عزوجل، لأنه يمثل مطلباً أساسياً فى أكثر من اتجاه.

فهو من جهه يمثل إصرار المسلمين على الجهر بمعتقداتهم، و ممارسه ٢.

١- راجع: زاد المعاد ج ٢ ص ١١١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٠ و راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٣٢٧.

٢- البرهان ج ١ ص ٤١١ و ٤١٢.

حقهم بحريه التعبير عنها، و حريه ممارسه شعائرهم الدينيه. رضى الناس ذلك أم أبوا.

كما أنه يمثل إظهارا للالتزام بالقياده المثلى، و الاقتداء بها، و التلاقى عليها و معها لتكون رمز وحده الأمه، من خلال وحده الهدف، ثم وحده الموقف، و انتهاء بوحد المصير.

و من جهه أخرى: فإن هذا المظهر العبادى الوجدوى التنظيمى و وحده الشعار، لا بد أن يثير لدى الأعداء أكثر من سؤال يرتبط بالموقف السياسى و العسكرى، الذى يتخذه ذلك العدو، و يتحرك و يتعامل معهم على أساسه و من خلاله، حتى إذا ما راجع حساباته فى هذا السبيل، فلسوف يجد أنه لم يكن منطقيا، و لا منصفيا فى عدائه لهم، و لا فى مواقفه منهم، التى اتخذها انطلاقا من عدم قناعته بما اقتنعوا به، أو قفل: من عدم قبوله بما هم عليه. فهل عدم اقتناع شخص بأفكار، و معتقدات، و قناعات، شخص آخر، يعطيه الحق فى تدمير ذلك الشخص و استئصاله من الوجود؟! ..

و هل إذا قال هؤلاء: ربنا الله، و ليس الصنم الفلانى، يستحقون أن يواجهوا بالحرب و بالحرمان و بالقطيعه، و بجميع أشكال الاضطهاد و التنكيل؟! ..

إن صلاه الخوف هذه لسوف تقنع هذا العدو بالذات أن ما يحاربهم من أجله، و يصرون هم عليه، إنما يعينهم هم أولا و بالذات، و ليس له هو حق فى اتخاذ أى موقف سلبى منهم لأجل أمر يخصهم و يرجع إليهم، ف لا إكراه فى الدين (١) فإن الدين يقوم على أساس القناعات و على أساسه.

المشاعر، و عقد القلب، و إحساسه بالأمن، و استشعاره الإيمان.

و لا يمكن أن يفرض هذا على أحد، و لا يتحقق الإكراه فيه.

و لا يملك أحد أن يصادر حريه الآخريين فى أن يعتقدوا ما شاؤوا، و لا- يمكنه أن يمنعهم من ممارسه كثير مما يريدون ممارسته.

بل إن هذا يخضع للمنطق و للبرهان و للدليل أولاً، مع إعطاء دور رئيس لتكوّن عامل الثقه، و الصراحه و الصدق و الإنصاف، و الحريه، و غير ذلك مما هو ضرورى فى مجال التحرك الواعى و المسؤول فى مجال الدعوه لتحقيق الاستجابه الحقيقيه و الواعيه و المسؤوله.

فصلاه الخوف شعار، و موقف، و بلاغ، و دعوه، و تصميم، و وحده، و خلوص، و التفاف حول القياده، و تربيته، و تعليم، و تحد، ثم هى حرب نفسيه و سلاح قاطع.

و ليس ثمه رساله أبلغ منها للعدو، ليعرف أن هؤلاء الناس قد بلغوا من إصرارهم على مواقفهم، و تمسكهم بمبادئهم، و فنائهم فيها، حدا يجعلهم يرون قضيتهم، و دينهم و دعوتهم، هى الأهم من كل شىء، و أن حياتهم، و كل شىء يملكونه لا بد أن يكون لها و من أجلها، و فى سبيلها، و هم يمارسون ذلك عملا، و يقدمون على البذل و العطاء فى سبيله، بكل رضا و محبه، و صفاء و سخاء.

و من جهه ثانيه: إن ذلك يؤكد للإنسان المسلم مدى أهميه الصلاه، حتى إنها لا تترك بحال، حتى للغريق المشرف على التلف، و حتى للمقاتل الذى يواجه الأخطار الكبرى على حياته و وجوده ..

و تأتى الصلاه فى هذه الحال بالذات - حال الخوف - لتربط الإنسان

بمصدر الأيمن، و السلام، و الطمأنينه للقلوب، و انسجام المشاعر و تلاقيها، ليعيش الإنسان فى الآفاق الملكوتيه روح الطهر و الخلوص، ليصبح قادرا على التخلص مما يربطه بهذه الدنيا، و يشده إلى الأرض ليخلد إليها، و يحجبه ذلك عن مصدر قدره، و عن الانطلاق فى رحابه، و فى آفاق ملكوته، و معانيه آلائه، و تلمسها، و التصديق بها.

قصر الصلاة:

و قالوا: إن الصلاة قد قصرت فى غزوه ذات الرقاع (١) حيث نزل قوله تعالى: **وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (٢).**

و نقول:

إن الكلام هنا فى عده جهات، نذكر منها ما يلى:

١- تاريخ قصر الصلاة:

إن القول: بأن ذلك كان فى غزوه ذات الرقاع، تقابله الروايه التى تقول: إن ذلك قد كان فى غزوه عسفان.

فقد روى: (عن مجاهد، فى قوله: **فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ**).

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و اكتفى فى السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٨ بالقول: بأن قصر الصلاة كان فى الرابعه.

٢- الآيه ١٠١ من سوره النساء.

الصَّلَاةُ* (١)، قال: أنزلت يوم كان النبي (صلى الله عليه وآله)، والمشركون بضجنان، فتوافقوا فصلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه صلاة الظهر أربعاً، ركوعهم وسجودهم، وقيامهم معاً جمعاً. فهتمّ بهم المشركون أن يغيروا على أمتعتهم، واثقالهم، فأنزل الله: فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ (٢).

فصلى العصر، فصف أصحابه صفين ثم كبر بهم جميعاً، ثم سجد الأولون لسجوده، والآخرون قيام لم يسجدوا حتى قام النبي (صلى الله عليه وآله) ثم كبر بهم وركعوا جميعاً، فتقدم الصف الآخر، واستأخر الصف المتقدم، فتعاقبوا السجود كما فعلوا أول مره، وقصر العصر إلى ركعتين (٣).

و نقول:

إن هذه الرواية صريحة في أن آية قصر الصلاة قد نزلت بعد أو حين تشريع صلاة الخوف، و ثمة روايات أخرى يظهر منها أنهم يتحدثون عن آية القصر و يقصدون منها صلاة الخوف فقط (٤)، و لعل هذا قد نشأ عن كونهما قد نزلتا في زمان واحد.٤.

١- الآيه ١٩٨ من سوره البقره.

٢- الآيه ١٠٢ من سوره النساء.

٣- الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٠ عن عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و جامع البيان ج ٥ ص ١٥٦ و المصنف ج ٢ ص ٥٠٤.

٤- راجع: الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٠ عن عبد الرزاق عن طاووس، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن السدى و المصنف ج ٢ ص ٥١٧ و غيرها و جامع البيان ج ٥ ص ١٥٤.

و قد تقدم: أن صلاة الخوف قد شرعت في الحديبيه، ثم صلاها النبي (صلى الله عليه و آله) في ذات الرقاع، التي كانت بعدها، فمعنى ذلك: أن قصر الصلاة قد شرع في الحديبيه أيضا، أو بعدها و ذلك واضح لا يحتاج إلى بيان.

لكن ثمة روايه تقول: إن نزول الآيه، و تشريع صلاة القصر قد كان قبل نزول آيه صلاة الخوف بسنه؛ فشرع القصر على لسان رسول الله (صلى الله عليه و آله)، حين سأله تجار يضربون في الأرض عن كيفية صلاتهم، فراجع (١).

فيكون تشريع القصر، قبل غزوه الحديبيه بسنه!

القصر في حالتى الأمن و الخوف:

و من الأمور التي تساءل بعض الناس عنها هو: أن آيه القصر إنما تتحدث عن إيجاب القصر بشرط خوف الفتنة من قبل الذين كفروا، مع أن القصر ثابت مع خوف الفتنة و بدونه.

و قد حاول البعض الهروب من هذا الإشكال بدعوى: أن القصر لم يذكر في القرآن أصلا (٢). ٦.

-
- ١- الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٩ و جامع البيان ج ٥ ص ١٥٥ عن علي (عليه السلام)، و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٢٨.
 - ٢- سنن النسائي ج ٣ ص ١١٧ و سنن البيهقي ج ٣ ص ١٣٦ و سنن ابن ماجه ج ١ ص ٣٣٩ و مجمع البيان ج ٥ ص ١٣٦ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٩ و ٢١٠ عنهم و عن عبد بن حميد، و ابن حبان، و ابن أبي حاتم. و الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ٦ ص ٤٤٤ و المستدرک على الصحيحين ج ١ ص ٢٥٨ و الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج ١ ص ١٦٢ و المصنف للنعناعي ج ٢ ص ٥١٨ و مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٦٥ و ٦٦.

و بعض آخر: كعائشه، و سعد بن أبى وقاص، ادعوا: أن الواجب هو القصر فى حال الخوف فقط، أما فى حال الأمن، فكانا يتمان فى السفر (١).

و روى عن عائشه خلاف ذلك أيضا (٢).

و قد يحلو للبعض أن يدعى: أن القرآن قد نسخ بالسنة، حيث إن القرآن نص على القصر فى حاله الخوف، ثم نسخ ذلك بقول النبى (صلى الله عليه و آله)، حيث جعله (صلى الله عليه و آله) فى مطلق السفر (٣).

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه.

و نقول:

إن مجرد كون القرآن قد نص على القصر فى مورد خوف الفتنة، ثم جاء تعميم ذلك إلى مطلق السفر على لسان النبى (صلى الله عليه و آله)، لا يوجب اعتبار ذلك من قبيل نسخ القرآن بالسنة، إذ قد يكون القرآن قد ذكر لهم ما كان محلا لابتلائهم، أو أورد ذلك مورد الغالب؛ فإذا كان القرآن قد ٨.

١- راجع: الدر المنثور ج ٢ ص ١١٠ عن ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و عبد الرزاق، و نصب الرايه ج ٢ ص ١١٨ و ١٨٩ و نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٤٩ و راجع: الجامع الصحيح ج ٢ ص ٤٣٠ و عن عائشه فى المصنف للصنعانى ج ٢ ص ٥١٥ و راجع أيضا: الأم ج ١ ص ١٥٩.

٢- راجع: الأم ج ١ ص ١٥٩ و صحيح مسلم ج ٢ ص ١٤٢ و ١٤٣ و المصنف للصنعانى ج ٢ ص ٥١٥ و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج ٦ ص ٤٤٦ و ٤٤٧ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢١٠ عن بعض من تقدم و عن البخارى، و مالك، و عبد بن حميد، و أحمد، البيهقى فى سننه.

٣- راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨.

بين قسما مما يجب فيه القصر، ثم بينت السنه باقى الموارد، فليس ذلك من قبيل النسخ، بل هو إما من باب إلقاء الخصوصيه، أو من باب التعميم، و التتميم، إذ ليس فيه إلغاء للحكم الثابت بالقرآن.

وقد أشارت الروايات إلى ذلك أيضا، فقد روى: أن يعلى بن أميه قال لعمر بن الخطاب: ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاه إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، وقد أمن الناس.

فقال له عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ذلك؛ فقال: صدقه تصدق الله عليكم، فاقبلوا صدقته (١).

و عن أبى العاليه، قال: (سافرت إلى مكه، فكننت أصلى بين مكه و المدينه ركعتين، فلقينى قراء أهل هذه الناحيه، فقالوا: كيف تصلى؟! ٩).

١- الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٩ عن ابن أبى شيبه، و عبد بن حميد، و أحمد و مسلم و النسائى و أبى داود، و الترمذى، و ابن ماجه، و ابن الجارود، و ابن خزيمه، و الطحاوى، و ابن جرير ج ٥ ص ١٥٤ و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، و النحاس فى ناسخه، و الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان ج ٦ ص ٤٤٨ و ٤٥٠ و نصب الرايه ج ٢ ص ١٩٠ و صحيح مسلم (باب صلاه المسافر)، ج ٢ ص ١٤٣ و سنن أبى داود ج ٢ ص ٣ و سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٧٦ و مسند أحمد ج ١ ص ٢٥ و ٣٦ و سنن النسائى ج ٣ ص ١١٦ و ١١٧ و الجامع الصحيح (كتاب التفسير) ج ٥ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ و سنن البيهقى ج ٣ ص ١٣٤ و ١٤٠ و ١٤١ و سنن الدارمى ج ١ ص ٣٥٤ و مصابيح السنه ج ١ ص ٤٦٠ و شرح معانى الآثار ج ١ ص ٤١٥ و المصنف ج ٢ ص ٥١٧ و الأم ج ١ ص ١٥٩.

قلت: ركعتين.

قالوا: أسنه أو قرآن!؟

قلت: كل ذلك سنه و قرآن. صلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) ركعتين.

قالوا: إنه كان فى حرب.

قلت: قال الله: لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤْسِكُمْ وَ مَقْصِرِينَ لَا تَخَافُونَ (١).

وقال: وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ (٢) فقرأ حتى بلغ: فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ (٣) (٤).

إتمام عثمان للصلاة فى منى و عرفات:

و من الأمور التى طعن بها الصحابه و المسلمون على عثمان بن عفان (٥):

أنه أتم الصلاة بمنى و عرفات، فخالف بذلك رسول الله (صلى الله عليه و آله)، الذى قصر الصلاة فيهما، و كذلك أبو بكر و عمر، و عثمان نفسه عده٤.

١- الآية ٢٧ من سورة الفتح.

٢- الآية ١٩٨ من سورة البقره.

٣- الآية ١٠٣ من سورة النساء.

٤- جامع البيان (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٣٣٠ و الدر المنثور ج ٢ ص ٢٠٩ عنه و الأم ج ١ ص ١٥٩ و نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٤٧.

٥- تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٩ و أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٥٤.

سنوات أيام خلافته (١).

الصامدون و المتزلفون:

و قد كان ابن عمر بعد أن يتم خلف عثمان، يعيد صلاته بعد أن يرجع إلى بيته (٢) أما ابن مسعود الذي اعترض على عثمان، لفعله ذاك، فإنه عاد فصار يصلى أربعاً، بحجه أن الخلاف شر (٣) و كذلك تماماً كان من عبد٤.

١- راجع: صحيح البخارى ج ١ ص ١٢٦ و ١٨٩ و صحيح مسلم ج ٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ١ ص ٣١٤ و الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٠٣ و نصب الرايه ج ٢ ص ١٩٢ و ١٨٧ و سنن النسائي ج ٣ ص ١٢٠ و ١١٨ و مسند أحمد ج ١ ص ٣٧٨ و ج ٢ ص ١٤٨ و المصنف للصنعاني ج ٢ ص ٥١٦ و ٥١٨ و سنن البيهقي ج ٣ ص ١٣٦ و ١٢٦ و ١٤٤ و ١٥٣ و سنن أبي داود ج ٢ ص ١٩٩ و الأم ج ٧ ص ١٧٥ و ج ١ ص ١٥٩ و نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٤٩ و المحلي ج ٤ ص ٢٧٠ و راجع: الجامع الصحيح ج ٢ ص ٢٢٨ و ٢٣٠ و ج ٣ ص ٢٢٩ و كنز العمال ج ٨ ص ١٥١ و ١٥٢ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و سنن الدارمي ج ١ ص ٣٥٤ و ج ٢ ص ٥٥ و ٥٦ و أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٩، و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و الغدير ج ٨ ص ٩٩ فما بعدها.

٢- المحلي ج ٤ ص ٢٧٠ و الموطأ (مطبوع مع تنوير الحوالك) ج ١ ص ١٦٤.

٣- الأم ج ١ ص ١٥٩ و ج ٧ ص ١٧٥ و سنن البيهقي ج ٣ ص ١٤٤ و الغدير ج ٨ ص ١٠٠ عنهم و صحيح البخارى ج ١ ص ١٢٦ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و المصنف ج ٢ ص ٥١٦ و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٤.

الرحمن بن عوف، فإنه ناقش عثمان أولاً، ثم تابعه و عمل بعمله أخيراً (١).

و لكن علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) وحده الذي أصر على الرفض، فقد روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: اعتل عثمان و هو بمنى، فأتى علي، فقليل له: صل بالناس.

فقال: إن شئتم صليت لكم صلاة رسول الله (صلى الله عليه و آله)، يعنى ركعتين.

قالوا: لا، إلا صلاة أمير المؤمنين - يعنى - عثمان - أربعاً. فأبى (٢).

معاويه و الأمويون، و سنه عثمان:

و لكن معاويه حين قدم حاجاً صلى الظهر ركعتين، فجاءه مروان بن الحكم، و عمرو بن عثمان فقالا له: (ما عاب أحد ابن عمك بأقبح مما عبت به).

فقال لهما: و ما ذاك؟!؟

قالا: له: ألم تعلم أنه أتم الصلاة بمكة؟

قال: فقال لهما: ويحكما، و هل كان غير ما صنعت؟ قد صليتهما مع رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و مع أبي بكر، و عمر.

قالا: فإن ابن عمك قد أتمها، و إن خلافتك إياه له عيب..

١- تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٠٢ و أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٩ و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ١٤٠ و الغدير ج ٨ ص ٩٨-١٠٢ عنهم.

٢- المحلى ج ٤ ص ٢٧٠ و حاشيه ابن التركمانى على سنن البيهقى مطبوعه بهامش السنن ج ٣ ص ١٤٤، و الغدير ج ٨ ص ١٠٠.

قال: فخرج معاويه إلى العصر، فصلاها بنا أربعاً (١).

وقال ابن عباس، بعد أن ذكر صلاة عثمان شطراً من خلافته قصراً: (ثم صلاها أربعاً، ثم أخذ بها بنو أمية) (٢).

أعدار لا تصح:

قد ذكروا أعدارا كثيرة للخليفة، ونحن نختار منها نموذجا، ونحيل القارئ في الباقي إلى المصادر فنقول:

١- لقد اعتذر الخليفة نفسه بأنه إنما فعل ذلك لأنه تأهل بمكة لما قدمها (٣).

وقال العسقلاني: (هذا الحديث لا يصح لأنه منقطع، وفي رواه من لا يحتج به، ويرده الخ (٤)).

ويرده أيضا: أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يسافر بزوجاته، ويقصر (٥).ق.

١- مسند أحمد ج ٤ ص ٩٤ و مجمع الزوائد ج ٢ ص ١٥٦ و عن أحمد و الطبراني، و قال: رجال أحمد موثقون.

٢- الغدير ج ٨ ص ١٠١ و كتر العمال ج ٨ ص ١٥٤ عن عبد الرزاق و الدارقطني.

٣- فتح الباري ج ٢ ص ٤٧٠ عن أحمد و البيهقي و مسند أحمد ج ١ ص ٦٢ و أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٩ و مجمع الزوائد ج

٢ ص ١٥٦ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و الكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و زاد

المعاد ج ١ ص ١٢٩ و فيه: أنه كان قد تأهل بمنى، و أحكام القرآن ج ٢ ص ٢٥٤.

٤- فتح الباري ج ٢ ص ٤٧٠.

٥- راجع المصدر السابق.

و قال العلامة الأميني: (ما المسوغ له ذلك، و قد دخل مكة محرما؟

و كيف يشيع المنكر، و يقول: تأهلت بمكة مذ قدمت؟ و لم يكن متمتعا بالعمرة- لأنه لم يكن يبيح ذلك أخذا برأى من حرمتها كما يأتي تفصيله- حتى يقال: إنه تأهل بين الإحرامين، بعد قضاء نسك العمرة، فهو لم يزل كان محرما من مسجد الشجرة، حتى أحل بعد تمام النسك بمنى) ..

إلى أن قال: (و قد صح من طريق عثمان نفسه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) من قوله: (لا ينكح المحرم، و لا ينكح، و لا يخطب) (١).

ثم ذكر (رحمه الله) نصوصا أخرى: حول عدم جواز التزوج حال الإحرام فلتراجع (٢).

هذا بالإضافة: إلى أنه لا معنى للحكم بالإتمام للمسافر إذا تزوج امرأه في بلد ما لأن المرأة هي التابعة للرجل و ليس العكس.

و لو كان حكم عثمان الإتمام لأنه تزوج امرأه هناك، فلماذا يتم سائر الناس الذين يأتمون به؟! و لماذا يصر على (عليه السلام) بالإتمام حينما أراد على الصلاة مكانه؟! و لماذا يصر على معاوية بالعمل بسنة عثمان، ثم يستمر بنو أمية على ٥.

١- ذكر في الغدير ج ٨ ص ١٠٤، المصادر التالية: الموطأ ج ١ ص ٣٢١ و في طبعه أخرى ٢٥٤ و الأم ج ٥ ص ١٦٠ و مسند أحمد ج ١ ص ٥٧ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٨ و ٧٣ و صحيح مسلم ج ١ ص ٩٣٥ و سنن الدارمي ج ٢ ص ٣٨ و سنن أبي داود ج ١ ص ٢٩٠ و سنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٠٦ و سنن النسائي ج ٥ ص ١٩٢ و سنن البيهقي ج ٥ ص ٦٥ و ٦٦.

٢- الغدير ج ٨ ص ١٠٤ و ١٠٥.

ذلك؟!؟

و لماذا يصلى ابن مسعود و عبد الرحمن بن عوف بأصحابه تماما، لأن الخلاف شر؟!؟

و لماذا؟!؟ و لماذا؟!؟..

٢- و ثمة عذر آخر، و هو أنه إنما أتم فى منى و عرفه، لأنه كان له مال بالطائف (١).

و هو اعتذار لا يصح أيضا، لأن وجود ملك أو دار فى مكة فضلا عن الطائف لا يوجب الإتمام. و قد قصر الصحابه الذين حجوا مع رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و لم يأمرهم النبي (صلى الله عليه و آله) بالإتمام، و لا أتموا بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٢).

هذا بالإضافة إلى أن الذين ائتموا به لم يكن كلهم لهم أملاك هناك.

و لماذا يصبر هو على على (عليه السلام)، و يصبر بنو أميه على الإتمام بعد ذلك؟!؟ و لماذا؟!؟ و لماذا؟!؟

٣- و اعتذر أيضا بأنه خاف أن يظن أهل اليمن و الأعراب المقيمون:

أن الصلاة للمقيم ركعتان (٣). ٨.

١- أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٩ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ١٤٠ و سنن أبى داود ج ٢ ص ١٩٩.

٢- الأم ج ١ ص ١٦٥ و سنن البيهقى ج ٣ ص ١٥٣.

٣- راجع: أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٩ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و سنن أبى داود ج ٢ ص ٢٠٠ و سنن البيهقى ج ٣ ص ١٤٤ و نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٦٠ و كنز العمال ج ٨ ص ١٥٢ عن البيهقى و ابن عساكر و الغدير ج ٨ ص ١٠٠ و المصنف ج ٢ ص ٥١٨.

و لكن هذا العذر غير مقبول أيضا، إذ قد كان يمكن تعليم الناس على الحكم الشرعى بأسلوب آخر.

كما أن هذا الفعل قد يوجب أن يظن أهل اليمن، و الأعراب: أن الصلاة فى السفر أربع ركعات.

أضف إلى ذلك: أن رسول الله لم يفكر فى تعليم الناس بهذه الطريقة، مع أنه كان يوجد فى زمنه أعراب، و كان أهل اليمن يحجون فى عهد أسلاف عثمان أيضا.

و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأهل مكة، بعد أن صلى ركعتين: (أتموا الصلاة يا أهل مكة فإننا سفر أو قال: يا أهل البلد صلوا أربعا فإننا سفر) (١).

و روى أن عمر أيضا كان يفعل و يقول ذلك فراجع (٢).

٤- إن منى أصبحت قريه و صار فيها منازل، فتأول عثمان أن القصر إنما هو فى حال السفر (٣). ٩.

١- سنن البيهقى ج ٣ ص ١٣٦ و ١٥٧ و أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٥٤.

٢- سنن البيهقى ج ٣ ص ١٢٦ و المحلى ج ٥ ص ١٨ و الموطأ ج ١ ص ١٦٤ و فتح البارى ج ٢ ص ٤٧٠.

٣- زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩.

معنى هذا: أن عثمان كان لا يعرف حكم القصر، و أنه كان يظن أن القصر إنما يجب في حال المشى في الصحراء فقط، فإذا بلغ المسافر قريه و نزل فيها، فإنه يتم حينئذ، مع أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد قصر في مكة نفسها، و قد كانت مكة بلدا كبيرا و معمورا أكثر من منى و عرفات بمراتب.

٥- إنه أقام بها ثلاثا و المقيم يتم (١).

و هو عذر واه إذ إن النبي (صلى الله عليه و آله) قد أقام في مكة ما يقرب من عشره أيام، و لم يزل يصلى فيها قصرا (٢).

٦- إنه كان قد نوى الإقامة بعد الحج، و الاستيطان بمنى و اتخاذها دار الخلافة ثم بدا له بعد ذلك (٣).

و على حسب نص آخر: أنه قد نوى الإقامة بعد الحج (٤).

و الجواب عن ذلك:

أولا: ما قاله العسقلاني من أن سنده مرسل. (٥) أعذار لا تصح: ص : ٢٦ ثالثا: و لو صح ذلك أيضا، فلماذا يتم سائر الناس؟. ر.

١- زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩.

٢- راجع: الغدير ج ٨ ص ١٠٨ و ١٠٩.

٣- الغدير ج ٨ ص ١٠٩ و زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩.

٤- راجع: فتح الباري ج ٢ ص ٤٧٠ و نيل الأوطار ج ٣ ص ٢٦٠ و زاد المعاد ج ٢ ص ٢٥ و المصنف ج ٢ ص ٥١٦ و سنن أبي

داود ج ٢ ص ١٩٩.

٥- راجع المصادر في الهامش الآنف الذكر.

و لماذا يقتدى به الأمويون؟

و لماذا يصر هو على على (عليه السلام) بالإتمام!؟

و لما ذا كان قصر معاوية عيبا له، و لماذا؟ و لماذا!؟

٧- إن الإمام حيث نزل فهو عمله و محل ولايته، فكأنه وطنه (١).

و الأسئلة الآنفه الذكر آتية هنا. هذا بالإضافة إلى أن النبي (صلى الله عليه و آله) كان إمام الخلائق، فلماذا لم يتم!؟ (٢).

و قد قصر أبو بكر و عمر، و عثمان نفسه شطرا من ولايته.

٨- إن التقصير في السفر رخصه لا عزيمه (٣) كما اعتذر به المحب الطبري.

و نقول:

أولا: إن ذلك لا يصح، بسبب ورود أحاديث كثيرة داله على أن التقصير في السفر حكم إلزامي، و لا يجزى الإتمام عنه، بل لا بد من إعادته الصلاة لو صلى تماما في موضع القصر عمدا (٤).

ثانيا: لو كان ذلك رخصه فلماذا يصر عثمان على الإتمام، حينما طلب من علي أمير المؤمنين أن يصلى بالناس!؟ و لماذا يصر الأمويون بعد ذلك على العمل بسنه عثمان، و ترك سنه رسول الله (صلى الله عليه و آله)؟!.

ثالثا: لماذا يصر عثمان على الإتمام في هذا المورد بالذات، دون سائر ٦.

١- راجع: الغدير ج ٨ ص ١٠٩ و فتح الباري ج ٢ ص ٤٧٠ و زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩.

٢- فتح الباري ج ٢ ص ٤٧٩ و زاد المعاد ج ١ ص ١٢٩.

٣- الرياض النضرة ج ٣ ص ١٠٠.

٤- راجع: الغدير ج ٨ ص ١١٠-١١٦.

و لماذا ينكر عليه الصحابه ذلك، و يعترضون عليه فيه؟!.

و لماذا لم يعتذر هو بهذا العذر لهم بالذات ليسكتهم عنه؟! بل اعتذر عن ذلك بأنه رأى رآه (١).

التقصير رخصه أم عزيمه:

قد تخيل البعض أن القصر في السفر رخصه، و لعل منشأ فهمهم هذا هو أن الآية قد قررت ذلك بعبارته: فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا (٢).

قال العامري:

(ظاهرها يدل على أن رخصته مشروطه بالخوف، و دلت السنه على الترخيص مطلقا ..

إلى أن قال: ثم لا يبعد أن يبيح الله الشىء في كتابه بشرط، ثم يبيحه على لسان نبيه بانحلال ذلك الشرط، الخ (٣).

و قد قال بعض الفقهاء: بأن التقصير رخصه، فراجع (٤).

١- راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ٣ ص ٣٢٢ و الغدير ج ٨ ص ١٠١ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ١٤٠ و

البدايه و النهايه ج ٧ ص ١٥٤ و الكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٠٣ و ١٠٤.

٢- الآية ١٠١ من سوره النساء.

٣- بهجه المحافل ج ١ ص ٢٢٧.

٤- راجع كثر العرفان ج ١ باب صلاه الخوف، و القصر في السفر، و غير ذلك من كتب الفقه.

و لكن هذا التخييل مردود.

أولاً: للأخبار الكثيره الداله على أن التقصير فى السفر عظيمه و ليس رخصه، و كلام الرسول مفسر للقرآن، و مبين لمعناه، و قد ذكر العلامه الأمينى (رحمه الله) طائفه منها (١).

ثانياً: لقد كان من الواضح: أن الكثيرين سوف لن تطيب نفوسهم بترك ركعتين من الصلاه، و يرون فى هذا الأمر تضييعاً للأهداف الإلهيه و تساهلاً فى امتثال أوامره تعالى، فجاء التعبير بلا جناح ليدفع هذا الوهم، و ليطمئنهم إلى أنه لأغضاضه عليهم، لو فعلوا ذلك، و لا نقص و لا حرج فيه.

نزول آيه التيمم:

و قالوا فى هذه الغزوه: نزلت آيه التيمم (٢).

و قيل: بل شرع التيمم فى غزوه بنى المصطلق.

و قيل: فى غزوه أخرى (٣).

و نحن نرجئ الحديث عن ذلك إلى غزوه بنى المصطلق؛ فإلى هناك. ٨.

١- راجع: كتاب الغدير ج ٨.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٥ و ٢٧٨ و شذرات الذهب ج ١ ص ١١.

٣- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٨.

الفصل الثالث: عظمات و كرامات أو سياسات إلهيه

اشاره

ماذا فى هذا الفصل!؟

و هذا الفصل يتعلق ببعض ما يقال: إنه حصل فى ذات الرقاع، و هى الأمور التاليه:

١- إلقاء الأضواء على قضيه شراء النبى «صلى الله عليه و آله» جملا من جابر بن عبد الله الأنصارى، و ذلك فى طريق العوده من هذه الغزوه، و ظهور كرامه للنبى «صلى الله عليه و آله» بالنسبه لاستعادته ذلك الجمل قوته، بعد أن كان فى آخر الركب.

ثم سوغ «صلى الله عليه و آله» جابرا الجمل و ثمنه. بالإضافة إلى حديث جرى بين النبى «صلى الله عليه و آله» و جابر فى طريق العوده إلى المدينه .. ثم إلقاء الأضواء على القيمه الحقيقيه لهذين الحدثين بالمقدار الذى يسمح لنا به المجال.

٢- ثم نتحدث عن قضيه أخرى لجابر مع النبى «صلى الله عليه و آله»، ترتبط بقضاء دين كان على عبد الله والد جابر، و هى قضيه مثيره و قد تحدثنا عن بعض دلالاتها الهامه بصوره موجزه أيضا.

٣- و نذكر أيضا ما قاله النبى «صلى الله عليه و آله» فى هذه الغزوه، حينما جاء رجل بفرخ طائر، فأقبل أحد أبويه حتى طرح نفسه بين يدي

الذى أخذ فرخه، و ألقينا الأضواء على هذه الحادثة حسبما اقتضته المناسبه.

٤- ثم تكلمنا عن قصه أخرى يقال: إنها حدثت فى هذه الغزوه حيث جاءت أعرابه إلى النبى «صلى الله عليه و آله» بآبن لها، ليعالجه، فاستجاب «صلى الله عليه و آله» لطلبها، مع إلماحه إلى بعض دلالات هذه القضييه بصوره موجزه أيضا ..

٥- ثم نشير إلى قصه أخرى فى هذه الغزوه ظهرت فيها كرامه للنبى «صلى الله عليه و آله»، حيث أكل أصحابه من ثلاث بيضات نعام، و شعوا.

و البيض فى القصعه كما هو، مع إشاره موجزه إلى بعض ما يستفاد من هذا الحدث.

٦- و ينتهى بنا المطاف إلى الحديث عن قضيه أخرى يقال: إنها قد حدثت فى هذه الغزوه، و هى قصه ذلك الجمل الذى جاء يستعدى على صاحبه، فبادر النبى «صلى الله عليه و آله» إلى تفريج كربه، و حل مشكلته.

٧- ثم استطرنا إلى الحديث عن الكرامات و المعجزات و عن لزوم معرفه النبى «صلى الله عليه و آله» بلغات البشر، و ظهر لنا: أن ذلك كله و سواه من التصرفات المتميزه و الملفته إنما هى مقتضيات طبيعيه لقيادته «صلى الله عليه و آله»- و كذلك الإمام «عليه السلام»- لمسيره البشريه نحو كمالها المنشود، و نحو تحقيق الأهداف الإلهيه من الخلق كله ..

و قد اقتضى ذلك: أن نشير بصوره موجزه إلى جهات أخرى ترتبط بهذا البحث أو تنتهى إليه؛ فإلى ما يلى من مطالب.

و من الله نستمد العون، و القوه، و هو الهادى إلى سواء السبيل.

جمل جابر:

يقول المؤرخون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» و هو فى طريقه إلى المدينه اشترى من جابر جملا بأوقيه، و اشترط له ظهره إلى المدينه، و استغفر له فى الطريق خمسا و عشرين مره، و فى الترمذى سبعين مره.

زاد ابن سعد: و سأله عن دين أبيه فأخبره به (١).

و تفصيل ذلك:

أن جابرا كان على جمل ثقال فى سفر، فى آخر القوم؛ فمر به النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: من هذا؟!

فقلت: جابر بن عبد الله.

قال: فما لك؟!

قلت: إني على جمل ثقال.

قال: أمعك قضيب؟

قلت: نعم.

قال: أعطني، فضربه، فجره؛ فكان من ذلك المكان من أول القوم.

قال: بعنيه.

قلت: بل هو لك يا رسول الله.

قال: بل بعنيه؛ فقد أخذته بأربعة دنانير، و لك ظهره إلى المدينه.

فلما قدمت المدينه، قال: يا بلال، اقضه و زده.

١- (١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١.

فأعطاه أربعة دنانير و زاده قيراطا.

قال جابر رضى الله عنه: و أعطانى الجمل و سهمى مع القوم (١).

و فى لفظ عن جابر قال: دخل النبى «صلى الله عليه و آله» المسجد، فدخلت إليه، فغلقت الجمل فى ناحيه البلاط، فقلت: يا رسول الله، هذا جملك.

فخرج «صلى الله عليه و آله» فجعل يطوف بالجمل، قال: الثمن و الجمل لك (٢).

و حسب نص آخر قال جابر: «و تحدثت مع رسول الله «صلى الله عليه و آله»، فقال لى: أتيعنى جملك هذا يا جابر؟

قال: قلت: يا رسول الله، بل أهبه لك.

قال: لا، و لكن بعنيه.

قال: قلت: فسمنيه يا رسول الله.

قال: قد أخذته بدرهم.

قال: قلت: لا، إذن تغبننى يا رسول الله.

قال: فبدرهمين.

١- (١) السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و راجع دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٣٧٥ و ٣٧٦ و راجع: الثقات ج ١ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ و راجع السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٨ و أشار الذهبى إلى قصه الجمل فى تاريخ الإسلام. و راجع: نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٠ و ١٦١ و راجع: المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٧ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٦ و لا بأس بمراجعته صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٦.

٢- (٢) السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣.

قال: قلت: لا.

قال: فلم يزل يرفع لى رسول الله «صلى الله عليه و آله» فى ثمنه، حتى بلغ الأوقيه.

قال: قلت: فقد رضيت يا رسول الله؟

قال: نعم.

قلت: فهو لك.

قال: قد أخذته.

ثم قال: يا جابر، هل تزوجت بعد؟(١).

قال: قلت: نعم يا رسول الله.

قال: أثيبا أو بكرًا؟!

قلت: لا، بل ثيبا.

قال: أفلا جاريه تلاعبها و تلاعب؟.

قال: قلت: يا رسول الله، إن أبى أصيب يوم أحد، و ترك بنات له سبعا(٢)؛ فنكحت امرأه جامعته تجمع رؤوسهن، و تقوم عليهن.

١- (١) فى الواقدي ذكر هذه المحادثة بعد قصه شرائه الجمل منه.

٢- (٢) فى الواقدي: تسع بنات. و فى صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٦: و ترك تسع بنات أو سبع و فى شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٨ تسعا أو ستا و جمع بين هاتين الروايتين بأن منهن ثلاث متزوجات، لم يعدهن فى روايه الست و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٨١-٣٨٣ و راجع صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٧ و ١٧٦ و راجع صحيح البخارى ج ٢ ص ٧ و راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٨ و شرحه بهامش نفس الجزء و الصفحه.

قال: أصبت إن شاء الله أما إنا لو قد جئنا صرارا (موضع على ثلاثة أميال من المدينة) أمرنا بجزور؛ فنحرت و أقمنا عليها يومنا ذاك، و سمعت بنا، فنفضت نمارقها(١).

قال: قلت: و الله يا رسول الله ما لنا من نمارق.

قال: إنها ستكون؛ فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا.

قال: فلما جئنا صرارا أمر رسول الله «صلى الله عليه و آله» بجزور فنحرت، و أقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله «صلى الله عليه و آله» دخل و دخلنا.

قال: فحدثت المرأة الحديث، و ما قال لى رسول الله «صلى الله عليه و آله».

قالت: فدونك، فسمع و طاعه.

قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله «صلى الله عليه و آله» قال: ثم جلست فى المسجد قريبا منه.

قال: و خرج رسول الله «صلى الله عليه و آله» فرأى الجمل، فقال: ما هذا؟.

قالوا: يا رسول الله، هذا جمل جابر جاء به.

قال: فأين جابر؟

قال: فدعيت له.

قال: يا بن أخى، خذ برأس جملك فهو لك.

و دعا بلالا، فقال له: اذهب بجابر فأعطه أوقيه.

قال: فذهبت معه، فأعطاني أوقيه، و زادنى شيئا يسيرا.

قال: فوالله ما زال ينمى عندي، و يرى مكانه من بيتنا، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا، يعنى يوم الحره(١).

و فى نص آخر: «ثم قدم رسول الله «صلى الله عليه و آله» قبلى، و قدمت بالغداه؛ فجت المسجد فوجدته على باب المسجد، فقال: الآن حين قدمت؟

قلت: نعم.

قال: فدع جملك، و ادخل فصل ركعتين.

قال: فدخلت فصليت ركعتين الخ ..(٢).

ثم ذكر هبه النبى «صلى الله عليه و آله» الجمل، و ثمنه له.

و فى بعض روايات مسلم عن جابر: أن هذه القضية قد حصلت له، و هم مقبلون من مكه إلى المدينه(٣).

اختلافات الروايه فى مقدار ثمن الجمل:

إن المراجع لنصوص هذه الروايه يجد: أن فيها العديد من موارد الاختلاف و التناقض، خصوصا فيما يرتبط بقيمه جمل جابر.

١- (١) السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢١٧ و ٢١٨ و راجع: المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٩-٤٠١ و نهايه الأرب ج ١٧ ص

١٦١ و ١٦٢ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٦ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٦ و ٨٧.

٢- (٢) دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٨٢ و صحيح مسلم ج ٤ ص ١٧٧ و صحيح البخارى ج ٢ ص ٧ و بهجه المحافل ج ١

ص ٢٣٨ و ٢٣٩.

٣- (٣) بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٧.

فقيل: اشتراه منه بأوقيه (١) و هي أربعة دنانير.

قال الأشخر اليمنى: «و هي أكثر الروايات، كما نقله البخارى عن الشعبي» (٢).

وقيل: بأوقيتين (٣).

وقيل: بثلاث (٤).

وقيل: بأربع (٥).

وقيل: بخمس (٦).

وقيل: بست أواق (٧).

وقيل: بثمان مئة درهم (٨).

وقيل: بخمسه دنانير (٩).

١- (١) راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و الثقات ج ١ ص ٢٥٩ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٢- (٢) شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٣- (٣) راجع: بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٤- (٤) راجع: المصدر السابق.

٥- (٥) السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٦- (٦) راجع: المصادر الثلاثة المتقدمه.

٧- (٧) بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٨- (٨) المصدر السابق.

٩- (٩) السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥.

و قيل: بدینارین و درهمین (١).

و قيل: بعشرین دینارا (٢).

و حملها البعض علی أنها كانت دنانیر صغارا (٣).

و قيل: بأربعة دنانیر، بعد أن أعطاه درهما مماًزحاً له (٤).

و هذا القول الأخير: لا ینافی القول بأنه اشتراه بأوقیه، لأن ذلك فی معنى الأوقیه (٥).

الزیاده المبارکه:

و الروایات تصرح: بأن النبی «صلی اللہ علیہ و آلہ» زاد جابراً علی ثمن جملة.

و تصرح بعض الروایات: بأنه قد زاده قیراطاً.

فقال جابر: «لا- تفارقنی زیاده رسول اللہ «صلی اللہ علیہ و آلہ»؛ فحفظه حتى أصیب منه یوم الحره، ففیه التبرک بأشار الصالحین» (٦).

تاریخ قصه جمل جابر:

قيل: إن قصه جمل جابر قد كانت فی غزوه ذات الرقاع حسبما تقدم.

١- (١) الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥ عن صحيح مسلم.

٢- (٢) السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٤ و بهجه المحافل ج ٢ ص ٢٣٧.

٣- (٣) شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٣٩.

٤- (٤) السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٣ و الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥.

٥- (٥) راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٣٥٥.

٦- (٦) بهجه المحافل ج ١ ص ٢٤٠.

و بعض الروايات تقتصر على القول بأنها كانت فى رجوعه من مكه إلى المدينه(١).

وقيل: كانت فى رجوعه من غزوه تبوك (٢)، وهى متأخره عن غزوه ذات الرقاع.

وقد يناقش فى ذلك: بأن سؤال النبى «صلى الله عليه و آله» له عن كونه قد تزوج أو لا، و اعتذاره لتزوجه ثيبا بأنه قد لاحظ حال أخواته، اللواتى تركهن له أبوه المستشهد فى أحد يدل على أنه إنما تزوج بعد مقتل أبيه فى أحد، و لم يؤخر ذلك إلى غزوه تبوك.

إلا أن يقال: إنه قد يكون تزوج أكثر من مره، و تكون مشكله أخواته موجوده فى المرتين، أو يكون قد تأخر زواجه طيله هذه المده، و إن كان ذلك بعيدا.

القيمه الحقيقيه لهذا الحدث:

و إننا حين نراجع قصه جمل جابر، فإننا نجد فيها:

١- ملامح غنيه من الخلق الرفيع لرسول الله «صلى الله عليه و آله»، لما انطوت عليه من لطف ورقه، و محبه و أريحيه ظاهره، تظهر لنا: أن علاقاته «صلى الله عليه و آله» بأصحابه إنما كانت من منطلق الحب و العطف و الصفاء و الموده، مع إجلال منهم له و إكبار، و تقديس.

٢- إننا نجد الرسول الأكرم «صلى الله عليه و آله» فى هذه القصه - كما

١- (١) السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٧٣ و بهجه المحافظ ج ١ ص ٢٣٧.

٢- (٢) السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٧٣ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١١.

هو فى غيرها- يعيش آلام الآخرين، و يشاركهم الشعور بها. و قد كان والد جابر بن عبد الله قد استشهد فى حرب أحد، و أصبح جابر هو المسؤول عن الأسره بعد أبيه، و كان عليه أن يختار للزواج امرأه تستوعب و تفهم الواقع الذى استجد نتيجة لذلك، و تشاركه فى معالجته بأحسن وجه و أتمه.

و قد ظهرت رقه حال جابر، من الجبهه الماليه و المعيشيه، فى أن الجمل الذى أعده لهذه الأسفار البعيده و الشاقه كان من الضعف بحيث أصبح فى آخر الركب.

و لم يكن الرسول «صلى الله عليه و آله» بالذى يغفل عن تفقد حال أصحابه، و الوقوف عليها عن كذب ليشاركهم حياتهم حلوها و مرها.

و ها هو يجد جابرا على جملة الضعيف المكدود فى آخر الركب.

٣- إن من الملاحظ: أن الرسول «صلى الله عليه و آله» كان يسير مع الناس، و فى أواخرهم أحيانا، فيعرف حال أصحابه فى مسيرهم ذاك بصورة أتم و أوفى. و لم يكن ليقصر على حمله الأخبار إليه «صلى الله عليه و آله»، فكان يندفع للتعرف على الأمور بنفسه، و من دون أى وسائط، ربما تؤثر التوجهات السياسيه و الارتباطات الاجتماعيه و غيرها على مستوى دقتهم، و استيعابهم لسائر الخصوصيات التى يكون الوقوف عليها مفيدا بل و ضروريا فى كثير من الأحيان.

هذا كله: لو فرض أن هؤلاء النقلة على درجه من الحيطه الدينيه و الورع و الصفاء، و الوفاء. و قد لا- يكون الكثيرون منهم كذلك بالفعل.

٤- قد لا حظنا: أن النبى الأكرم «صلى الله عليه و آله» قد دخل مع جابر- بأسلوب رضى و سليم- إلى حياته الخاصه، بل و إلى أعماقها، فعرف

السر الذى لأجله أقدم جابر على التزوج بامرأه ثيب.

و عرف ما يعانى منه جابر من ضغط الظروف، و ما يتحمله من مسؤوليه نجمت عن فقد أبيه و وجود أخواته السبع.

ثم عرف أيضا: أن جابرا لا يملك شيئا من النمارق، أو غيرها مما يتنعم به المتنعمون.

ثم إنه «صلى الله عليه و آله» لم يترك توصيه جابر بأن يعمل عملا كيسا، يتسم بالعقلانيه و التدبير.

كما أنه قد أفسح فى آماله و طموحاته حينما أخبره: أن حالته لسوف تتغير، و تتحسن من الناحيه المعيشيه، و لسوف يملك حتى النمارق فى المستقبل، و ما عليه من أجل الحصول على ذلك، و الوصول إليه إلا أن يعمل عملا كيسا.

٥- إن عرض النبى «صلى الله عليه و آله» على جابر شراء بعيه بطريقه فيها نوع من المداعبه له، ليفتح قلبه، و ليستقط حواجز الرهبه لديه، إنما أراد أن يجعل منه ذريعه لإيصال مال إليه، يستعين به على مصاعب الحياه، و على إحداث تغيير أساسى فيها، و لكن بطريقه لا تبقى مجالا للتساؤل و لا للاعتراض من أحد، بخلاف ما لو بادر إلى تقديم هذا المال إلى جابر دون مبرر ظاهر.

٦- و لا نريد أن نترك الحديث عن هذه القضيه دون الإلماح إلى أن ذلك يعطينا درسا دقيقا و رائعا عن طبيعه العلاقات التى تربط بين القائد و الرعيه؛ فهى ليست علاقات السيد و المسود، و الأمير و المأمور، أو القوى و الضعيف أو ما إلى ذلك.

و إنما هى علاقات الإنسان بالإنسان من خلال الإحساس بالمسؤوليه

و الواجب الإلهي و الإنساني.

و نزيد ذلك توضيحا حين نقول: إن سلوكك النبي «صلى الله عليه و آله» هذا من جهه ذاته ليس تواضعا منه و لا هو إحسان و تفضل فقط، و إنما هو مقتضى إنسانيته الكامله و هو عمل بواجبه الإلهي، و الإنساني، و إن كان من جهه قياسه بما هو خارج عن مقام ذاته يعد من التواضع و الإحسان و التفضل فى أعلى درجاتها، و أوضح تجلياتها.

وفقنا الله للسير على هدى النبوه، و التأسى برسوله الأكرم الأعظم «صلى الله عليه و آله».

كرامه و تكريم:

قال الواقدي: و حدثني إسماعيل بن عطيه بن عبد الله بن أنيس، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال:

لما انصرفنا راجعين (١)؛ فكنا بالشَّقره، قال لى رسول الله «صلى الله عليه و آله»: يا جابر ما فعل دين أبيك؟!

فقلت: عليه، انتظرت يا رسول الله أن يجدَّ نخله.

قال رسول الله «صلى الله عليه و آله»: إذا جذذت فأحضرني.

قال: قلت: نعم.

ثم قال: من صاحب دين أبيك؟

فقلت: أبو الشحم اليهودى له على أبى سقه (جمع وسق) تمر.

فقال لى رسول الله «صلى الله عليه و آله»: فمتى تجزدها؟

قلت: غدا.

قال: يا جابر، فإذا جذذتها فاعزل العجوه على حدتها، و ألوان التمر على حدتها.

قال: ففعلت، فجعلت الصيحاني على حده، و أمهات الجرادين على حده، و العجوه على حده، ثم عمدت إلى جماع من التمر، مثل نخبه، و قرن، و شقحه، و غيرها من الأنواع، و هو أقل التمر، و جعلته جبلا واحدا، ثم جئت رسول الله «صلى الله عليه و آله» فخبرته، فانطلق رسول الله «صلى الله عليه و آله» و معه عليه أصحابه، فدخلوا الحائط و حضر أبو الشحم.

قال: فلما نظر رسول الله «صلى الله عليه و آله» إلى التمر مصنفا، قال:

اللهم بارك له.

ثم انتهى إلى العجوه؛ فمسها بيده و أصناف التمر، ثم جلس وسطها، ثم قال: ادع غريمك. فجاء أبو الشحم.

فقال: اكتل.

فاكتال حقه كله من جبل واحد و هو العجوه، و بقيه التمر كما هو.

ثم قال: يا جابر، هل بقى على أبيك شىء؟

قال: قلت: لا.

قال: و بقى سائر التمر؛ فأكلنا منه دهرا، و بعنا، حتى أدركت الثمره من قابل، و لقد كنت أقول: لو بعت أصلها ما بلغت ما كان على أبى من الدين الخ..(١).

مع الحدث فى دلالاته و خصوصياته:

و فى وقفه قصيره مع هذا الحدث نلمح باختصار شديد إلى النقاط التاليه:

١- إن رسول الله «صلى الله عليه و آله» لا ينسى أولئك الصفوه الأبرار، الذين استشهدوا فى سبيل الله سبحانه، فىسعى لحل العقد و المشكلات التى ربما تكون لا تزال عالقه، و بحاجه إلى حل.

فها هو يريد إبراء ذمهم من حقوق الناس و ديونهم ما وجد إلى ذلك سبيلا، لكى تطيب سمعتهم و يذكرهم الناس بالإجلال و الإكبار، و من دون أى حرازه، أو غضاظه.

ثم لتطيب نفوس أبنائهم، و أقاربهم، و يزول شعورهم بالحرج أمام الناس و فى أنفسهم، حتى يواجهوا انفراجا فى حالتهم المعيشيه، التى تتسم بشىء من الضيق و الصعوبه.

٢- رغم أن ذلك الدائن لعبد الله والد جابر كان رجلا من اليهود، إلا أننا لم نجد ترددا من النبى «صلى الله عليه و آله» فى أمر إرجاع المال إليه، و لا أخذ بنظر الاعتبار مواقف اليهود الحاقده على الإسلام و على المسلمين، و مؤامراتهم و كيدهم، و التى كان و لا يزال هو و المسلمون يعانون منها.

و قد يكون من أسباب ذلك- بالإضافة إلى أن هذا هو حكم الإسلام، و هذه هى أخلاقياته، حتى مع أعدى أعدائه، و هو ينطلق فى ذلك مما يملكه من قيم و مبادئ إنسانيه و إلهيه ساميه و مقدسه- هو:

أنه يريد بذلك أن يقيم حركه التعامل فيما بين الناس على أسس و ضوابط ثابتة، يمكن للناس أن يعتمدوا عليها، و يرجعوا إليها و أن يطمئنوا إلى هذا الثبات فيها ليتمكنهم التحرك الفاعل و المؤثر بالفعل،

و التخطيط لبناء الحياه فى المستقبل. إذ بدون هذا الثبات، و من دون وضوح ضوابط التعامل، فإن الحياه تصبح قلقه، و غير مشجعه على القيام بمبادرات ذات طابع حيوى و شمولى.

٣- إن والد جابر قد استشهد فى حرب أحد، و كانت هذه القضيه قد جرت حين رجوع النبى «صلى الله عليه و آله» من غزوه ذات الرقاع التى كانت بعد الحديبيه، حسبما أثبتناه فيما سبق.

و معنى ذلك هو: أنه قد مضت عده سنوات، و لم يستطع جابر أن يقضى دين أبيه، و لعله قد قضى شطرا من ذلك الدين فى السنوات و المواسم السابقه.

نعم، تمضى عده سنوات، و لا ينسى النبى «صلى الله عليه و آله» ذلك الدين، الذى لم يستطع جابر أن يتخلص منه، و لم تسنح الفرصه بعد لرسول الله «صلى الله عليه و آله» أيضا للمبادره إلى ذلك!

٤- إن النبى «صلى الله عليه و آله» قد قبل أن يكون وفاء دين عبد الله من نفس النخلات التى كانت له، و لم يبادر إلى تقديم أيه ضمانه فى أن يتم وفاؤها من بيت مال المسلمين. إذ إن عبد الله كان قد استفاد من ذلك المال، ولديه ما يمكن الاعتماد عليه فى وفاء ذلك الدين. و استشهاده لا ينقل هذا الحق عن ماله ليصبح حقا على بيت مال المسلمين.

٥- إن طريقه وفاء دين عبد الله قد أخذت صفه الكرامه الإلهيه من الله لرسوله «صلى الله عليه و آله»، حينما ظهرت البركه فى التمر، حتى ليقول جابر، بعد أن استوفى ذلك اليهودى حقه من خصوص العجوه التى هى أفضل أنواع التمر:

«و بقى سائر التمر؛ فأكلنا منه دهرًا و بعنا، حتى أدركت الثمره من قابل، و لقد كنت أقول: لو بعت أصلها ما بلغت ما كان على أبى من الدين».

٦- و نلفت النظر هنا إلى أن طريقه تعامل النبي «صلى الله عليه و آله» مع هذه القضية تشير إلى أنه «صلى الله عليه و آله» كان يخطط لإظهار هذا الأمر، بطريقه تجسيد الواقع. حيث نجد أنه «صلى الله عليه و آله» قد خطط ليكون الحدث فى البستان نفسه، و لم يقنع بأن يثرى بالثمره إلى البيت.

ثم هو يأمره بتقسيم التمر كل قسم على حده.

ثم هو يلمس العجوه بيده الشريفه، و كذا سائر الأنواع.

ثم يجلس فى وسط التمر ..

بالاضافه إلى: أنه لا يأتى وحده، بل يأتى و معه عليه أصحابه، و ليس خصوص الأشخاص العاديين منهم. ثم يشهد الجميع هذا التكريم لجابر، و يشهدون هذه الكرامه الإلهيه التى أظهرها الله على يد رسوله «صلى الله عليه و آله».

إلى غير ذلك من دروس و عبر يمكن استفادتها من هذا الحدث. فصلى الله على رسوله و على الأئمه الميامين من آله و سلم تسليمًا كثيرًا.

رحمه الله بعباده:

و فى هذه الغزوه أيضا جاء رجل بفرخ طائر فأقبل أحد أبويه حتى طرح نفسه بين يدي الذى أخذ فرخه، فعجب الناس من ذلك.

فقال «صلى الله عليه و آله»: أتعجبون من هذا الطائر؟ أخذتم فرخه،

فطرح نفسه رحمه لفرخه. و الله، لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه (١).

و ما يلفت في هذه الروايه- على تقدير صحتها، و لا نرى داعيا للوضع فيها- هو أننا نجد «صلى الله عليه و آله» يستفيد حتى من مناسبه كهذه ليقوم بدوره في تعريف أصحابه على أمر يلزمهم أن يعرفوه بعمق و صفاء.

و ذلك من خلال الاستفاده من أسلوب التجسيد الظاهر للحقيقه التي يراد اطلاعهم عليها، و إقناعهم بها. حيث يكون ذلك أوقع في النفس مما لو اكتفى بأسلوب التعليم النظري و المجرد، خصوصا إذا أدركنا: أن هذا التجسيد قد ترك أثره النفسى فيهم، و آثار فيهم انفعالات ظهرت على شكل تعجب من رحمه ذلك الطائر بولده، فكان لا بد من الاستفاده من هذه الحاله النفسيه و توظيفها لصالح الإدراك الشعورى بالحقيقه التي يراد لهم لمسها، بروحهم و بمشاعرهم بالدرجه الأولى، ثم بعقلهم فى مرحله لاحقه.

النبى صلى الله عليه و آله يعالج ابن الأعرابي:

و روى: أنه فى هذه الغزوه جاءت امرأه بدويه بابنها إلى النبى «صلى الله عليه و آله»، فقالت له: يا رسول الله، هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان، ففتح فاه فبزق فيه، و قال: اخسأ عدو الله أنا رسول الله.

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه و آله» لها: شأنك بابنك، لن يعود إليه

١- (١) السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٧٤ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٣٩٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٥ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٦ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٧٩.

شىء مما كان يصيبه. فكان كذلك (١).

و ذكرت هذه القصة فى غزوه المريسيع أيضا (٢) التى ستأتى فى حوادث السنه السادسه.

و نقول:

١- إن هذه الأعرابيه قد جاءت بولدها إلى النبى «صلى الله عليه و آله» ليداويه لها. منساقه فى ذلك بدافع من إحساسها الفطرى بما لرسول الله «صلى الله عليه و آله» من قداسه و طهر، و كرامه على الله سبحانه، و بأنه مصدر للبركات و الكرامات.

و قد استجاب «صلى الله عليه و آله» لها، و عالج ولدها بطريقه تكرر هذا الشعور لديها، ولدى كل من حضر و عاين ما يجرى، حيث تفل فى فم ولدها، و أخبرها بالنتيجه بصوره قطعيه.

و ذلك يكذب ما يريد البعض أن يدعيه من أنه صلى الله عليه و آله مجرد طارش و رسول، أبلغ الناس رساله و انتهى، و لا شىء سوى ذلك.

ثم يقولون: إن القداسه إنما هى لرسالته و ليست له، فلا داعى للغلو فيه، و لا للتبرك بآثاره.

٢- إن ذلك يشير أيضا: إلى أن على الناس أن يعوا: أن للأمور المعنويه و الروحيه دورها فى دفع البلايا التى يتعرض لها الإنسان كما أن عليهم أن يؤمنوا بأن ما يعترى الإنسان من أعراض و أمراض، ليس كله ناشئا عن

١- (١) السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٧٤.

٢- (٢) السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٩٢.

تحولات ماديه فيه، و لا يمكن تفسيره كله على هذا الأساس. فإن هناك قوى خفيه تشارك أيضا في التأثير في حياه الإنسان و في سلامته. و إن معالجه آثار تصرفاتها لا يكون من خلال الوسائل الماديه في أحيان كثيره، بل لا بد من وسائل أخرى قد لا يؤمن بها كثير من الماديين.

كرامه أخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله:

و يذكر المؤرخون في حوادث هذه الغزوه: أن رجلا جاء للنبي «صلى الله عليه و آله» بثلاث بيضات من بيض النعام، فقال «صلى الله عليه و آله» لجابر: دونك يا جابر، فاعمل هذه البيضات.

قال جابر: فعملتهن، ثم جئت بهن في قصعه، فجعلنا نطلب خبزا، فلم نجد، فجعل «صلى الله عليه و آله» و أصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز، حتى انتهى كل إلى حاجته، أى إلى الشبع، و البيض في القصعه كما هو (١).

و ذكرت هذه القصة في غزوه المريسيع (٢).

و نقول:

و فيها أيضا: كرامه ظاهره لرسول الله «صلى الله عليه و آله». و ربما يكون ظهور هذه الكرامات ضروريا من أجل أن لا يغتر المسلمون بأنفسهم، فيرون:

أن ما يحققونه من انتصارات على أعدائهم، ثم ما يحصلون عليه من مكاسب، ماديه، و معنويه، و شوكة، و نفوذ، على مستوى المنطقه بأسرها، إنما كان بالدرجة الأولى بسبب هذه الألفاظ الإلهيه، التي يشملهم الله بها، و ليس التأثير مقتصر

١- (١) السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٤ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٩٩.

٢- (٢) السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٩٢.

على قدراتهم الذاتية، و حسن تدبيرهم فى الاستفادة منها فى الوقت المناسب، و فى المحيط المناسب.

و من جهه ثانيه، فإن من الواضح: أن وجود النبى «صلى الله عليه و آله» بين ظهرانيتهم، لا- ينبغى أن يؤثر على نوع و مستوى العلاقه التى يجب أن تحكم نظرهم إليه «صلى الله عليه و آله».

فلا- يجوز أن يعتادوا عليه، إلى درجه أن يصبح رجلا عاديا فيما بينهم، بل لا بد من الاحتفاظ بذلك الشعور العفوى لديهم و الذى يؤكد على ارتباطه «صلى الله عليه و آله» بالغيب، بالمصدر الأول جل و علا ..

فتأتى هذه الكرامات لتحدث التصحيح فى مسار تعاملهم معه و نظرهم إليه؛ لأن هذا التصحيح ضرورى، و لا بد منه، إذا أريد لكل كلمه و موقف منه «صلى الله عليه و آله» أن يحدث الأثر العميق و المدقيق فى روح الإنسان، و فى مشاعره، و فى سلوكه، فضلا عن أن يحدث التغيير الجذرى فى تكوينه الفكرى و العقيدى بصوره عامه.

و لأجل ذلك قلنا: إن ظهور هذه الكرامات كان ضروريا من فتره لأخرى حسبما تقتضيه المصلحه الإيمانيه و الإسلاميه فى مختلف المجالات، و على جميع المستويات. و هذا واضح لا يكاد يخفى على أحد.

جمل يستعدى على صاحبه:

و فى هذه الغزوه أيضا- كما يقولون:- جاء جمل حتى وقف عنده «صلى الله عليه و آله» و رغا، فأخبر النبى «صلى الله عليه و آله» أصحابه بأن هذا الجمل يستعديه على سيده، (يزعم: أنه كان يحرق عليه منذ سنين، و أنه أراد

أن ينحره) وقال «صلى الله عليه وآله»: إذهب يا جابر إلى صاحبه، فأت به.

قال جابر (رض): فقلت: لا أعرفه.

قال: إنه سيدلك عليه.

قال جابر: فخرج بين يدي حتى وقف على صاحبه، فجئته به، فكلمه «صلى الله عليه وآله» فى شأن الجمل (١).

و نقول:

قد ذكرت هذه القصة أيضا فى غزوه بنى المصطلق (المريسيه) (٢).

و نحن نسجل هنا النقاط التاليه:

١- قد ذكرت هذه الروايه: أن الناس كانوا يحرثون على الإبل فى ذلك الزمان و لا ندرى مدى صحه ذلك.

٢- إن هذه الروايه تؤكد ما ورد فى الروايات المتواتره، التى قد تعد بالمئات، و تؤكد على ما للحيوانات من حقوق يلزم مراعاتها، و الالتزام بها.

و قد ألف سماحه علامه الحجه الشيخ على الأحمدى «رحمه الله» كتابا قيما لم يطبع بعد، و لنا فى هذا المجال كتاب باسم «حقوق الحيوان فى الإسلام» فيمكن الرجوع إليه ..

معرفة النبي صلى الله عليه وآله بلغات البشر، و الحيوان و الجماد، و الشجر:

٣- قد أوضحت هذه الروايه: و دلت الروايات الكثيره غيرها على أن

١- (١) السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٧٣ و راجع: بصائر الدرجات ص ٣٤٨ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢.

٢- (٢) السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٩٢.

النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف ألسنه الحيوانات عموماً. وقد فهم ما قاله الجمل، الذي جاء إليه «صلى الله عليه وآله» ليشتكى سيده الذي كان يحرث عليه منذ سنين، والآن يريد أن ينحره الخ ..

و نجد فى كتب الحديث و التاريخ الشىء الكثير مما يتحدث عن كرامات لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، منذ ما قبل بعثته، و حتى وفاته، مثل تسليم الحجر و الشجر عليه «صلى الله عليه وآله»، و تسبيح الحصى فى كفيه.

و كذلك امثال الشجر أوامره، و شهادته له، و مجىء الشجره إليه لتظله، و تسلم عليه، و تأمين أسكفه الباب، و حوائط البيت على دعائه، و تسبيح الطعام بين أصابعه.

و إخبار الشاه له بأنها مسمومه و شكوى البعير له قله العلف، و كثره العمل.

و شكوى بعض الطيور له «صلى الله عليه وآله» أخذ بيضه أو فراخه، و سجد البعير و الغنم له و تكليم الحمار له، و شهاده الجمل عنده: أنه لصاحبه الأعرابي دون من ادعاه، و سؤال الظبي أن يخلصها لترضع ولدها و تعود، و غير ذلك (١).

و من جهه ثانيه: فقد دلت النصوص الكثيره على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعرف لغات البشر أيضاً، و قد تكلم بعدد منها فى مناسبات عديده (٢).

١- (١) هذه الكرامات و سواها موجوده فى كتب الحديث و السيره فراجع على سبيل المثال: السيره الحلبيه ج ٣ ص ٢٨٣ و ٢٨٤

و السيره النبويه لدحلان (بهامش الحلبيه ج ٣ ص ١٢٨ فما بعدها).

٢- (٢) راجع: مكاتيب الرسول للأحمدى ج ١ ص ١٥ و ١٦.

سؤالان يحتاجان إلى جواب:**١- السؤال الأول:**

و السؤال الذى يواجها بادئ ذى بدء هو:

هل إن هذه القضايا و كثيرا غيرها مما زحرت به المجاميع الحديثه و التاريخه، و غيرها، لا بد من تصنيفها فى عداد الكرامات و المعجزات، و خوارق العادات، التى تهدف إلى مواجهه الإنسان المكابر أو الشاك بالصدمة التى توصل أمامه كل أبواب التملص و التخلص، و التجاهل للواقع، و دلائله الظاهره، و أعلامه الباهره، و حججه القاهره؟!.

أم أن الأمر يتعدى ذلك ليصب فى خانه تجلى السنن و النواميس الحقيقه التى تحكم المسار العام فيما يرتبط بتبلور الشخصيه القياديه الواقعيه فى نطاق هيمنه هذه القياده على المسار الواقعى العام، من خلال تلك النواميس، و على أساسها؟!.

علما بأن ذلك لا يقلل من قيمه تلك الكرامات و المعجزات، بل هو يجعلها بصفته ضروره حياتيه فى نطاق الهدايه الإلهيه التامه على أساس نواميس الواقع و مقتضياته.

٢- السؤال الثانى:

و ثمه سؤال آخر نعرض له هنا، و هو:

أنه إذا كان النبى الأكرم «صلى الله عليه و آله» يعرف جميع اللغات؛ فلماذا يصر على مراسله عظيم فارس، و عظيم الروم و ملك الحبشه، و المقوقس، و غيرهم بخصوص اللغه العربيه؟!.

و هل ثمه خلفيات سياسيه، أو تشريعيه دينيه أو غيرها وراء هذا

التمسك باللغه العربيه!؟

و أكثر من ذلك: أننا نجد الإسلام لا يرضى فى عباداته، و فى موارد معينه أخرى بغير اللغه العربيه. فلا تصح الصلاه مثلا باللغات الأخرى، من أى كان من الناس: العربى، و الرومى، و الحبشى، و الفارسى، و غيرهم.

فما هو السر و الدافع إلى هذا الإلزام و الالتزام، يا ترى؟!.

الإجابہ و التوضیح:

و نحن فى مقام الإجابہ على هذين السؤالين، نقدم الحديث و الإجابہ على ثانيهما؛ فنقول:

١- الإجابہ على السؤال الثانى:

إنه يفترض فى كل حضاره تستهدف إحداث تغييرات حقيقيه و جذريه فى المجالات الحياتيه المتنوعه من سياسيه و اقتصاديه، و اجتماعيه، و فكريه، و غيرها و حتى فى بناء الشخصيه الإنسانيه، و التأثير و التغيير فى مشاعر الإنسان، و أحاسيسه، و عواطفه، فضلا عن خصائصه و مزاياه، و كل وجوده،

نعم .. إنه يفترض فى هكذا حضاره أن تفرض على الشعوب و الأمم التى تريد أن تحيا فى ظلها هيمنه فكرها، و ثقافتها، و أن تزرع فيها مصطلحاتها و تعابيرها الخاصه بها، ذات الإيحاءات و المداليل المعينه و الهادفه، و تنفذ من خلال هذه المصطلحات و على أساس ذلك الفكر، و بروافد من تلك الثقافه إلى مناطق اللاوعى فى الأحاسيس و المشاعر، و فى القلوب و الضمائر لتلك الأمم و الشعوب. و تتغلغل فى أعماقها؛ لتصبح جزءا لا يتجزء من وجودها، و من شخصيتها، و من كيانها العتيد.

بل لقد رأينا: أنه حتى الدول لا تألو جهدا في فرض لغتها، و عاداتها، و مفاهيمها على الشعوب التي تهيمن عليها.

و إذا كان الله سبحانه قد أرسل نبيه إلى جميع الأمم فلا بد- و حاله هذه- من أن تهيمن لغة القرآن، و ثقافته الإسلام و الإيمان على العالم بأسره.

لأن القرآن كتاب العالم، و دستور بشرية جمعاء، و لعل هذا هو الذى يفسر لنا بعض ما ورد فى الحث على تعلم اللغة العربية و تعليمها فراجع.

٢- الإجابة على السؤال الآخر:

أما الإجابة على السؤال الآخر، و هو أول السؤالين المتقدمين، فإننا نقول:

هناك معجزات و كرامات فى اتجاهات ثلاثة:

الأول: من الواضح: أن هناك معجزات قد ظهرت للنبي الأكرم «صلى الله عليه و آله» و للأنبياء السابقين، و كذلك للأوصياء، حينما كانوا يواجهون التحدى الوقح من أهل الشرك و العناد؛ بحيث لو لم تظهر المعجزه، أو الكرامه لاستطاع أولئك الشياطين أن يثيروا الشبهات المضعفه للدعوه؛ و الموجه لزعزعه درجه الطمأنينه و الوثوق لدى كثير ممن آمن بها و اطمأن إليها، أو يحدث نفسه بذلك.

فتأتى المعجزه لتثبت أولئك، و تشجع هؤلاء، و لتسحق أيضا كبرياء المستكبرين، و تكسر شوكتهم، و يكون بها خزي المعاند، و بوار كيد الماكر و الحاقد.

الثانى: و ثمة معجزات و كرامات، و خوارق عادات أكرم الله بها أنبياءه و أوليائه تشريفا لهم، و تجله و تكريما، و إعازا لجانبهم. و قد يستفيد منها

المؤمن القوى سماوا و رسوخ قدم فى الإيمان، و يتثبت بها ضعيف الإيمان، فيزداد بصيره فى الأمر، و تسكن نفسه، و يطمئن قلبه، على قاعده قوله تعالى:

قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لَّيُطْمَئِنُّ قَلْبِي (١).

و على قاعده: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا (٢).

الثالث: ذلك القسم الذى ظهر فيه: أنه يتعامل فيه مع المخلوقات من موقع المدبر، و الراعى، و الحافظ لها، من موقع أنها جزء من التركيبيه العامه، حيث لا بد من التعامل معها على هذا الأساس.

و هذا القسم الأخير هو الذى يعيننا البحث عنه هنا.

فنقول:

إن الله سبحانه قد أراد لهذا الإنسان أن يدخل إلى هذا الوجود، ليقوم بدور هام فيه. و قد اختار الله له هذه الأرض ليتحرك عليها، و ينطلق فيها و منها.

و كان عليه أن يستفيد مما خوله الله إياه من طاقات و إمكانات لإعمارها، و بث الحياه فيها، بل و الهيمنه و التسلط على كل ما فى هذا الكون، و تسخيرها، و الاستفادة مما أودعه الله فيه من طاقات و قدرات، من خلال تفعيل نواميسه الطبيعيه و إثارة دوائه و كوامنه و توظيفها فى مجالات البناء الإيجابى، و الصحيح، الذى يسهم فى إسعاد هذا الإنسان، و فى تكامله،

١- (١) الآية ٢٦٠ من سوره البقره.

٢- (٢) الآية ١ من سوره الإسراء.

و نموه المطرد فى مختلف جهات وجوده، حتى فى جوانبه النفسىة و الروحىة، و الفكرىة، و العقىدىة، فضلا عن النواحى الأخرى، من اجتماعىة و اقتصادىة و غيرها.

كل ذلك وفقا للخطة المرسومة فى نطاق التربىة الربانىة، و الإعداد و المواكبہ المستمره لهذا الإنسان فى تحركه نحو الأهداف الإنسانىة و الإلهىة السامىة و النبىلہ العلىا، و هو دائب الكدح إلى الله، و من أجله و فى سبىله، لا غير، و لىس إلا.

يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ.. (١).

و لكى يتضح ما نرمى إليه بصورة أوفى و أصفى، نذكر هنا آيات قرآنىة أشارت إلى أن جمىع ما فى هذا الكون مسخر للبشر.

و آيات أخرى، تتحدث عن وجود درجه من الشعور و الإدراك لدى المخلوقات، من حىوانات و غيرها.

بالإضافة إلى نماذج من التعامل الإىجابى و آفاقه، و ما يترتب على ذلك، فنقول:

تسخىر المخلوقات للإنسان فى الآيات القرآنىة:

لقد أشارت الآيات القرآنىة إلى تسخىر الموجودات للإنسان، و يتضح ذلك بالتأمل فى الآيات التالىة:

هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا.. (٢).

١- (١) الآىة ٦ من سورة الإنشقاق.

٢- (٢) الآىة ٦١ من سورة هود.

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً..(١).

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ..(٢).

.. وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ، وَ سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبِينَ وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ، وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا..(٣).

وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا..(٤).

الشعور و الإدراك لدى المخلوقات:

ثم إن الإنسان يريد أن يتعامل مع كون ليس جمادا بقول مطلق، و إنما كل الموجودات فيه تمتلك درجة من الشعور و الإدراك، و إن كنا لا نعرف كنهه و لا حدوده.

و قد تحدث القرآن عن السماوات، و الأرض، و الجبال و الطير و كل الموجودات، بطريقة تركز هذا المعنى، و تدفع أى تشكيك أو ترديد فيه.

فلنقرأ معا الآيات التالية:

قال تعالى مخاطبا نبيه موسى «عليه السلام»: قَالَ لَنْ تَرَانِي وَ لَكِنْ أَنْظُرْ

١- (١) الآية ٢٠ من سورة لقمان.

٢- (٢) الآية ١٣ سورة الجاثية.

٣- (٣) الآيات ٣٢-٣٤ من سورة إبراهيم.

٤- (٤) الآيات ١٤-١٨ من سورة النحل.

إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا..(١).

و قال تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا(٢).

و قال سبحانه عن داود: إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَابٌ(٣).

و قال فى آيه أخرى عن داود أيضا: يَا جِبَالَ أُوبَى مَعَهُ وَالطَّيْرَ..(٤).

و المراد بالتأويب ترجيع التسييح على ما يظهر.

و قال تعالى: وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ(٥).

و قال: وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ(٦).

و قال تعالى: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا(٧).

و تسييح ما فى السماوات و الأرض، مذكور فى عدة آيات (٨).

١- (١) الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

٢- (٢) الآية ٧٢ من سورة الأحزاب.

٣- (٣) الآيتان ١٨ و ١٩ سورة ص.

٤- (٤) الآية ١٠ من سورة سبأ.

٥- (٥) الآية ١٣ من سورة الرعد.

٦- (٦) الآية ٦ من سورة الرحمن.

٧- (٧) الآية ٤٤ من سورة الإسراء.

٨- (٨) راجع: الآيتان ١ و ٢٤ من سورة الحشر و الآية ١ من سورة التغابن و الآية ١ من سورة الصف و الآية ١ من سورة الجمعة و الآية ١ من سورة الحديد.

و قال سبحانه: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ (١).

و قال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ (٢).

و قال جل و علا: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ (٣).

فكل ما تقدم يشير بوضوح: إلى أن هذه المخلوقات تملك حالة شعوريه و إدراكيه معينه، و ليست مجرد جمادات أو حيوانات خاويه من ذلك بصوره نهائيه.

و هذا ما يفسر لنا: أننا نجد أن الله قد تعاطى معها بطريقه تكرر هذا الفهم، و ترسخه، و لا تبقى مجالا لأى تشكيك أو ترديد فيه.

نماذج حيه من تسخير الموجودات العاقله:

فإذا كان الله سبحانه قد سخر المخلوقات لهذا الإنسان، و اتضح أن هذه المخلوقات تمتلك صفه الشعور و الإدراك، و لها أعمال عقلانيه و مرتبطه بالشعور و مستنده إليه فإننا نذكر هنا نموذجا قرآنيا حيا، و واقعا لهذا التسخير تجلت فيه طريقته، و أبعاده و مجالاته بصوره ظاهره. حيث ذكرت

١- (١) الآية ٢١ من سوره الحشر.

٢- (٢) الآية ١٨ من سوره الحج.

٣- (٣) الآية ٤١ من سوره النور.

الآيات أن الله سبحانه قد سخر الريح، و الطير، و الجبال، و الجن لسليمان و داود «عليهما السلام». بالإضافة إلى هيمنتها بدرجة ما على نواميس الطبيعة التي تفيد الهيمنة عليها في تحقيق الغايات التي يتم السعي لها، و التحرك باتجاهها، كما أشار إليه الله سبحانه حين تحدث أنه تعالى قد ألان الحديد لداود.

فلنقرأ ذلك كله في الآيات التالية:

قال تعالى: .. وَ سَيَخْزَنَّا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنَّا فَاعِلِينَ، وَ عَلَّمْنَاهُ صِنْعَهُ لِيَبْسُوكُمْ لِكُم لِيُخَصِّصَ نَكْمًا مِنْ بَاسِكِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ، وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْمَآرِضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ، وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَ كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (١).

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْرَاقِ، وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (٢).

و قال تعالى عن سليمان: فَسَيَخْزَنَّا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، وَ الشَّيَاطِينِ كُلَّ بَنَاءٍ وَ عَوَاصٍ، وَ آخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣).

قصة سليمان و داود نموذج فذ:

و إذا راجعنا سورة النمل، فإننا نجد فيها نماذج فذه عن تعاطى سليمان

١- (١) الآيات ٧٩-٨٢ من سورة الأنبياء.

٢- (٢) الآيتان ١٨ و ١٩ من سورة ص.

٣- (٣) الآيات ٣٦-٣٨ من سورة ص.

و داود مع ما آتاهما الله سبحانه في هذا المجال. و أول ما يواجهنا في الحديث عنهما «عليهما السلام» هو أنه تعالى قد وفر لهما الأدوات الضرورية للتعامل مع هذه المخلوقات في نطاق رعايتها و هدايتها و توجيهها. فنجدها تبدأ الحديث بأن الله قد آتاهما علما، و علما منطلق الطير، و أوتيا من كل شىء، ثم ذكرت الآيات نماذج تطبيقية لهذا العلم، و للمعرفة بجميع الألسنة، ثم لتأثير ما آتاه الله سبحانه في إداره الأمور، و توجيهها و رعايتها و الهيمنه عليها بصورة حيويه و بناءه و إيجابيه، لا تأتى إلا بالخير، و لا تؤدى إلا إلى الفلاح.

آيات من سورة النمل:

.. وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ، وَ حِثِّيرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا(١).

ثم تحدثت الآيات عن قصته «عليه السلام» مع الهدهد، و الدور الذى قام به، ثم ما كان من الإتيان بعرش بلقيس، بواسطه ما كان لدى ذلك الآتى به من علم من الكتاب. و أن ذلك قد تم قبل أن يرتد طرف سليمان إليه.

مع آيات سورة النمل:

وقد أظهرت الآيات المتقدمه كيف تم توظيف كل القدرات الماديه و غيرها فى تحقيق رضا الله سبحانه، و بناء الحياه و تكاملها باتجاه الأهداف الإلهيه و وفقا للخطة المعقوله و المقبوله له تعالى. بدءا من قصه تبسم سليمان من قول النمله، مرورا بقصه الهدهد، و الإتيان بعرش بلقيس بتلك الطريقه المثيره، ثم تنكير عرشها لها، و انتهاءا بأمرها بدخول الصرح الذى حسبته لجه، مع أنه صرح ممر من قوارير.

و قد تجسد ذلك كله من خلال حاكميه و إمامه سليمان عليه و على نبينا و آله الصلاه و السلام، و رعايته و هدايته التامه و الشامله.

و قد كانت هذه الهدايه و الرعايه مستنده إلى علم آتاه الله إياه، و الى إمكانات ذات صفه شموليه: وَ أوتينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ءِ. فلم يكن ثمة أى قصور فى القدرات الذاتيه، فقد علم سليمان منطق الطير، و أوتى من العلم ما يكفيه فى مهمته الكبيره و الخطيره.

كما أنه لم يكن ثمة نقص فى الإمكانيات الماديه، كما أشرنا. و كان سليمان أيضا يحظى برعايه الله تعالى له، و لطفه به، و تسديده و تأييده إلى درجه العصمه.

فلم يبق و الحال هذه إلا- المبادره إلى القيام بالدور المرصود له فى نطاق الاستفاده الواعيه و الإيجابيه و البناء من كل المخلوقات المسخره لهذا الإنسان، و توجيهها لتؤدى دورها فى الحياه كاملا غير منقوص ..

و هذا ما حصل بالفعل، فكانت المعجزه الكبرى، و كان الإنجاز العظيم، و هذا ما سوف يتحقق بصورة أكثر رسوخا و شموخا و عظمه فى عهد ولى الأمر قائم آل محمد «عليهم الصلاه و السلام».

إعادته توضيح و بيان:

إنه ما دام أن المفروض بالإنسان هو أن يتعاطى مع جميع المخلوقات التي سخرها الله تعالى له، فقد كان لا بد من أن يخضع تعامله هذا و كذلك تعامله مع نفسه، و مع ربه، و مع كل شىء لضوابط تحفظه من الخطأ و من التقصير، أو التعدى.

و لقصور الإنسان الظاهر، فقد شاءت الإرادة الإلهية، من موقع اللطف و الرحمة أن تمتد يد العون له، و هدايته فى مسيرته الطويله المحفوفه بالمزالق و الأخطار هدايه تامه تفضى به إلى نيل رضا الله سبحانه، و ثمر الوصول إلى تلك

الأهداف الكبرى و الساميه و تحقيقها، و هى إعمار الكون وفق الخطه الإلهيه، التى تريد من خلال ذلك بناء إنسانيه الإنسان، و إيصاله إلى الله سبحانه، حيث يصبح جديرا بمقامات القرب منه تعالى، حيث الرضوان و الزلفى.

و إذا كان كذلك فإنه يصبح واضحا: أن المثل القرآنى الذى يتمثل فى تجربه سليمان و داود «عليهما السلام»، إنما أراد أن يجسد ولو بصوره مصغره هذه الحقيقه بالذات ليتلمس هذا الإنسان الأهداف الإلهيه، و هى تتجسد واقعا حيا، ملموسا، و ليس مجرد خيالات، أو شعارات، أو آمال و طموحات غير عقلانيه، و لا مسؤوله.

و هى أيضا تجسد معنى القيادة المطلوبه و الصالحه لتحقيق هدف كهذا، حتى إن طائرا، و هو الهدهد، يضطلع بدور حيوى و فى مستوى ملك بأسره، و أحد الحاضرين فى مجلس سليمان يأتى بعرش بلقيس - بواسطة العلم الذى عنده من الكتاب - قبل أن يرتد الطرف.

كما أن هذه الشواهد القرآنيه، و تلك الكرامات و المعجزات النبويه،

و منها قصه الجمل التى هى مورد البحث، قد رسخت هذه الحقيقه، سواء بالنسبه لدور الإنسان فى الكون، و تعاطيه معه، أو بالنسبه إلى حقائق راهنه لا بد أن تأخذ دورها و حقها، و يحسب حسابها على مستوى التخطيط، و على مستوى الممارسه، أو بالنسبه إلى الدور الذى لا بد لهذه القيادة أن تضطلع به، فى مقام الرعايه التامه، و الهدايه العامه، و ما يتطلبه ذلك من طاقات و من إمكانات، و مواصفات قياديه خاصه و متنوعه، لا تحصل إلا بالرعايه و التربيه الإلهيه لها، و لا تكون إلا فى نبي أو فى وصى.

و تصبح معرفه لغات الحيوانات، و الوقوف على كثير من أسرار الخلقه، و نواميس الطبيعه ضروره لا بد منها لهذه القيادة، التى لا بد أن ترعى، و توازن، و تربي، و تحفظ لكل شىء حقه، و كيانه، و دوره فى الحياه. حيث لا بد لها من التدخل المباشر فى أحيان كثيره لحسم الموقف، و لحفظ سلامه المسار.

كما لا بد لها من توجيه الطاقات و الاستفاده منها فى الوقت المناسب و فى الموقع المناسب، بصوره قويمه و سليمه، كما كان الحال بالنسبه لنبي الله داود، و نبي الله سليمان عليهما و على نبينا محمد و آله الصلاه و السلام.

النقاط على الحروف:

و بذلك يتضح: أنه لا بديل عن قياده المعصوم، إذ أن كل القيادات الأخرى إذا كانت عادله لن يكون لها أكثر من دور الشرطى الذى ينجح فى درء الفتنة حيناً، و يفشل أحياناً.

أما إذا كانت قياده منحرفه، فهناك الكارثه الكبرى، التى عبرت عنها الكلمه المنسوبه إلى أمير المؤمنين على «عليه الصلاه و السلام»، حيث يقول:

«أسد حطوم، خير من سلطان ظلوم، و سلطان ظلوم، خير من فتنه تدوم»^(١).

و قد اتضح أيضا: أن وجود الإمام المعصوم في كل عصر و زمان أمر حتمي و ضروري حتى ولو كان غائبا و مستورا، لأن هذا الإمام لسوف يحفظ و يرفع كثيرا من المواقع و المواضع في هذا الكون المسخر للإنسان، التي لو لا حفظها و رعايتها لوقعت الكارثة و لساخت الأرض بأهلها.

و بذلك نعرف السر في أن الروايات قد ذكرت: أنه لو بقيت الأرض بغير إمام، أو لو أن الإمام رفع من الأرض و لو ساعه لساخت بأهلها، و ماجت كما يموج البحر بأهله^(٢).

و أصبح واضحا معنى الرواية التي تقول: و أما وجه انتفاع الناس بي في غيبيتي؛ فكالشمس إذا جللها عن الأنظار السحاب.

و اتضح أيضا: سر معرفة الأئمة بعلوم الأنبياء، و بألسنه جميع البشر، و بألسنه أصناف الحيوان أيضا^(٣)، إلى غير ذلك من خصائص و تفصيلات في علومهم «عليهم السلام» و في حدود ولايتهم و رعايتهم لهذا الإنسان في هذا الكون الأرحب.

١- (١) البحار ج ٧٥ ص ٣٥٩ عن كنز الفوائد للكراچكى، و راجع: دستور معالم الحكم ص ١٧٠ و غرر الحكم و درر الكلم ج ١ ص ٤٣٧ و ج ٢ ص ٧٨٤.

٢- (٢) راجع بصائر الدرجات ص ٤٨٨ و ٤٨٩ و الكافي ج ١ ص ١٧٩ و ١٩٨ و الغيبة للنعماني ص ١٣٩ و ١٣٨.

٣- (٣) راجع كتاب بصائر الدرجات ففيه تفاصيل واسعة حول علوم الأئمة «عليهم السلام» في جميع المجالات، و راجع أيضا: البحار للعلامة المجلسي، و الكافي ج ١ و غير ذلك كثير.

الفصل الرابع: بدر الموعد

بدايه الحديث عن بدر الموعد:

كانت حرب أحد قد تمخضت عن نتائج ماديه تختلف تماما عن نتائجها المعنويه و السياسيه.

فعلى صعيد الخسائر منى المسلمون بخسائر كبيره، حيث قتل منهم العشرات، حينما خالف الرماه الذين كانوا على فتحه الجبل أمر رسول الله «صلى الله عليه و آله» له بالبقاء فى أماكنهم، فسنحت الفرصه للمشركين، و أوقعوا بالمسلمين، و قتلوا منهم عددا كبيرا من الناس.

و لكن هذه النتيجة لا تمثل كل الواقع، و لا يمكن اعتبارها معيارا تقاس عليه سائر النتائج، التى تمخضت عنها تلك الحرب، على صعيد الربح و الخساره و التأثير فى الواقع النفسى لكلا الفريقين، ثم فى الواقع السياسى و العسكرى.

حيث إن النتائج كانت فى هذه المجالات لصالح المسلمين، إذ انتهت المعركه بهزيمه حقيقيه فاحشه منى بها المشركون فى الجهات الثلاث جميعا، أى من الناحيه العسكريه، و النفسيه، و على صعيد الحاله السياسيه فى المنطقه بصوره عامه.

غير أن أبا سفيان قد حاول أن يقوم بمبادره إعلاميه جريئه تحفظ

للمشركين بعض هيبتهم، و تعيد إليهم شيئاً من معنوياتهم حيث أعلن: أن المعركة التاليه، و التي قد تكون هي الحاسمه، سوف تكون بعد عام من تاريخ غزوه أحد.

و قد نسى أو تناسى: أن نفس هذا الإعلان ليس في الحقيقه إلا إعلان فشلهم في تحقيق الأهداف التي كانوا يسعون إلى تحقيقها من خلال خوضهم هذه الحرب.

ثم كانت حركة المسلمين السريعه في مطاردتهم عقب انتهاء غزوه أحد، بمثابه فضيحه مخزيه للمشركين، لا سيما و أنه «صلى الله عليه و آله» قد قرر أن تكون هذه المطارده مقتصره على خصوص جرحى أحد، بقياده على أمير المؤمنين «عليه السلام».

و بعد مرور نحو عام، و اقتراب الموعد الذي ضربه أبو سفیان كان لا بد من التحرك. و كانت نتيجة هذا التحرك، المزيد من الخزي لأبى سفیان، و كل معسكر الشرك و البغى، و المزيد من العزه و الشوكه للمسلمين، و للإسلام في ظل قياده نبيه الأكرم «صلى الله عليه و آله».

فما الذي جرى في بدر الموعد؟! و ما الذي نتج عنه؟.

هذا ما سوف نتعرض له في ما يلي من مطالب ..

تاريخ غزوه بدر الموعد:

يذكر المؤرخون: أن غزوه بدر الصغرى (الموعد) (الثالثه)، قد كانت في هلال ذى القعدة في السنه الرابعه.

و قيل: في شوال. (١)

ص: ٣٠

الفصل الرابع: بدر الموعد

إشاره

١- عاملى، جعفر مرتضى، الصحيح من سيره النبى الأعظم (ط جديد)، ٣٥ جلد، دار الحديث - قم، چاپ: اول، ١٤٢٦ ه.ق.

بدايه الحديث عن بدر الموعده:

كانت حرب أحد قد تمخضت عن نتائج ماديه تختلف تماما عن نتائجها المعنويه و السياسيه.

فعلى صعيد الخسائر منى المسلمون بخسائر كبيره، حيث قتل منهم العشرات، حينما خالف الرماه الذين كانوا على فتحه الجبل أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) له بالبقاء فى أماكنهم، فسنحت الفرصه للمشركين، و أوقعوا بالمسلمين، و قتلوا منهم عددا كبيرا من الناس.

و لكن هذه النتيجة لا تمثل كل الواقع، و لا يمكن اعتبارها معيارا تقاس عليه سائر النتائج، التى تمخضت عنها تلك الحرب، على صعيد الربح و الخساره و التأثير فى الواقع النفسى لكلا الفريقين، ثم فى الواقع السياسى و العسكرى.

حيث إن النتائج كانت فى هذه المجالات لصالح المسلمين، إذ انتهت المعركه بهزيمه حقيقيه فاحشه منى بها المشركون فى الجهات الثلاث جميعا، أى من الناحيه العسكريه، و النفسيه، و على صعيد الحاله السياسيه فى المنطقه بصوره عامه.

غير أن أبا سفيان قد حاول أن يقوم بمبادره إعلاميه جريئه تحفظ

للمشركين بعض هيبتهم، و تعيد إليهم شيئاً من معنوياتهم حيث أعلن: أن المعركة التاليه، و التي قد تكون هي الحاسمه، سوف تكون بعد عام من تاريخ غزوه أحد.

و قد نسى أو تناسى: أن نفس هذا الإعلان ليس في الحقيقه إلا إعلان فشلهم في تحقيق الأهداف التي كانوا يسعون إلى تحقيقها من خلال خوضهم هذه الحرب.

ثم كانت حركة المسلمين السريعه في مطاردتهم عقب انتهاء غزوه أحد، بمثابه فضيحه مخزيه للمشركين، لا سيما و أنه (صلى الله عليه و آله) قد قرر أن تكون هذه المطارده مقتصره على خصوص جرحى أحد، بقياده على أمير المؤمنين (عليه السلام).

و بعد مرور نحو عام، و اقتراب الموعد الذي ضربه أبو سفیان كان لا بد من التحرك. و كانت نتيجة هذا التحرك، المزيد من الخزي لأبي سفیان، و كل معسكر الشرك و البغى، و المزيد من العزه و الشوكه للمسلمين، و للإسلام في ظل قياده نبيه الأكرم (صلى الله عليه و آله).

فما الذي جرى في بدر الموعد؟! و ما الذي نتج عنه؟.

هذا ما سوف نتعرض له في ما يلي من مطالب ..

تاريخ غزوه بدر الموعد:

يذكر المؤرخون: أن غزوه بدر الصغرى (الموعد) (الثالثه)، قد كانت في هلال ذى القعدة في السنه الرابعه.

و قيل: في شوال.

و قد غاب فيها رسول الله (صلى الله عليه و آله) ست عشره ليله.

و المقصود هو: بدر الصفراء، التي كانت سوقا للعرب في الجاهليه.

يجتمعون فيها في كل عام لمدته ثمانيه أيام، ابتداء من أول ذى القعدة، ثم يفترقون (١).

و قد ربح المسلمون فيها في تجارتهم في سوق بدر، في هذه المناسبه بصوره ملفته، كما سنرى.

و أما قول موسى بن عقبه: إنها كانت في شوال سنه ثلاث (٢) فلا يصح، لأنها كانت لأجل تنفيذ طلب أبي سفيان بعد انتهاء

حرب أحد بأن يلتقوا للحرب في بدر، بعد عام. و أحد إنما كانت في السنه الثالثه كما هو معلوم (٣). ٩.

١- راجع في جميع ما ذكرناه، كلا أو بعضا: مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٨٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٥ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٧٥ و سيره مغلطاي ص ٥٣ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٥٩ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٠٤ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٥٤. و راجع: المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٨ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٩ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٣٩ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٢ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٩ و ١٧٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٧ و ٨٩ و ٩٣ و ٩٤ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٥ و دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ٣٨٨.

٢- راجع: السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٧٥ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٩ و الدر المنثور ج ٢ ص ١٠١.

٣- راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٩.

كما أن الأشبه: أنها كانت في ذى القعدة، أو قبل ذلك لأن أحدا كانت في ذى القعدة، و كان بينهما سنه (١).
و الصحيح: أنها كانت في شعبان كما سيأتي في غزوه الخندق.

النص التاريخي لبدر الصغرى:

يذكر المؤرخون: أن أبا سفيان لما أراد أن ينصرف من أحد نادى: يا محمد، الموعد بيننا و بينكم موسم بدر الصغرى لقابل، إن شئت نلتقى بها فنقتل.

و عن مجاهد- كما في الوفاء- أنه قال: يا محمد، موعدكم بدر، حيث قتلتهم أصحابنا.

فقال النبي (صلى الله عليه و آله) لعمر بن الخطاب: قل: نعم، إن شاء الله. فافترق الناس على ذلك.

ثم يذكر المؤرخون وقائع غزوه بدر الموعد.

و نحن من أجل أن نلّم بأكثر الخصوصيات التي قيلت في هذه الغزوه و عنها، نجتمع شتات كلمات الرواه و المحدثين، و نقله الأخبار و المؤرخين، و نؤلف بينها، ثم نشير في نهايه ذلك إلى المصادر التي قد يكون فيها أكثر الذى ذكرناه، أو بعضه.

فنقول:

لما مضى على أحد ما يقرب من عام، و قرب الموعد الذى ضربه أبو سفيان، كره الخروج و خاف من عواقبه، ثم قر رأيه بعد المشاوره على ٤.

الخروج شيئاً يسيراً، ثم يعود، فخرج فى أهل مكة، حتى نزل مجنّه، من ناحيه الظهران.

يقال: عسفان. و كان فى ألفى رجل، و معهم خمسون فرسا.

و يقول البعض: إنه بعد أن خرج إلى عسفان أو مجنه ألقى الله الرعب فى قلبه، فبدا له فى الرجوع.

فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى، و قد قدم معتمراً؛ فطلب منه: أن يلحق بالمدينه، و يثبط المسلمين، و يعلمهم: أن أبا سفيان فى جمع كثير، و لا طاقه لهم بهم، و وعده أن يعطيه عشره- و عند الواقدى: عشرين- من الإبل، يضعها على يدى سهيل بن عمرو، و يضمناها سهيل له. و حمله على بعير.

و مما قاله له، بعد أن ذكر له: أن هذا عام جدب: (قد بدا لى أن لا أخرج إليها، و أكره أن يخرج محمد و لا أخرج؛ فيزيدهم ذلك جراه؛ فلأن يكون الخلف من قبلهم أحب الى من أن يكون من قبلى).

و بعد ضمان سهيل بن عمرو الإبل لنعيم، خرج مسرعاً، حتى أتى المدينه؛ فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان، فسألهم فأخبروه بما يريدون، فقال لهم: (بئس رأى رأيتم، أتوكم فى دياركم و قراركم، فلم يفلت منكم إلا- الشريد، فتريدون أن تخرجوا و قد جمعوا لكم عند الموسم؟! و الله، لا يفلت منكم أحد).

و جعل يطوف بهذا القول فى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله).

فكره أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) الخروج.

و زاد الواقدى قوله: (حتى نطقوا بتصديق قول نعيم، أو من نطق منهم).

و استبشر بذلك المنافقون و اليهود، و قالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع).

حتى بلغ رسول الله (صلى الله عليه و آله) ذلك، و تظاهرت به الأخبار عنده، حتى خاف رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن لا يخرج معه أحد.

فجاء أبو بكر بن أبي قحافة (رض)، و عمر بن الخطاب (رض)، و قد سمعا ما سمعا، فقالا: يا رسول الله، إن الله مظهر دينه، و معز نبيه. و قد وعدنا القوم موعدا، و نحن لا نحب أن نتخلف عن القوم، فيرون. أن هذا جبن منا عنهم؛ فسر لموعدهم؛ فو الله، إن في ذلك لخيره.

فسر رسول الله (صلى الله عليه و آله) بذلك، ثم قال: (و الذى نفسى بيده، لأخرجن ولو وحدى).

قال عثمان: (لقد رأيتنا و قد قذف الرعب فى قلوبنا فما أرى أحدا له نيه فى الخروج).

فأما الجبان، فإنه رجع، و تاهب الشجاع للقتال، و قالوا: حسبنا الله و نعم الوكيل.

و استخلف رسول الله (صلى الله عليه و آله) على المدينة عبد الله بن رواحه [أو عبد الله بن أبي سلول] (١) و حمل لواءه الأعظم على بن أبي طالب، فى ألف و خمس مائه رجل. و الخيل عشره أفراس.

قال الواقدي (٢): (فرس لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، و فرس لأبى ٧).

- ١- هذا القيل ذكره فى السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٥ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و لم يذكر غيره، و كذا فى السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٠ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٩ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٧.
- ٢- المغازى ج ١ ص ٣٨٧.

بكر، و فرس لعمر، و فرس لأبى قتاده، و فرس لسعيد بن زيد، و فرس للمقداد، و فرس للحباب، و فرس للزبير، و فرس لعباد بن بشر).

و خرجوا ببضائع لهم و تجارات.

و قالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذى خرجنا له، و إن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا. فجعلوا يلقون المشركين، و يسألون عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم، يريدون أن يرهبوا المسلمين.

فيقول المؤمنون: حسبنا الله و نعم الوكيل.

و فى نص آخر: قال لهم المنافقون: قد قتلوكم عند بيوتكم، فكيف إذا أتيتموهم فى بلادهم، و قد جمعوا لكم، و الله لا ترجعون أبدا.

و مهما يكن من أمر، فإنهم لما قربوا من بدر قالوا لهم: إنها امتلأت من الذين جمعهم أبو سفيان، يربونهم و يرهبونهم، و نزلت آية: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ .. (١) فلما بلغوا بدرا و جدوا أسواقا لا ينازعهم فيها أحد [و فى الحلييه (٢) فأنزل الله: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ..].

و قال مجاهد و عكرمه: فى هذه الغزوه نزل قوله تعالى: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ .. (٣).

و عند أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية فى غزوه حمراء الأسد.

و بلغ المسلمون بدرا ليله هلال ذى القعدة. و الصحيح فى شعبان.ن.

١- الآية ١٧٣ من سوره آل عمران.

٢- السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٧٦.

٣- الآية ١٧٢ من سوره آل عمران.

و قد أقام النبي (صلى الله عليه و آله) بها ثمانية أيام، ينتظر أبا سفيان.

و باع المسلمون تجارتهم و بضائعهم فى سوق بدر، و أصابوا بالدرهم درهمين.

و قد سمع الناس بمسيرهم، و ذهب صيت جيشهم إلى كل جانب، فكبت الله بذلك عدوهم.

و انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين.

أما المشركون فرأى لهم أبو سفيان أن يخرجوا، فيسيروا ليله أو ليلتين، ثم يرجعون؛ فإن كان محمد قد خرج احتجاجاً بأن السنه كانت سنه جدب، و إن لم يخرج كانت هذه لهم عليه.

فخرجوا، و هم ألفان، و معهم خمسون فرساً، حتى انتهوا إلى مجنّه، و هو سوق معروف بناحية الظهران، و قيل: إلى عسفان، ثم رجعوا.

و فى نص آخر: أن ابن حمام قدم على قريش، فأخبرهم بمسير المسلمين إلى بدر، فأرعب أبو سفيان، و رجع إلى مكه. فسماهم أهل مكه: جيش السويق. أى خرجوا يشربون السويق. الصحيح من السيره النبى الأءظم، مرتضى العاملى ج ١٠ ٨٤ النص التاريخى لبدر الصغرى: ص : ٨٠

نا و رأوا: أننا قد أءلفناهم، ثم أخذوا بالكيد و التهيؤ لغزوه الخندق.

كانت تلك الصوره مأخوذه من نصوص ذكرت هنا و هناك فى المصادر

المختلفه (١) أوردناها فى سياق واحد، لتكون الصوره التى يرسمها لنا المؤرخون أكثر انسجاما، و استجماعا للملامح الضرورية التى يريدون توجيه الأنظار إليها.

و قد ذكروا أيضا: أن عبد الله بن رواح، أو حسان بن ثابت قد قال فى جملة أبيات له:

وعدنا أبا سفيان وعدا لم نجد لميعاده صدقا و قد كان وافيًا (٢) .٠

١- راجع فى جميع ما تقدم، كله أو بعضه: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٥ و ٤٦٦ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٥-٢٧٧ و حبيب السيره ج ١ ص ٣٥٦ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٢ و الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٩ و ٦٠ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٦٧ و سيره مغلطاي ص ٥٣ و حياه محمد لهيكل ص ٢٧٩ و ٢٨٠ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٤٨٤-٤٩٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٣ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و الوفاء ص ٦٩٠ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٥ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٥٤ و ١٥٥ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٠ و الثقات ج ١ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٩ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٧-٨٩ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٥ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٨٤-٣٨٨ و الدر المنثور ج ٢ ص ١٠١ و ١٠٣ و ١٠٤ عن عبد بن حميد، و ابن أبى حاتم، و سعيد بن منصور، و ابن جرير، و ابن المنذر.

٢- راجع: البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٤ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢١ و مغازى الواقدي ج ١ ص ٣٨٩ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٥٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٠.

و لنا هنا مناقشات و شكوك في بعض ما ذكره، كما أن لنا بعض الإيضاحات و التحليلات التي ربما تكون مفيدة هنا، و نحن نذكر ذلك فيما يلي من مطالب، فنقول:

آيات سورة آل عمران:

قد تقدم قولهم: إن آية: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ، الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١).. قد نزلت في مناسبة بدر الموعد؛ لأن المسلمين قالوا ذلك.

و لكننا لا نستطيع قبول ذلك؛ فعدا عن تناقض الروايات في مكان نزولها: في المدينة، أو في الطريق إلى بدر، أو في بدر نفسها، كما تقدم، نسجل الأمور التالية:

الأول: قال العسقلاني، بالنسبة لآية: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ: (و الصحيح:

أن هذه الآية نزلت في شأن حمراء الأسد، كما نص عليه العماد بن كثير) (٢).

و قد روى المحدثون و المؤرخون، و المفسرون: أنها نزلت في حمراء الأسد، فراجع ما رووه عن: ابن عباس، و الحسن، و ابن جريج، و عائشه، و أبي السائب، و السدي، و قتاده، و أنس، و من طريق العوفي. و عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد.

١- الآية ١٧٢-١٧٤ من سورة آل عمران.

٢- المواهب اللدنية ج ١ ص ١٠٨ و راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ٢٦٥.

بن عمرو بن حزم (١).

و روى أيضا عن أبى رافع بطرق كثيرة، و كذا عن أبى مریم.

و عن جابر، عن الإمام الباقر (عليه السلام): أنها نزلت فى على (عليه السلام) فى حمراء الأسد (٢).

الثانى: إن سياق الآيات لا يتلاءم مع غزوه بدر الصغرى، فهى تمدح الذين استجابوا لله و الرسول من بعد ما أصابهم القرح. و ذلك إنما يناسب غزوه حمراء الأسد؛ حيث إن الذين قاموا بها هم خصوص أولئك الذين جرحوا فى حرب أحد.

أما فى بدر الصغرى، فكان قد مضى عام بكامله على تلك الجراح. و لم يكن فى بدر الصغرى نفسها حرب و لا جراح.

الثالث: إن هذه الآيات تتمدح أولئك الذين قال لهم الناس: إن الناسم.

١- تجد هذه الروايات كلها فى الدر المنثور ج ٢ ص ١٠١-١٠٣ و قد نقلها بدوره بصورة متنوعه عن المصادر التالىة: ابن إسحاق، و ابن جرير، و البخارى، و مسلم، و أحمد، و سعيد بن منصور، و ابن أبى شيبه، و ابن المنذر، و الحاكم، و ابن أبى حاتم، و البيهقى فى الدلائل، و ابن ماجه، و النسائى و الطبرانى، و عبد بن حميد، و الخطيب، و ابن مردويه.

٢- تفسير البرهان ج ١ ص ٣٢٦ و الدر المنثور ج ٢ ص ١٠٣ عن ابن مردويه. و قد يكون ثمه مبرر لاحتمال أن يكون ثمه تعمد لدعوى نزول الآيات فى بدر الموعد، من أجل إبعاد هذا الأمر عن أن يكون فيه تكريم لعلی (عليه السلام)، و إشاده بمواقفه الرساليه و الجهاديه. و قد تعودنا من هؤلاء الشىء الكثير الذى يصب فى هذا الاتجاه، كما هو معلوم.

قد جمعوا لكم فآخشوهم، فزادهم إيماناً. مع أن الروايات التي تتحدث عن قصه بدر الصغرى، قد صرح كثير منها بأن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد كرهوا الخروج إلى بدر الموعد، حتى نطقوا بتصديق قول نعيم بن مسعود، الذي كان يخذلهم و يخوّفهم، و استبشر المنافقون و اليهود، حتى بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك، و تظاهرت به الأخبار عنده، حتى خاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن لا يخرج منهم أحد.

حتى قال (صلى الله عليه وآله): و الذى نفسى بيده، لأخرجن و لو وحدى.

و قال عثمان بن عفان: لقد رأيتنا و قد قذف الرعب فى قلوبنا، فما أرى أحدا له نيه فى الخروج ..

مواقف لا بد من التأكد من صحتها:

و يذكر البعض: أن نعيم بن مسعود قدم المدينة: (و أرجف بكثره جموع أبى سفيان. أى و صار يطوف فيهم، حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين، و لم يبق لهم نيه فى الخروج، و استبشر المنافقون، و اليهود، و قالوا: محمد لا يفلت من هذا الجمع.

فجاء أبو بكر، و عمر، إلى النبى (صلى الله عليه وآله)، و قد سمعا ما أرجف به المسلمون، و قالوا له: يا رسول الله، إن الله مظهر نبيه، و معز دينه، و قد وعدنا القوم موعداً لا- نجب أن نتخلف عنه، فيرون أن هذا جبن. فسر لموعدهم، فو الله إن فى ذلك لخير.

فسر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك ثم قال: و الذى نفسى بيده، لأخرجن، و إن لم يخرج معى أحد، فأذهب الله عنهم ما كانوا يجدون، و حمل

لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله) على بن أبي طالب الخ (١).

و نقول:

إن ما يذكر هنا من موقف لأبي بكر وعمر لا يتلاءم مع سائر مواقفهما في مناسبات كهذه، فراجع موقفهما في غزوة بدر مثلاً، ثم موقفهما في الأحزاب، وخيبر، وغيرها. بالإضافة إلى فرارهما في المواطن، ومنها غزوة أحد، وهي الغزوة التي ضرب فيها الموعد لبدر الصغرى هذه!!

وقد تقدم: أن المسلمين كرهوا الخروج، وتظاهرت بذلك الأخبار عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى خاف أن لا يخرج معه أحد، وقال:

والذي نفسى بيده لأخرجن، ولو لوحدي.

وقال عثمان بن عفان: لقد رأيتنا، وقد قذف الرعب في قلوبنا فما أرى أحداً له نية في الخروج. فكلام عثمان نكره في سياق النفي يشمل حتى عمر وأببكر، فلا يتلاءم مع ما يذكر من موقفهما هنا.

فإن صح ما نقل عن الشيخين هنا، ولا أراه يصح، فإننا نجد أنفسنا أمام احتمالين، لا بد أن يكون أحدهما هو السبب و نرجح ثانيهما، وهما:

الأول: أن يكونا قد رأيا تصميم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على المسير، إلى درجة عرفا أنه (صلى الله عليه وآله) لن يتراجع عن قراره بأى ثمن كان، ولو كان وحده.

فموقفهما هذا لن يكون له أثر في ذلك، وسوف يكون مفيداً في تسجيل موقف إيجابى لهما، يمكن أن يكون مفيداً لهما في تحسين موقعهما عند.

النبي (صلى الله عليه وآله) و المسلمين، و لا سيما بعد فرارهما فى أحد، و بعد مشورتها المتخاذله فى بدر.

الثانى: إنهما ربما يكونان قد وقفا من نعيم بن مسعود، أو من غيره على حقيقه أمر أهل مكه، و أنهم خائفون من مواجهه النبي (صلى الله عليه وآله) و المسلمين بالحرب، لا سيما مع ما نلمحه من وجود قدر من التفاهم و الانسجام فى المواقف أحيانا، كما تقدم فى غزوه بدر، حول الاستشاره فى الحرب، ثم فى قصه الأسرى، و بعد ذلك فى غزوه أحد حينما وضعنا بعض علامات الاستفهام حول تحركات الخليفه الثانى.

و الخلاصه: أنهما إذا كانا قد علما بحقيقه أمر المشركين، فهما يعلمان مسبقا: أن خروج النبي (صلى الله عليه وآله) و المسلمين إلى بدر الموعد لن يشكل أى خطر على مشركى قريش، إلا من الناحيه الإعلاميه و السياسيه و النفسيه. كما أنهما نفسيهما سوف لا يواجهان أى خطر يخشيانه، و لو فى ضمن زحمه المعركه، كما قد حصل فى أحد.

الأفراج و الأتراج:

إننا- و إن كنا نقدر الواقدي فى حدود معينه، و نراه منصفًا شيئا ما، و هو من حيث نقله ينقل سيره النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) و (آله)- بصوره أفضل و أدق مما ينقلها البعض، و لكننا نعتب عليه أحيانا- ليس لأجل إيراده ما ثبت بالدليل القاطع زيفه، أو التزويد فيه من الرواه، فإن ذلك أمر مألوف و معروف، و لم ينج منه مؤلف فى قضايا التاريخ و غيرها- بل لأجل وقوعه أحيانا- كغيره- فى المتناقضات، أو فريسه لأصحاب الأهواء، و أهل

الزبيغ من الحاقدين و الموتورين، و قد وقع هنا فى هذا الخطأ بالذات، حين صور لنا أن المشركين كانوا يعيشون أفراح التأهب لحرب بدر الموعد، و كان المسلمون يعيشون الأتراح، و يهيمن عليهم الرعب و الخوف و الجبن، فهو يقول عن المشركين: (و تهيأوا للخروج، و أجلبوا. و كان هذا عندهم أعظم الأيام، لأنهم رجعوا من أحد و الدوله لهم، طمعوا فى بدر الموعد أيضا بمثل ذلك من الظفر) (١).

و يقول عن المسلمين: (فيقدم القادم على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فيراهم على تجهز، فيقول: تركت أبا سفيان قد جمع الجموع، و سار فى العرب ليسير إليكم لموعدكم، فيكره ذلك المسلمون، و يهيئهم ذلك) (٢).
و نقول:

قد ذكرنا فى بدايه الحديث: أن المشركين لم ينتصروا فى أحد، بل انهزموا هزيمه نكراء.

و قد اتضح لديهم: أن ما جرى على المسلمين آنذ لن يتكرر فى المستقبل، لأن ذلك إنما نشأ عن عدم الانضباطيه لدى الرماه، الذين كانوا يحرسون فى الجبل، و لم يكن بسبب ضعف فى القدرات الحربيه، و لا لجبن فى المقاتلين، أو خور فى عزائمهم، و لا بسبب تفرق الأهواء، و لا لأجل نقص فى كفاءه القياده.٥.

١- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٨٤.

٢- المغازى للواقدي ج ١ ص ٣٨٥.

و إنما هو مجرد خطأ شخصى أعقبته حركة قتاليه فريده، تجلت فيها كفاءات لا يمكن مواجهتها، فى أى زمان أو مكان، و لا سيما من على أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم بعض من لحقه من الصحابه الأخيار.

فلا معنى إذن: لابتهاج المشركين بحرب، لو كانت تشبه حرب أحد، فذلك يعنى الدمار الكامل و الشامل لهم.

و أما بالنسبه لحاله المسلمين، التى تحدث عنها الواقدى، فنحن لا نوافق المؤرخين، و لا المحدثين على ما ذكروه من خوف شامل فى المسلمين من مواجهه المشركين فى بدر الموعد؛ إذ لم يكن ثمه مبرر لذلك، لا- سيما بعد أن حقق المسلمون انتصارات رائعه و مثيره على المشركين فى بدر و أحد، رغم خطأ الرماه الذى تسبب بحدوث كارته.

ثم إنهم بجهد على (عليه السلام) تلافوا الخطأ و هزموا عدوهم.

هذا بالإضافة إلى انتصاراتهم على اليهود، ثم تحركهم فى المنطقه بصوره زادت من هيمنتهم و نفوذهم، و جعلتهم أكثر قوه و شوكة و ثقه بالمستقبل.

و لنا أن نتساءل: إذا كان المسلمون ارتعبوا حتى خاف النبى (صلى الله عليه و آله) أن لا يخرج معه أحد، فكيف ارتفع هذا الخوف عنهم، حتى خرج من الشجعان معه ألف و خمس مئه رجل، مع أن الذين خرجوا معه إلى أحد؛ ليدافعوا عن بلدهم المدينه، كانوا ألف رجل (رجع منهم ثلاث مئه مع ابن أبى) مع الإشاره إلى أن عدد المسلمين لم يكن يزيد عن الخارجين معه إلا يسيرا.

و هل يمكن أن يذكر لنا التاريخ اسم واحد من أولئك الذين تخلفوا عن الخروج خوفا و جبنًا؟!

أما مشركو مكة فقد تقلص نفوذهم في المنطقه بدرجه كبيره، و تشكك كثير من الناس في قدرتهم على تحقيق نصر حاسم على المسلمين بسهوله، لا سيما بعد الهزائم سياسيا و عسكريا التي لحقت بهم حسبما أشرنا إليه، ثم ما تتعرض له قوافلهم التجاريه، و عدم قدرتهم على توفير الأمن لها، بالإضافة إلى توسع منطقته نفوذ المسلمين و تحالفاتهم، على حساب ما كان لهم من نفوذ و تحالفات.

و لعل ما يقال: عن رعب في المسلمين و تلكؤ قد أريد له أن يجسد المصداق للآيات التي تتحدث عن تخويف الناس لهم، مع أن الآيات تذكر تكذبا لهذه الشائعه، و أن هذا التخويف قد زاد المسلمين إيمانا و تصميمًا، و مع أن الآيات إنما نزلت في غزوه حمراء الأسد.

و لعله قد أريد ترتيب أجواء مناسبة، ليقدم أبو بكر و عمر مشورتهم بلزوم المواجهه، لتظهر شجاعتهم دون سائر المسلمين، و ليعوضهما ذلك بعض ما كانا قد فقدها في حالات سابقه.

و لعل فيما ذكرناه كفايه لمن أراد الرشد و الهدايه.

المجتمع المفتوح:

و قد قرأنا فيما تقدم: أن نعيم بن مسعود الأشجعي، قد ذهب إلى المدينه بهدف تخذيل المسلمين عن الخروج إلى بدر الموعد. و لعل تردد المشركين إلى المدينه بتجاراتهم، و متابعه شؤونهم و مصالحهم، هو من الأمور الواضحه و البديهيه تاريخيا.

و ربما يحمل ذلك بعض السلبيات للمسلمين أحيانا، كما لوحظ في هذه

المره، التي قام فيها نعيم بدور مخرب، و مضر جدا.

و لكن من الواضح: أن الإسلام و هو يريد للآخرين، الذين يناوئونه أن يعيدوا النظر فى مواقفهم، فتره بعد أخرى، فكان بعيدا عن أجواء التشنج يفسح لهم المجال للتعامل مع المسلمين بصورة مباشره، ليتمسوا بأنفسهم و بصورة عمليه و ميدانيه محاسن الإسلام، و آدابه، و سياساته، و كل آفاقه بحريه تامه، و من دون الاعتماد على الشائعات، و لا على الإعلام الموجه الذى قد يتحفظ الكثيرون تجاهه، لأنهم قد يتخيلونه غير قادر على أن يعكس بعض الواقعيات بدقه و أمانه.

ثم إن هذا التعامل الطبيعى و الحر من شأنه أن يزيل عقدا كثيره ربما لا يمكن إزالتها بدونه، بل هى قد تزيد رسوخا و تجذرا، و تراكم حولها و فيها الأدران إلى درجه كبيره و خطيره، إذا كانت الأبواب موصده أمامهم، و لا يعرفون عن الإسلام و المسلمين إلا نتفا قد تتسرب - لسبب أو لآخر - فتصل إليهم سليمه أو مشوهه، حسب الظروف.

و بعد .. فإن الإسلام واثق من كل ما لديه، و ليس ثمه شىء محرج له على الإطلاق، لا فى المجال العقيدى، و لا التشريعى، و لا السلوكى، و لا فى دائره الدوافع و النوايا، و لا فى محيط المرامى و الأهداف، و لا فى غير ذلك من مجالات.

و أما ما ينشأ عن التعامل مع المشركين من سلبيات أحيانا، فإنه يمكن تلافيه، و لا أقل يمكن التقليل من آثاره و أخطاره من خلال تحصين الأئمه بالوعى، و بالإيمان، و بالتربيه الصالحه فى مختلف المجالات. بالإضافة إلى الدور الأساسى و المحورى، الذى تقوم به القياده المؤهله - وحدها - لأن

تهدى الأمة، و تقودها إلى الفلاح، و السداد و النجاح، و هى قياده الأنبياء، و الأئمه المعصومين (عليهم الصلاه و السلام).

استخلاف ابن أبى العدينه:

و قد ذكر فى ما تقدم: أن هناك من يقول: إن النبى (صلى الله عليه و آله) قد استخلف عبد الله بن أبى بن سلول على العدينه، حين سار إلى بدر الموعد.

و نحن نشك: فى صحه ذلك و نرجح أن يكون ابن رواحه هو المستخلف عليها، كما ذكرته نصوص كثيره أخرى؛ إذ من البعيد أن يستخلف النبى (صلى الله عليه و آله) رأس النفاق، ذلك الرجل الذى كان يميل إلى المشركين و اليهود أكثر مما كان يميل إلى المسلمين، و لم تزل تظهر منه فلتات و كلمات خطيره، لو أراد النبى (صلى الله عليه و آله) أن يجازيه عليها، لم يكن جزاؤه أقل من القتل؛ و إنما استخلف (صلى الله عليه و آله) عليا (عليه السلام) فى غزوه تبوك خوفا من تحرك المنافقين فيها كما سنرى إن شاء الله.

إلا- أن يقال: إن من الممكن أن يكون النبى (صلى الله عليه و آله) يريد أن يتألفه بذلك، كما كان يتألف غيره بإسناد بعض المهام إليهم.

قوه الإسلام:

قال الواقدى: (و أقبل رجل من بنى ضميره، يقال له: مخشى بن عمرو- و هو الذى حالف رسول الله (صلى الله عليه و آله) على قومه، حين غزا رسول الله (صلى الله عليه و آله) و دان فى المره الأولى- فقام- و الناس مجتمعون فى سوقهم، و أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) أكثر أهل ذلك الموسم- فقال: يا محمد، قد أخبرنا: أنه لم يبق منكم أحد، فما أعلمكم

إلا أهل الموسم!

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ ليرفع ذلك إلى عدوه من قريش:

ما أخرجنا إلا موعد أبي سفيان، وقاتل عدونا، وإن شئت مع ذلك - نبذنا إليك، و إلى قومك العهد، ثم جادلناكم قبل أن نبرح من منزلنا هذا.

فقال الضمري: بل نكف أيدينا عنكم، و نتمسك بحلفك. و سمع بذلك معبد بن أبي معبد الخزاعي، فانطلق سريعا، و كان مقيما ثمانية أيام، و قد رأى أهل الموسم، و رأى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، و سمع كلام مخشى؛ فانطلق حتى قدم مكة، فكان أول من قدم بخبر موسم بدر. فسألوه فأخبرهم بكثرة أصحاب محمد، و أنهم أهل ذلك الموسم، و ما سمع من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) للضمري.

و قال: محمد في ألفين من أصحابه الخ ..

قال البيهقي: فأفزعهم ذلك، ثم يذكر ملامه صفوان بن أميه لأبي سفيان (١).

و قد يستشف البعض من هذه القضية: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أحس من مخشى بن عمرو: أنه قد قال ذلك على سبيل الاستهزاء و السخرية؛ فقابله النبي (صلى الله عليه وآله) بهذا الأسلوب (٢). ٥.

١- مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٨٨ و راجع: السير النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٦٩ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و السير النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٣٢٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٠٣ و ٢٠٤ و دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ٣٨٥ و ٣٨٧.

٢- سيره المصطفى ص ٤٥٥.

و من الواضح: أنه (صلى الله عليه و آله) لم يكن لينقض العهد، و لا- يباشر حربا مع أحد إلا إذا اضطرت الظروف و كان مع ذلك لين الطبع كريم النفس، قد بلغ الغايه من النبل و الأخلاق الكريمه، حتى أنزل الله فيه: **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (١)**.

و بعبارة أخرى: إنه إنما اتخذ هذا الموقف من أجل أن يعيد إلى ذلك الرجل توازنه، و ليفهمه: أن الأمور أعمق و أخطر من أن يتلاعب و يستخف بها قاصرو النظر، الذين لا يشعرون بالمسؤوليه، و لا يحسنون فهم الأمور.

و نقول:

إن كلام مخشى بن عمرو لا- يوحى بأنه كان فى مقام الاستهزاء، غير أن من الواضح: أن هذا الرجل، كان يسعده أن يرى المسلمين و قد أبيدت خضراؤهم، و قتلت رجالهم، و سيئت نساؤهم، و لعله صدق ما بلغه من ذلك، ثم فوجئ بعكس ما كان يتوقعه و سمع به. فجاء ليعرف السر فى ذلك، و كأنه كان على قناعه بأن مشركى مكه قادرون على ذلك، و أن المسلمين على درجه كبيره من الضعف و الوهن فى قبال المشركين.

و ربما يكون ما جرى فى أحد، الذى لم ينقل إليه، و الى سائر الناس، فى صورته الحقيقيه قد عزز هذه القناعه لديه، لأنه إنما وقف على نتائج حرب أحد، و لم يعرف ملابساتها، و أنها لم تكن نتيجة ضعف حقيقى فى عزمه المسلمين، و لا لتخاذل منهم فى ساحه الحرب و الجهاد، و بذل المهج، و خوض اللجج فى سبيل الله سبحانه، كما أنه لم يكن لأجل قوه متميزه فى ٥.

جانب عدوهم جعلته يتتزع النصر انتزاعا استنادا إلى قوة السيف، و السنان، و ثبات في العزيمه، و شجاعه في الجنان، كما ربما يحاول القرشيون أن يشيعوه.

فأراد رسول الله الأعظم (صلى الله عليه و آله): أن يبدد هذه الغشاوه عن بصره و بصر كل من يسمعون، أو سوف يبلغهم هذا القول، و يواجهه بالحقيقه الناصعه، و يقول له: إنه (صلى الله عليه و آله) ليس فقط قادرا على سحق قريش بكل ما لديها من حشد و عتاد و قوه، و إنما هو على استعداد لمواجهةها و معها كل من يلتقون معها و يشاركونها الموقف و الرأي، و البغى على الإسلام و المسلمين.

و قد أساءت قريش لنفسها حينما صورت للناس ضآله أمر المسلمين، و ضعفهم، فها قد انكشفت للناس أكاذيبها، و رأى الناس حتى القادمون من تجار و غيرهم بأم أعينهم قوه المسلمين، و عزتهم.

فإذا كان مخشى، قومه، بل و كذلك سائر القبائل التي حضرت ذلك الموسم التجارى الواسع، قد تحركت في نفوسهم نوازع خيانيه، أو خالجتهم أحاسيس حول ضعف المسلمين، أو شعروا: أن لقريش بعض القوه بسبب ما جرى في أحد، فإن عليهم أن يتأكدوا من صحه تصوراتهم و معلوماتهم قبل أن يقدموا على أى عمل، أو يتخذوا أى قرار.

فهناك أمور قد خفيت عليهم حتما و جزما. و ما جرى في أحد لا يمكن أن يكون معيارا و ميزانا، و لا يفيدهم شيئا في حسابات الربح و الخساره، و النصر و الهزيمه، و القوه و الضعف.

فقولهم: إنه (صلى الله عليه و آله) إنما أراد بذلك مقابله حاله الاستهزاء و السخرية بالتهديد بنقض العهد لا يصح، فإن جوابه (صلى الله عليه و آله)

لا يتلاءم و هذا الأمر؛ و ذلك لأنه (صلى الله عليه و آله) قد أعطى لمخشى و قومه حريه التصرف فى هذا الاتجاه، و اكتفى هو بالاحتفاظ لنفسه بحق.

المقابله بالموقف الحازم و الحاسم لو نقض الآخرون عهدهم. و ذلك ظاهر لا يخفى.

لا بد من الندم:

إن من الواضح: أن ما أقدم عليه أبو سفيان فى نهايه حرب أحد، حيث قطع على نفسه وعدا بلقاء المسلمين بعد عام فى بدر الصغرى، كان خطأ فاحشا، و رأيا فظيرا، تعوزه البصيره بالأمر، و الواقعيه فى النظره و فى الموقف.

و ذلك لأن المسلمين، بعد ما جرى فى أحد، قد أصبحوا أكثر تصميميا على توجيه ضربه موجعه و قويه لكبرياء قريش، بعد أن وترتهم فى حرب أحد، التى لا بد أن يكون المسلمون قد استفادوا منها الدروس و العبر، و لن يسمحوا أبدا بتكرار الخطأ الذى وقعوا فيه فيها، مهما كان الثمن.

و قد أدرك أبو سفيان خطأه الكبير ذاك، و لكن بعد فوات الأوان، و كان صفوان بن أميه قد نبهه إلى ذلك فلم يلتفت إليه.

و ذلك لأن المشركين، و إن كانوا قد فاجأوا المسلمين فى بلادهم، و لم يجدوا الفرصه للإعداد و الاستعداد، و لكن المشركين لم يحققوا ما حققوه فى تلك الحرب نتيجة لتنامى قدراتهم القتاليه، و لا لأجل ضعف فى المسلمين.

و ذلك لأن القوى و إن لم تكن متكافئه بين الفريقين من حيث العدد و العده، إلا أن حرب بدر قد أثبتت للجميع: أن ذلك ليس هو الفيصل فى الحرب، و ليس هو الذى يقرر نتائجها.

هذا بالإضافة إلى أن حرب أحد نفسها قد أثبتت للمشركين: أن نتائج هذه الحرب - لو استمرت - لن تكون أفضل من نتائج حرب بدر، لو لا - الخطأ الذى ارتكبه الرماة على الجبل حيث جعلهم النبى (صلى الله عليه و آله) هناك ليمنعوا من حصول أى تسلل محتمل للعدو فتركوا مراكزهم، من أجل الحصول على بعض الغنائم، ثم تسلل المشركون من ذلك الموضع بالذات، و أوقعوا بالمسلمين الذين كانوا قد انصرفوا عن الحرب إلى جمع الغنائم، حسبما أو ضحناه فى غزوه أحد فى جزء سابق.

و حتى بعد أن بدأ المسلمون يستعيدون وضعهم القتالى، فإن المشركين أحسوا بالخطر الدايم، فأثروا ترك ساحه القتال و الانصراف إلى مكه.

فلو كان بإمكانهم تسجيل نصر حاسم، فلن يجدوا المسلمين فى حاله أضعف من حاله التى هم عليها الآن، و قد كان يهمهم جدا إنهاء أمر المسلمين، و القضاء عليهم نهائيا و الى الأبد.

و حتى حينما كان أبو سفيان يطلق و عوده باللقاء فى بدر من العام المقبل، متبجحا بما تحقق لهم فى معركة أحد، فإنه لم يكن فى موقع يمكنه من حسم الأمر لصالحه و لصالح المشركين آنئذ.

و قد أدرك فى وقت متأخر: أن الخطأ الذى وقع فيه المسلمون فى أحد ربما لن يتكرر فى المستقبل، مع إدراكه أن أى حرب سيخوضها ضد المسلمين، سوف يكون المسلمون فيها أكثر استبسالا و أعظم بلاء من ذى قبل.

كما أنهم سوف يكونون أكثر التزاما بأوامر قيادتهم الإلهيه، بعد أن صح لهم أن تلك القيادة لا تنقصها الحكمة و لا الشجاعه، و لا التدبير، و قد لمسوا صوابه مواقفها، و بعد نظرتها إلى الأمور، و دفعوا ثمن التساهل فى الالتزام

بأوامرها غالبا، و غالبا جدا.

و من هنا: فإننا لا نفاجأ إذا رأينا المسلمين يصرون على الاحتفاظ بزمام المبادرة، و على الهيمنة العسكريه على المنطقه.

و كان لا بد لأبى سفيان من الاحتفاظ بماء الوجه، و لو شكليا، و لكنه فشل فى ذلك، حتى اضطر إلى أن يتراجع، و يخلف فى وعده، متذرا بما لا يخفى على أحد و هنه و عدم واقعيته. حتى إن أهالى مكه أنفسهم كانوا يتندرون بما حدث، و يسمون جيشهم المهزوم روحيا و نفسيا، بأنهم جيش السويق، أى أنهم خرجوا لشرب السويق فى الطريق، لا للحرب، و القتال.

و لو كان العام عام جذب فعلا، فلماذا خرج أبو سفيان بهذا الجيش الكثيف من مكه؟ ألم يكن يدرى حين جهز جيشه بهذا الجذب الذى زعمه، ثم اكتشفه بعد أن قطع مسافه من الطريق، و بلغ إلى مجّته من ناحيه مّر الظهران؟!.

الانتظار ثمانية أيام:

و إذا كانت بدر تستضيف الكثيرين الذين يأتونها من مناطق مختلفه، لأجل السوق؛ فإن حضور المسلمين فى هذا السوق على هذه الصوره الملفته و المثيره، لسوف يكون له تأثيره القوى على الناس الذين يعيشون فى المناطق على اختلافها. خصوصا إذا لاحظ الناس هذا الإصرار من المسلمين على لقاء عدوهم، حتى إنهم لينتظرون ثمانية أيام، ثم يتخلف عدوهم عن الحضور، رغم أنه كان هو الطالب و الراغب بمناجزه المسلمين و قتالهم فى هذا الموضع.

و إذا كان هذا العدو هو مشركو مكة؛ بما لها من هيبة، و نفوذ، و ليس عدوا عاديا من سائر القبائل، فإن القضية سوف تصبح أكثر حساسية بالنسبة لأولئك الناس، و لسوف يكون لها أكثر من مغزى عميق و دقيق، و أكثر من أثر سلبي و إيجابي على مشاعرهم و أحاسيسهم، و على نظرهم إلى المستقبل، بصورة عامة.

و هكذا: فإن الكل سوف يدرك أن ما جرى في أحد لم يؤثر و لم يغير في المعادله شيئا، إن لم نقل: إنه قد كانت له آثار سلبية على المشركين، و إيجابيه على المسلمين كما هو ظاهر.

الإتجار في بدر الموعد:

إن البعض قد رأى: أنه من غير المعقول أن يحمل المسلمون معهم إلى بدر بضائع للتجاره، ما داموا ذاهبين إلى القتال، و إلى منطقته يجتمع فيها خلائق من الناس الذين يلتقون مع قريش في أهدافها، و في عقائدها و مواقفها تجاه الإسلام و المسلمين.

إذن .. فموضع لقاء المسلمين بالمشركين ليس هو بدر التي هي سوق للعرب.

كما أنهم قد ذهبوا إلى الحرب بلا بضائع، و ليس لأجل البيع و الشراء (١).

و نقول:

إننا لا نستطيع أن نوافق هذا الباحث على رأيه المشار إليه، و ذلك لأن ٤.

سوق بدر لم يكن المجتمعون فيه مستعدين لخوض حرب تحتاج إلى تجهيزات كثيره و متنوعه، من خيول و دروع و أعتده مختلفه.

كما أن سيطره الجيش الإسلامى على الموقف سوف تمنحه الفرصه للتعامل مع الآخرين و عقد الصفقات التجاريه بكل طمأنينه و ثقه.

أضف إلى ذلك: أن جهاز الاستخبارات الإسلامى كان من القوه بحيث إنه كان يرصد أى تحرك يحصل فى مختلف أنحاء الجزيره العربيه على اتساعها و ترامى أطرافها، و ينهيه إلى الرسول الأكرم فى الموقع المناسب.

و يدل على ذلك: أنا نجد النبى (صلى الله عليه و آله) يفاجئ أعداءه، الذين يتآمرون، و يتأهبون لقتاله، و هم غارون، و قبل أن تصدر منهم أيه بادره أو أن يجدوا الفرصه لأى تحرك و التفاف، و لو من خلال إعادته تنظيم أمرهم، و لم شعثهم.

فجهاز الاستخبارات هذا لا يعجز عن رصد حاله الناس فى تلك السوق. كما أنه لا يعجز عن موافاه النبى (صلى الله عليه و آله) فى الوقت المناسب بحقيقه نوايا قريش، و ما أزمعت عليه من كيد و مكر إعلامى فاشل.

و من الجبهه الأخرى: فإن المسلمين كانوا و ما زالوا رغم حروبهم مع أعدائهم منفتحين حتى على أولئك الأعداء فى النواحي التجاريه و الإنمائيه.

حتى إننا لنجد تجار المشركين لا يزالون يترددون على المدينه بتجاراتهم المختلفه.

و يحدثنا التاريخ: أن النبى (صلى الله عليه و آله) نفسه كان يشجع هذا التوجه بصوره عامه. كما أوضحناه فى كتابنا: السوق فى ظل الدوله

الإسلاميه، فراجع.

و يكفى أن نذكر: أنه (صلى الله عليه و آله) قد أطلق الصناعات و أصحاب الحرف فى خير ليبتفع بهم المسلمون، كما سيأتى حين الحديث عن غزوه خير.

فالجيش الإسلامى إذن لا- بد أن يقدم نموذجاً من الوفاء و التضحية و الانضباطيه أولاً. كما أنه فى نفس الوقت يقيم علاقات تجاريه مع الآخرين، و يتعامل معهم بطريقه سليمه و عفويه، و بريئه، من خلال إحساسه بالثقه و بالقوه و الثبات.

أضف إلى ذلك: أن المسلمين كانوا يشكون فى وفاء أبى سفيان بالوعد، قال: موسى بن عقبه: (و خرجوا ببضائعهم، و قالوا: إن لقينا أبا سفيان فهو الذى خرجنا له، و إن لم نلقه ابتعنا ببضائعنا) (١).

و من يدري فلعل النبى (صلى الله عليه و آله) نفسه قد طلب من المسلمين ذلك، من أجل خدمه تلك العلاقات و الروابط بالذات، و من أجل أهداف تدخل فى نطاق الحرب الإعلاميه و النفسيه للأعداء، و إعطاء فرص إيجابيه إلى أولئك الآخرين الذين كانوا ينتفعون من هذه الفرص لتركيز قناعاتهم، و تبلور مفاهيمهم عن الإسلام و المسلمين، الأمر الذى ستكون له إيجابياته فى المستقبل.

غزوه دومه الجندل:

إيضاحات:

١- دومه الجندل: مدينه بينها و بين دمشق خمس ليال، و تبعد عن المدينه ٥.

١- تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٣ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٨٩ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٨٥.

خمس عشره أوست عشره ليله. و هي بقرب تبوك (١).

و قيل: دومه الجندل: اسم حصن (٢).

٢- صاحب دومه الجندل هو أكيدر بن عبد الملك الكندي، و هو يدين بالنصرانيه، و هو فى طاعه هرقل ملك الروم (٣).

٣- هذه الغزوه أول غزوات النبي (صلى الله عليه و آله) إلى الروم (٤).

٤- قال المقدسى عن سنه خمس من الهجره: (و هي سنه الزلازل) (٥).

تاريخ هذه الغزوه:

صرح البعض: بأن دومه الجندل كانت فى أواخر السنه الرابعه (٦).

و قال بعض آخر: إنها كانت بعد غزوه ذات الرقاع بشهرين و أربعه أيام (٧).

و ثالث يقول: إن الخندق كانت فى السنه الرابعه، و دومه الجندل بعدها ٩.

١- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ عن ابن سعد، و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٧ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و نهايه الأرب ج

١٧ ص ١٦٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٨ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٢ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦٢ و تاريخ الإسلام

للذهبي (المغازى) ص ٢٣ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٤ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٦.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩.

٣- التنبيه و الإشراف ص ٢١٥ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧.

٤- البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٤.

٥- التنبيه و الإشراف ص ٢١٥.

٦- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٧.

٧- نقله فى تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩.

فى الخامسة (١).

و الأكترون على أنها كانت فى السنه الخامسة فى شهر ربىع الأول منها (٢).

و عند ابن سعد: فى شهر ربىع الأول على رأس تسعه و أربعين شهرا من مهاجره (٣).

هذه الغزوه:

قال البعض: (أراد رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يدنو إلى أدنى الشام، و قيل له: إنها طرف من أفواه الشام؛ فلو دنوت لها كان ذلك مما يفرع قيصر الخ ..) (٤).

١- تاريخ مختصر الدول ص ٩٥.

٢- راجع ما يلى: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٧ و ١٧٨ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٢ و نقل عن الواقدى: أنها فى ربىع الآخر. و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٧ و الجامع للقيروانى ص ٢٨١ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و شذرات الذهب ج ١ ص ١١ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٢ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤١ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٢ و المغازى للواقدى ج ١ ص ٤٠٢ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٦.

٣- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦٢ و نهايه الإب ج ١٧ ص ١٦٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٨.

٤- مغازى الواقدى ج ١ ص ٤٠٣ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٧ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٢ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٠.

وقال بعض آخر: إنهم كانوا يعترضون المسافرين إلى المدينة و تجارهم (١).

غير أن جمعا آخر من المؤرخين يقولون: إنه (صلى الله عليه و آله) سمع أن جمعا من قضاة و غسان تجمعوا بكثرة في دومة الجندل. و كان بها سوق عظيم، و تجار، بلغ رسول الله (صلى الله عليه و آله): أنهم يظلمون من مر بهم. و أنهم يريدون أن يدنوا من المدينة.

فاستخلف (صلى الله عليه و آله) على المدينة سباع بن عرفطه الغفارى- و عند المسعودى: استخلف ابن أم مكتوم- و خرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول فى ألف من أصحابه.

فكان يسير الليل و يكمن النهار، و معه دليل من بنى عذرة يقال له مذكور. و قد نكب عن طريقهم، فلما كان بينه و بين دومه يوم قال الدليل:

يا رسول الله، إن سوائهم ترعى عندك؛ فأقم حتى أنظر.

و سار مذكور حتى وجد آثار النعم؛ فرجع و قد عرف مواضعهم؛ فهجم النبى (صلى الله عليه و آله) على ماشيتهم؛ فأصاب من أصاب، و هرب من هرب فى كل وجه.

و جاء الخبر إلى دومه الجندل، فتفرقوا، و رجع النبى (صلى الله عليه و آله).

و فى نص آخر: و نذر به القوم، فتفرقوا؛ فلم يجد إلا النعم و الشاء، فهجم على ماشيتهم و رعاتهم فأصاب من أصاب، و هرب من هرب فى كل وجه، و جاء الخبر أهل دومه، فتفرقوا. ٥.

و نزل (صلى الله عليه و آله) بساحتهم، فلم يلق بها أحدا؛ فأقام بها أياما، و بث السرايا، و فرقها؛ فرجعوا و لم يصادفوا منهم أحدا و رجعت السريه بالقطعه من الإبل.

فرجع (صلى الله عليه و آله)، و دخل المدينة فى العشرين من ربيع الآخر، فكانت غيبته خمسا و عشرين ليله (١).

و قال المقدسى: (إن التجار و السابله شكوا أكيدر الكندى عامل هرقل عليها، فسار إليها فى ألف رجل، يسير الليل و يكمن النهار، و أحس بذلك أكيدر فهرب، واحتمل الرحل، و خلى السوق، و تفرق أهلها، فلم يجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) أحدا، فرجع) (٢).

كانت تلك صورته عما يقوله المؤرخون عن هذه الغزوه قد جمعنا).

-
- ١- راجع ما تقدم كله أو بعضه فى المصادر التاليه: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ و طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦٢ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٧ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤١ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و حياه محمد لهيكل ص ٢٨١ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و الوفاء ص ٦٩١ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٢ و الثقات ج ١ ص ٢٦٠ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٥ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٧ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢١٢ و المغازى للواقدي ج ١ ص ٤٠٣ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١٠٨ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٢ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٧ و السيره النبويه لدحلان ج ١ ص ٢٦٦ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٠ و ٣٩١.
- ٢- البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٤ و أشار إليه الذهبي فى تاريخ الإسلام (المغازى) ص ٢١٢ (السابله: عابر و السيل).

شتاتها، و ألفنا بين متفرقاتها و مختلفاتها، فراجع المصادر التي في الهوامش.

و قبل أن نواصل الحديث نتوقف قليلا لنسجل بعض الملاحظات و التحفظات فنقول:

مده غيبته صلى الله عليه و آله عن المدينة:

قولهم: إن مده غيبته (صلى الله عليه و آله) عن المدينة في هذه الغزوه كانت خمسا و عشرين ليله لا يصح.

لأنهم يقولون: إن دومه الجندل تبعد عن المدينة مسافه خمس عشره أو ست عشره ليله (١)، فالذهاب و الإياب منها و إليها لسوف يستغرق أكثر من شهر.

يضاف إلى ذلك: أنه كان يسير الليل و يكمن النهار، فقد يحتاج المسير إليها و الحاله هذه إلى أكثر من ذلك أيضا.

هذا بالإضافة إلى أنهم يقولون: إنه أقام بها أياما يث السرايا، فكيف تكون مده غيبته عن المدينة خمسا و عشرين ليله فقط؟!.

رجوع النبي صلى الله عليه و آله قبل بلوغ دومه!!

قد ادعى البعض، كابن هشام: أن النبي (صلى الله عليه و آله) رجع قبل أن يصل إلى دومه الجندل (٢).^٥

١- تقدمت مصادر ذلك في أول هذا الفصل تحت عنوان: إيضاحات.

٢- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٧٧ عن ابن إسحاق و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٢ و دلائل النبوه ج ٣ ص ٣٩٠.

وقد يكون لنا الحق في أن نشك في صحه هذا القول، ما دام أنه يعطى انطبعا سلبيا عن حاله المسلمين، فإن الرجوع لا بد أن يكون لأحد سببين، أو كليهما، و كلاهما مرفوض.

و هما:

الأول: إنه خاف من التعرض لقيصر، فإنه قد راجع حساباته في الطريق؛ فأدرك أن هذا في غير صالحه؛ فأثر الرجوع، و لو تسبب ذلك بنوع من الشعور بالضعف لدى المسلمين، و سوف يؤكد ذلك هيبه ملك الروم في نفوسهم، و هذا مما لا يمكن قبوله في حق النبي (صلى الله عليه و آله).

الثاني: إنه قد أحس بأن المدينه تتعرض لخطر من نوع ما في حال غيابه عنها، سواء من داخلها، من قبل المنافقين و اليهود و غيرهم ممن لم يسلم حتى الآن، أو من خارجها، من قبل قريش و من معها من المشركين المتربصين حول المدينه، و في سائر المناطق.

و هذه أيضا نقطه ضعف أخرى، كان من المفروض أن يكون (صلى الله عليه و آله) قد حسب حسابها، و أعد العده لمواجهتها، قبل أن يخرج من المدينه. فلا يمكن أيضا قبول هذا السبب لما يتضمنه من نسبه القصور أو التقصير- و العياذ بالله- إلى ساحه قدس النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله).

التوجيه الأقرب:

و إذا صح أنه رجع و لم يبلغها، فالأظهر أنه قد بلغه أن أهلها قد عرفوا بمسيره إليهم، ففتحوا عنها إلى جهه غير معلومه، بحيث لم يعد ثمة فائده من المسير إليهم.

لكن الذى يعترض طريق قبول ذلك هو تلك التفاصيل الكثيره و الدقيقه التى يذكرها المؤرخون مما كان قد حصل فى غزوه دومه الجندل.

و لا سيما مع تصريحهم، بأنه لما كان بينه و بين دومه الجندل يوم، قال الدليل: يا رسول الله الخ .. و تصريحهم بأنه أقام أياما يبيت السرايا فى النواحي.

فالأقرب أن يقال: إن هؤلاء الذين ادّعوا: أنه قد رجع قبل أن يبلغها قد غلطوا فى ذلك و ليس الغلط من مثل هؤلاء بعزير.

و نسجل هنا ما يلى:

ألف: إننا نلاحظ: أن النبى (صلى الله عليه و آله) يختار المسير ليلا و الكمون نهارا، ليتمكن له مفاجأه العدو، و أخذه على حين غره، فيحقق بذلك الغرض من دون أن يتكبد المسلمون خسائر كبيره، لو أن المشركين كانوا مستعدين للحرب، عارفين بمسير المسلمين إليهم.

و يكون بذلك قد قدم لنا أيضا مثلا فى التدبير الحربى السليم، الذى يوفر مزيدا من الفرص لتسجيل النصر الحاسم، من خلال الاستفاده من عنصر التخفى فى التحرك نحو الهدف المطلوب.

ب: إن تحرك النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمين، كان بهدف الحفاظ على حريه حركه الناس، و ضرب مصدر المتاعب حينما أصبحت طرق المواصلات و الإمدادات و التموين، الذى يأتى عن طريق التجاره مع المناطق الشماليه كسوريه و ما والاها غير آمنه. إنه (صلى الله عليه و آله) قد تحرك ليصبح طريق الناس آمنا، و ليتمكنهم من أن يتواصلوا و ينفع بعضهم بعضا من خلال نقل التجارب و المعارف، و نقل المنتجات، و غير ذلك.

و هذا يشير إلى أن حق الحرية هذا مقدس، و لا- يمكن المساس به من أى كان، و أنه لا يمكن للحاكم العادل أن يقف تجاه انعدام الأمن موقف اللامبالاه، و يعتبر أن ذلك لا- يعينه، و إنما هو مسؤوليه غيره، بل عليه أن يبادر إلى تحمل مسؤوليه حمايه حريه الناس فى تحركاتهم، و ترددهم بتجاراتهم و غيرها، رغم أن ذلك يحمل فى طياته خطر الاصطدام بعامل هرقل عظيم الروم، ثم بهرقل ذاته من بعده.

ج: يضاف إلى ما تقدم: أن ما جرى فى بدر الموعد، قد أعطى المسلمين المزيد من النشاط، و جعلهم يتحركون بصورة أكثر حيويه و فاعليه، حينما توجهوا إلى شمال الجزيره، بعد أن توطدت هيبتهم فى الجنوب بسبب ما جرى فى غزوتى بدر الموعد، و حمراء الأسد، و غيرهما.

و معنى ذلك هو: أنهم قد عطفوا نظرهم إلى منطقته يعتبر قيصر الروم فيها هو الأقوى، و الأعظم نفوذا، و لا يتوقع القيصر أن تنشأ فى جزيره العرب حركه تجترئ عليه، أو تسمح لنفسها بالتفكير بالتطاول على هيبته و سلطانه.

د: و الأكثر وقعا و تأثيرا فى هذه الغزوه: أن نجد النبى (صلى الله عليه و آله) حينما وصل إلى دومه الجندل، وفر أولئك الأشرار منها، قد بقى بيت السرايا و البعوث عده أيام فى مختلف الاتجاهات، بحثا عن أولئك الأشرار الهاربين.

و معنى ذلك هو: أن هذا الهجوم قد كان مدروسا بعنايه، و هدوء، و يراد له أن يترك آثاره فى المنطقه كلها، و لم يكن ثمة تسرع فى اتخاذ القرار فيه، و لا كان ناشئا عن اندفاع عاطفى، أو ما أشبه ذلك.

ه: إن سرعه تحرك جيش بهذه الكثافه إلى بلد يبعد عنه مسيره أيام كثيره و ثقته بنفسه، و اطمئنانه إلى عدم جراه أحد على العبث بالأمن فى بلده من بعده، ليدل على مدى ثقته هذا الجيش بنفسه و بقدراته، و على أنه قادر على تسديد ضربته لكل من تسول له نفسه أن يتآمر أو يشارك فى التآمر ضده، و عليه أن يحسب ألف حساب قبل أن يقدم على التحالف مع أعدائه و مناوئيه.

و إذا كان المسلمون أقوىاء، فلسوف تشوف نفوس الكثيرين للتحالف معهم، و الوقوف إلى جانبهم، و العيش فى كنفهم.

و لا- أقل من أنهم سوف يسعون لإقامه علاقات طبيعیه معهم. أما التحالف مع الأعداء، و مشاركتهم فى مناوأة المسلمين، فإنه يصبح أكثر صعوبه خصوصا من القبائل التى لا تتوفر لديها أعداد ضخمه و كافیه لحمايه نفسها من قوه لها هذا النشاط، و بهذا الحجم و المستوى.

و هذا من شأنه أن يضعف أمر قريش، و يقلل من الفرص المتاحة لجمع الحشود، و تحزيب الأحزاب لمواجهه المد الإسلامى العارم.

و: إن النبى (صلى الله عليه و آله) و المسلمين و هم يحاولون أن يقللوا من الخسائر البشريه ما أمكنهم، فإنهم يعتمدون طريقه الضغط السياسى و الروحى، على الخصم، و كذلك إضعافه اقتصاديا بصوره رئيسيه باستيلائهم على مواشيهم و أموالهم، الأمر الذى يضعف مقاومتهم، و قدرتهم على تنظيم المؤامرات، و بذل الأموال لتجيش الجيوش لحرب المسلمين.

و ليس ذلك لأجل حب السلب و النهب، و جمع الأموال، و الشاهد على ذلك: أننا نجده (صلى الله عليه و آله) يجعل فداء أسير من أسرى المشركين

تعليم عشره أطفال من المسلمين القراءه و الكتابه، رغم شده حاجه المسلمين لأقل شىء من المال. و قد تقدم ذلك فى غزوه بدر.

كما أننا نراه (صلى الله عليه و آله) حين يرتكب خالد بن الوليد جريمه فى حق بعض القبائل - و ذلك حينما أرسل خالدًا لدعوه بنى جذيمه، فأمنهم، فلما وضعوا السلاح أمر بهم فكتفوا، ثم عرضهم على السيف - نراه (صلى الله عليه و آله) لما بلغه ذلك تبرأ من فعل خالد، ثم أرسل عليا (عليه السلام) فودى لهم الدماء، و ما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدى ميلغه الكلب (١).

دومه الجندل حقيقه أم خيال؟!:

قال العلامة الحسنى: (إن أخبار هذه الغزوه أكثرها عن الواقدى، و أخباره فى الغالب من نوع المراسيل، و من البعيد أن يترك النبى (صلى الله عليه و آله) المدينة قرابه شهر كامل، كما يدعى المؤلفون فى السير، إلى مكان بعيد مسافه تزيد عن خمسه عشر يوما، و الأعراب من حولها لا يزالون على الشرك، و هم يترقبون المسلمين، و يستغلون الفرصه المناسبه للوقيع بهم.

و من ذا يمنعهم من المدينة إذا غاب عنها النبى (صلى الله عليه و آله) مع ألف من أصحابه و فيها من المنافقين ما لا يقل عددا عن المسلمين و كانوا على اتصال دائم بقريش و أحلافها من المشركين؟.

١- راجع: الغدير ج ٧ ص ١٦٩ عن سيره ابن هشام ج ٤ ص ٥٣-٥٧ و عن تاريخ أبى الفداء ج ١ ص ١٤٥ و عن أسد الغابه ج ٣ ص ١٠٢ و عن الإصابه ج ١ ص ٣١٨ و ج ٢ ص ٨١ و عن البخارى كتاب المغازى.

من البعيد أن يتركها ليغزو أطراف الجزيره المتاخمه لحدود الشام فى مثل هذه الظروف إلا أن يكون مأمورا بذلك من الله سبحانه) (١).

و نقول:

١- إننا لا نستطيع أن نوافق على ما ذكره العلامة الحسنى (رحمه الله)، لأن ذلك لو كان، لكان مانعا من التحرك نحو أى من المناطق الأخرى، قريبه كانت أو بعيدة. فإن كثيرا من الغزوات كان النبى (صلى الله عليه و آله) يغيب فيها أياما كثيره. فقد غاب فى غزوه بدر الموعد ست عشره ليله، منها ثمانيه أيام أقامها فى بدر، و الباقى فى الطريق ذهابا و إيابا، و كانت غيبته فى ذات الرقاع خمس عشره ليله، و كانت غيبته فى غزوه بنى المصطلق ثمانيه و عشرين يوما.

فقد كان بإمكان الأعداء أن يغتنموا فرصه غيابه للإغاره على المدينه، بصوره سريعه و خاطفه، أو احتلالها، لا سيما مع وجود اليهود و المنافقين، و المشركين فيها و حولها.

٢- و من جهه ثانيه، فإن سير الأحداث يعطى: أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) كانت له أجهزه استخبارات قويه و فاعله لا يفوتها رصد أليه تحركات أو تجمعات مريبه، بل و حتى المؤامرات و النوايا أحيانا.

و قد كانت مبنوئه فى مختلف الأنحاء و الأرجاء قريبه كانت أو بعيدة كما ألمحنا إليه فيما سبق.

و من الواضح: أن مهاجمه المدينه فى غياب الرسول (صلى الله عليه و آله).

و آله) يحتاج إلى جمع قوى كثيره من مختلف القبائل و لن يخفى ذلك على عيون الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله).

٣- أضف إلى ذلك: أن النبي كان قد عقد تحالفات و معاهدات كثيره فى المنطقه، كما أنه قد عقد تحالفات مع سكان المدينه أنفسهم، يلزمهم فيها الدفاع و النصر، خصوصا إذا هوجم، فكيف إذا هوجموا؟

٤- و حين يظعن النبي (صلى الله عليه و آله) عن المدينه، فإنه لا يخليها نهائيا، بحيث لا تبقى فيها أيه قوه عسكريه قادره على ضبط الوضع داخليا، و الدفاع ضد العدو الخارجى قدر الإمكان لو دهمهم أمر، و إلى أن يأتى الرسول (صلى الله عليه و آله)، و يمسك هو بزمام المبادره.

٥- مضافا إلى أن ضرب المدينه فى غياب النبي (صلى الله عليه و آله) لا يحسم الأمر، بل هو سوف يعرض من تسول له نفسه و يقدم على ذلك إلى العقاب الصارم، الذى لن يكون قادرا على دفعه عن نفسه. فإن الكل كانوا أصغر من أن يجرؤوا على ذلك، بعد أن عجزت قريش و فشلت ذلك الفشل الذريع. و لم يكن لأى من القبائل ما كان لقريش من قوه و شوكة، و نفوذ و منعه فى المنطقه بأسرها.

ذكريات أبى موسى الأشعري فى دومه الجندل:

و يذكر المؤرخون: أن تحكيم الحكمين قد كان بدومه الجندل (١).م.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ و صفين ص ٥٣٥ و ٥٣٨ و ٥٤٠ و شرح نهج البلاغه للمعتزلى الشافعى ج ٢ ص ٢٤٨ و راجع: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥٢ و مصادر ذلك كثيره جدا فلتراجع كتب التاريخ، حين الحديث حول قضيه صفين، ثم التحكيم.

و فى كتاب الخوارج عن عبد الرحمن بن أبى لىلى قال: (مررت مع أبى موسى بدومه الجندل، فقال: حدثنى حبيى (صلى الله عليه و آله): أنه حكم فى بنى إسرائيل فى هذا الموضع حكمان بالجور، و أنه يحكم فى أمتى حكمان بالجور فى هذا الموضع.

قال: فما ذهبت الأيام حتى حكم هو و عمرو بن العاص فيما حكماه، قال: فلقيته.

فقلت: يا أبا موسى قد حدثنى عن رسول الله.

فقال: و الله المستعان. كذا أورده المجدد (١).

موادعه عينه بن حصن الغادر:

و يذكر المؤرخون: أنه لما رجع النبى (صلى الله عليه و آله) من دومه الجندل وادع عينه بن حصن الذى كانت أرضه قد أجذبت: أن يرعى بتعلمين و ما والاه إلى المراض، و كان ما هناك قد أخصب، و هو موضع بينه و بين المدينة ستة و ثلاثون ميلا على طريق الربذه (٢).٢.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٩ و ذكر هذه القصة أيضا و إن لم يصرح بأن التحكيم كان و سيكون فى دومه الجندل كل من: المسعودى فى مروج الذهب ج ٢ ص ٣٩٢ و شرح نهج البلاغه للمعزلى ج ١٣ ص ٣١٥ و راجع ص ٣١٦ و راجع: قاموس الرجال ج ٦ ص ١٠٨ و ١٠٩.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٧٧ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٦٣ و راجع: نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٣ و سيره مغلطاي ص ٥٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٢.

و سيأتي: أنه لما سمن حافره، و انتقل إلى أرضه أغار على لقاح (١) رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالغابه ..

حكومته القيم، أم حكومه المشاعر!؟

و غنى عن القول هنا: إن عينه بن حصن كان لا يزال هو و من معه على الشرك و الكفر، الذى كان يناوى الدعوه الإسلاميه بكل الوسائل.

و لم يكن النبي (صلى الله عليه و آله) حين سمح له بما سمح يطمع فى الحصول على أى نفع من قبله، فلم يكن يريد فى مقابل ذلك مالا، و لا كان يريد منه أن ينصره على عدوه، و يتقوى به على مناوئيه، لا فى مال، و لا رجال.

كما أن عينه لم يكن يملك قوه خارقه للعاده، بحيث يخشاه النبي (صلى الله عليه و آله) و ينصاع لما يطلبه منه.

كما أننا نلاحظ: أن النبي (صلى الله عليه و آله) لم يحاول استغلال حاجه عينه و من معه، ليفرض عليهم شروطا، و يحصل على امتيازات سياسيه، أو ماديه، أو غير ذلك. بل هو لم يطلب حتى السماح لدعاته بأن يطرحوا مع الناس هناك قضيه الإسلام و الإيمان، فضلا عما هو أبعد من ذلك.

بل تصرف النبي (صلى الله عليه و آله) على أساس ما لديه من مثل و قيم، و قناعات و منطلقات إيمانيه و إنسانيه، و من ثوابت أخلاقيه و دينيه.

فالنبي (صلى الله عليه و آله) يرى أن الحرب إنما تهدف إلى منع قوين.

الهيمنه و الاستكبار من فرض إرادتها، و مصادره حريه الآخرين فى الفكر و فى الإيمان. و إلى دفع غائله العدو الذى يريد سحق قوى الخير، و نسف قواعد الإيمان. و ليس للحرب أى دور حين تجرى الأمور بصورة طبيعيه.

فإن السلاح الذى يعتمد عليه الإسلام هو الدليل القاطع و البرهان الساطع، و الدعوه إلى الله بالحكمه و الموغظه الحسنه، و الجدل بالتي هي أحسن ..

بل إن كل الجرائم التى ارتكبها مشركو قريش فى حق الإسلام و المسلمين لم تمنع النبى (صلى الله عليه و آله) من إرسال الأموال إلى مكه، حين علم أن أهلها يعانون من ضائقه كبيره بسبب الجذب.

و لم يكن منطلقه فى ذلك، و لا- فى موقفه هنا من عواطف ثائره، تتحرك بانسداد و بعنفوان بصوره غير واعيه و لا- متزنه فى الحالات الطارئه. بل منطلقه (صلى الله عليه و آله) هو القيم و المثل العليا، و كل المعانى الإنسانيه الصافيه و النبيله، فليس ثمه تناقض بين الأحاسيس و المشاعر، و بين الموقف الرسالى و المبدئى.

بل إن مشاعره (صلى الله عليه و آله) و أحاسيسه قد نمت و تربت فى ظل مبادئه و قيمه و من خلالها، فمنها تنطلق و إليها تنتهى، و على أساسها تقوم و تدوم.

القسم السابع من الخندق إلى الحديبيه

اشاره

الباب الأول: التحضيرات لغزوه الخندق

الباب الثاني: معركة الخندق

الباب الثالث: غزوه بنى قريظه

الباب الرابع: غزوه المريسيع

الباب الخامس: حديث الإفك

الباب السادس: زواج زينب و أحداث أخرى بعد المريسيع

الباب السابع: سرايا و غزوات بين المريسيع و الحديبيه

آيات حول غزوه الخندق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَ زُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (١).

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا.

وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا، وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا أَسَاءً.

يَسِيرًا، وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا، قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا، يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا، لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا، لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا، وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا، وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (١) .ب.

تقديم:

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين، و بعد ..

فان حديثنا في هذا القسم سيكون- إن شاء الله- عن غزوه الأحزاب:

(الخندق) و هي الغزوه التي سميت سورة قرآنيه باسمها بسبب أهميتها البالغه ..

و حيث إن الحديث عن هذه الغزوه سوف يتخذ منحى تحقيقيا و تتبعيا، بالإضافة إلى وقفات تحليليه سريعه و مقتضيه، و متناثره هنا و هناك، فسيكون من الصعب على القارئ لملمه أطراف الحديث و جمع شتات المطالب، و ربط بعضها ببعض و لو في حدود الخطوط العامه للحدث.

و لأجل ذلك رأينا أن نذكر نضا مختصرا لهذه الغزوه يكاد يقتصر على عناوينها العامه.

فبقول:

موجز عن غزوه الخندق:

إنه فى السنه الرابعه- كما هو الأقوى- أو فى الخامسه- سار عدد من اليهود إلى مكه و استنفروا أهلها لقتال النبى (صلى الله عليه وآله)، و استتصال المسلمين. واتصلوا أيضا بقبيله غطفان، و قبائل عربيه أخرى و حرضوهم على حرب محمد، و وعدوهم بالأموال؛ فساروا و هم ألوف كثيره إلى المدينه لإنجاز هذا المهم.

فبلغ النبى (صلى الله عليه وآله) خبرهم، حفر خندقا حول المدينه من الجهه المكشوفه منها. و جعل للخندق أبوابا، و جعل على الأبواب حرسا.

و قد شارك النبى (صلى الله عليه وآله) بنفسه فى حفر الخندق، و ظهرت له (صلى الله عليه وآله) حينئذ كرامات و معجزات، سندكرها فى الموضع المناسب إن شاء الله تعالى.

و قد عسكر (صلى الله عليه وآله) إلى جنب جبل سلع، و جعل الخندق بينه و بين الأحزاب، و جعل النساء و الصبيان فى بعض حصون المدينه، و استخلف على المدينه ابن أم مكتوم. و كان لواء النبى (صلى الله عليه وآله) مع على (عليه السلام).

و لما وافى الأحزاب فوجئوا بالخندق، و نزلوا فى الجهه الأخرى منه، و حاصروا المسلمين.

و ذهب حى بن أخطب اليهودى إلى بنى قريظه، و لم يزل بهم حتى نقضوا العهد مع المسلمين.

فلما بلغ النبى (صلى الله عليه وآله) ذلك أرسل إليهم من يثبت له الأمر فرجعوا إليه و أخبروه بأن ما بلغه صحيح؛ فاشتد الأمر على المسلمين

و ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، و عظم البلاء، و نجم النفاق، و كثر الخوض، و بلغت القلوب الحناجر.

و قال المنافقون و الذين فى قلوبهم مرض: ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا.

و كان أمير المؤمنين (عليه السلام) على العسكر كله بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم. و كان النبي (صلى الله عليه و آله) يحرس بنفسه بعض مواضع الخندق.

و لم يكن بين المسلمين و المشركين قتال إلا الرمى بالنبل و الحصا. و كان المشركون يتناوبون على الخندق، فلا يمكنهم عبوره و المسلمون يمنعونهم بالنبل و الحجارة.

و أصيب يومئذ سعد بن معاذ (رحمه الله) بسهم، رماه به حبان بن العرقه.

و قيل: رماه به أبو أسامه الجشمى، أو خفاجه بن عاصم.

فجعل سعد (رحمه الله) فى خيمه رفيده، التى كانت تداوى فيها الجرحى. و يبدو أن جماعات من المسلمين قد تركوا النبي (صلى الله عليه و آله) و فروا، و اختبأوا فى حديقته هناك و فيهم عمر بن الخطاب و طلحه، و قد كشفت عائشه أمرهم، و ذلك بعد إصابه سعد بن معاذ.

كما إن النصوص تؤكد على: أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد بقى فى ثلاث مئه من المسلمين.

بل فى نص آخر: إنه لم يبق مع النبي (صلى الله عليه و آله) سوى اثنى عشر رجلا فقط.

و قد تحدثت الآيات القرآنيه عن هؤلاء الفارين، فراجع سوره الأحزاب.

و مهما يكن من أمر: فقد انتدب فوارس من المشركين فأتوا مكانا ضيقا من الخندق، و أكرهوا خيلهم على عبوره، فعبره عكرمه بن أبى جهل، و عمرو بن عبد ود، و ضرار بن الخطاب الفهري، و هبيرة بن أبى وهب، و حسل بن عمرو بن عبدود، و نوفل بن عبد الله المخزومي.

فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) فى نفر من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغره التى اقتحموها. و طلب عمرو بن عبد ود البراز فلم يبرز إليه أحد من المسلمين، و خافوا منه خوفا شديدا، لما يعرفون من شجاعته و فروسيته، و كان يعد بألف فارس. و طلب عليّ (عليه السلام) من النبى (صلى الله عليه و آله) أن يأذن له بمبارزته فلم يأذن له.

فكرر النداء، و أنشد الشعر، و عيّر المسلمين المحجمين عنه فطلب على الإذن مره أخرى فلم يأذن له الرسول (صلى الله عليه و آله).

فلما كان فى المره الثالثه، و لم يبادر إلى ذلك سوى على (عليه السلام) أذن له النبى (صلى الله عليه و آله) و عممه و دعا له، و قال: برز الإيمان كله إلى الشرك كله. فبارزه على (عليه السلام) فقتله. و قتل ولده حسلا، و نوفل بن عبد الله، و فر الباقون.

فقال (صلى الله عليه و آله): (ضربه على يوم الخندق تعدل (أو أفضل من) عباده الثقلين إلى يوم القيامة).

و زعمت بعض الروايات: أن الذى قتل نوفلا هو الزبير، و سيأتى الإشكال فى ذلك.

و تزعم بعض الروايات: أن نعيم بن مسعود قد ساهم فى إحداث

الفتنه بين بنى قريظه و بين المشركين.

و لكن الظاهر: هو أن النبي (صلى الله عليه و آله) هو الذى ألقى فيما بينهم بذور الخلاف و الشك كما سنوضحه.

ثم أرسل الله سبحانه الريح على المشركين فكانت تكفأ قدورهم، و تطرح خيامهم، و تعبت بكل ما يحيط بهم، و قذف الله فى قلوبهم الرعب، فعادوا بالخزى و الخيبه، و الرعب يلاحقهم، و كفى الله المؤمنين القتال.

و قال النبي (صلى الله عليه و آله) حينئذ: الآن نغزوهم و لا يغزوننا، فكان كما قال ..

و فى هذا القسم تجد التفصيل لكل ذلك، مع بعض التحقيق و التكذيب و التصديق، و التعديل و التحليل، حسبما يقتضيه المقام فألى ما يلى من مطالب و فصول:

الباب الأول التحضيرات لغزوه الخندق

اشاره

الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينة

الفصل الثاني: الخندق في خطه الحرب و الدفاع

الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسه الإلهيه

الفصل الخامس: جيش المسلمين و جيش المشركين في المواجهه

الفصل السادس: غدر بنى قريظه

الفصل السابع: معنويات الجيشين و الرعب و الخوف أيام الحصار

ص: ١٣٣

الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينة

أشاره

تمهيد و بيان:

لقد كان لتوالى الحروب فى المنطقه فيما بين المسلمين من جهه و بين أعدائهم من اليهود و المشركين و من تبعهم من جهه أخرى، و انشغال المسلمين الدائم بهذه الحروب تأثير قوى على حاله المسلمين الإقتصاديه، حيث اختلت الحياه التجارويه و الحرفيه و ظهرت عوارض خطيره فيما يختص بالشأن الزراعى، حيث كانت الزراعه بمثابة العمود الفقرى للإقتصاد بالنسبه لأهل المدينه على الخصوص.

و قد بدأت بوادر الحاجه الملحه فى النواحي المعيشيه، و شحه المواد الغذائيه تظهر بصوره و بأخرى فى هذا المجتمع الإسلامى الصغیر الناشئ، و المحاط بالأعداء، و المستهدف بالشر و السوء من كل ناحيه و مكان.

و بعد أن خاض المسلمون عدّه حروب، و مروا بأزمات كثيره فى أكثر من اتجاه، و بعد كسر شوكة بنى النضير، و كشف خياناتهم و إفشال مؤامراتهم، و بعد غزوه ذات الرقاع و غيرها .. جاء تأجيل المشركين للحرب فى بدر الموعد بسبب رعبهم و خوفهم ثم استفاده المسلمين تجاريا من سوق بدر بهذه المناسبه أمرا يبعث على الإرتياح، و يثير البهجه و الأمل، و الشعور لديهم بإمكانيه تحسن الأوضاع المعيشيه، حيث يتوفر الوقت الكافى لإعاده

تنظيم مواسمهم الزراعيه، و الإنتعاش إقتصاديا فى مجالات أخرى من حرفيه، و تجاريه و غيرها فى أجواء يهيمن عليها السلام و الأمن، و الطمأنينه النسبيه.

هذا بالإضافة إلى توفر الوقت لمواجهه المشكلات التى خلفتها الحروب السابقه، فرديه كانت أو اجتماعيه، و محاوله وضع الحلول المناسبه لها، أو التخفيف من وطأتها. و عسى و لعل يمكنهم أيضا ترتيب العلاقات بمن يحيطون بهم فى المنطقه بصوره أكثر حميميه و صفاء، و صياغتها بصوره أكثر قوه و ثباتا عنها من ذى قبل.

ثم إنهم بعد وفوق كل ذلك يصبحون أقدر على ممارسه دور الإعلام المركز و الهادئ للدعوه الإلهيه التى يحملونها، و يقومون بواجبهم فى نشرها، لتقوم على أسس متينه و رصينه من القناعات العقلية و الوجدانيه، و لتثمر من ثم حياه فى الفكر، و يقظه فى الضمير و مسؤوليه و طهرا فى الوجدان.

فجاءت حرب الأحزاب المفاجئه لتبدد كل هذه الآمال، و لتزيد من قسوه الظروف، و مراره المعاناه، و لتكون الكابوس المخيف و المخيف جدا.

خصوصا بما تميزت به من حشد بشرى هائل، و إعداد و استعداد لم تعرفه المنطقه من قبل. مع هذا الإجماع المستقطب تقريبا على العداه لهم من مختلف القبائل و الديانات و الشعوب التى تعيش فى المنطقه. يصاحبه اطمينان إلى التعاطف و التأيد من كل الآخريين من أى الديانات، أو الفئات كانوا، فى جزيره العرب، أو فى خارجها.

ثم إن حركه الأحزاب قد جاءت محرجه للمسلمين إلى درجه كبيره و خطيره من الناحيه العسكريه و الاستراتيجيه الحربيه، لأنها اتخذت صفه

هجوم شامل عليهم، من مختلف المواضع و المواقع، إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ.

يقابل ذلك: ضعف ظاهر لدى المسلمين، فى العده و فى العدد، و اختراق خطير من قبل الأعداء لصفوف أهل الإيمان، من خلال قوى النفاق التى كانت تتغلغل داخل جسم هذا المجتمع الإسلامى الصغير و الناشئ.

هذا كله، بالإضافة إلى المشاكل المعيشيه و الحياتيه على مستوى الفرد و الجماعه. سواء تلك المشاكل الناشئه عن الحروب و المواجهات مع الأعداء، أو المشاكل التى تنشأ عاده من صياغه حياه اجتماعيه لفئات تعانى أصلا من تناقضات كثيره فيما بينها، بسبب اختلافها فى مستوياتها و فى حالاتها الطبيعيه و العارضه، و بسبب وجود الكثير مما هو من مخلفات الجاهليه الرعناء.

و لا ننسى هنا الإشاره إلى ضعف تأثير العامل القبلى لدى الفريق الإسلامى، لأن المسلمين كانوا لا يشكلون تيارا قريبا زاخرا و هادرا ذالون واحد، لأنهم عباره عن مجموعات صغيره من قبائل شتى، فيبقى الشعور و العصبية للقبيله هو العامل الأضعف تأثيرا على صعيد رص الصف، و تقويه البنيه، و تأكيد اللحمه الداخليه. و إنما الحاله الإيمانيه و الدينيه وحدها هى التى توحدهم، و تشد من أزهرهم، و تشحذ فيهم الهمم، و تبعث فيهم روح الإباء و الشمم. و قد كانت هذه الروح فى بدايات تكوينها لدى الكثيرين منهم فلم تكن مؤهله للصمود كثيرا و طويلا فى المواضع الصعبه و الخطيره.

و أخيرا .. نشير إلى أن تحزيب الأحزاب قد انطلق من خلال قناعه تامه،

و من شعور أكيد بأن قوه المسلمين قد بلغت حدا لم يعد يمكن القضاء عليها إلا بحشد كامل و شامل لكل القدرات و القوى الماديه و المعنويه على مستوى المنطقه بأسرها. و هذا ما حصل بالفعل، كما سنرى. و يمكرون و يمكر الله، و الله خير الماكرين.

تحزيب الأحزاب فى روايات المؤرخين:

لقد ذكر المؤرخون- و النص فى أكثره للواقدي-: أنه لما أجلي النبي (صلى الله عليه و آله) يهود بنى النضير، ساروا إلى خيبر. و كان بها من اليهود قوم أهل عدد و جلد (و ليس لهم من البيوت و الأحساب ما لبنى النضير) فخرج عدد من اليهود، بعضهم من بنى وائل و الباقون من بنى النضير، و هم بضعه عشر رجلا، أو حوالى عشرين، خرجوا إلى مكه يدعون قريشا واتباعها إلى حرب محمد (صلى الله عليه و آله). و كان ذلك فى السنه الرابعه، أو الخامسه أو السادسه للهجره.

و هؤلاء هم- كما ورد فى النصوص المختلفه-: حبي بن أخطب، و كنانه بن الربيع بن أبى الحقيق، و هوذه بن الحقيق، و هوذه بن قيس الوائلى (أو الوالبي كما فى الإرشاد) و هو أوسى من بنى خطمه، و ابو عامر الراهب أو أبو عمار،- الوائلى- أو أبو عماره الوالبي، كما عند المفيد فى نفر من بنى والبه.

و زاد البعض: سلام بن مسلم.

و أضاف آخر: (حوج بن عامر، و أبا رافع، و الربيع بن أبى الحقيق) (١).و.

١- راجع: جامع البيان ج ٥ ص ٨٦ و تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥١٣ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤٠٨ فقد ذكر أبا عمار و حوج بن عمرو.

و أضاف غيره: (سلام بن أبي الحقيق، لكن عند ابن الأثير: عبد الله بن سلام بن أبي الحقيق).

قال المفيد: (فصاروا إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوتهم لرسول الله، و تسرعه لقتاله، فذكروا له ما نالهم منه. و سأله المعونه على قتاله، فقال: إنا لكم حيث تحبون، فاخرجوا إلى قريش، فادعوهم إلى حربهم، و اضمنوا النصره لهم، و الثبوت معهم حتى تستأصلوه. فطافوا على وجوه قريش، و دعوههم إلى حرب النبي).

و يستمر الواقدي و غيره فيقولون: فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمدا.

أو قالوا: سنكون معكم عليه، حتى نستأصله و من معه.

قال أبو سفيان: هذا الذي أقدمكم و نزعكم؟

قالوا: نعم. جئنا لنحالفكم على عداوه محمد و قتاله.

قال أبو سفيان: مرحبا و أهلا، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوه محمد.

زاد في نص آخر قوله: (و لكن لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا، حتى نطمئن إليكم؛ ففعلوا) (١).

قال النفر: فأخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها، أنت فيهم، و ندخل نحن و أنت بين أستار الكعبه، حتى نلصق أكبادنا بها ثم نحلف.

١- و يقال: إن ذلك أيضا قد كان في مره سابقه، و ذلك حين جاء كعب بن الأشرف و من معه، يطلبون منهم المسير إلى حرب محمد (صلى الله عليه و آله) و المسلمين. و ربما يكون ذلك قد حصل مره واحده، لكن الأمر قد اشتبه على الرواه. و الله هو العالم بحقيقه الحال.

بالله جميعا: لا يخذل بعضنا بعضا، و لتكونن كلمتنا واحده على هذا الرجل، ما بقى منا رجل.

ففعّلوا، فتحالفوا على ذلك، و تعاقدوا.

ثم قالت قريش بعضها لبعض: قد جاءكم رؤساء أهل يثرب و أهل العلم و الكتاب الأول، فسلوهم عما نحن عليه و محمد: أيننا أهدي؟!

قالت قريش: نعم.

فقال أبو سفيان: يا معشر اليهود، أنتم أهل الكتاب الأول و العلم، أخبرونا عما أصبحنا فيه نحن و محمد، ديننا خير أم دين محمد؟! فنحن عمّار البيت، و نحر الكوم (أى الناقه عاليه السنام)، و نسقى الحجيج، و نعبد الأصنام.

قالوا: اللهم أنتم أولى بالحق، إنكم لتعظمون هذا البيت و تقومون على السقايه، و تنحرون البدن (١)، و تعبدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه. فأنزل الله فى ذلك: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٢). فاتعدوا لوقت و قتوه.

و فى نص آخر: (فلما قالوا ذلك لقريش نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أجمعوا لذلك و اتعدوا له).

فقال صفوان بن أميه: يا معشر قريش، إنكم قد وعدتم هؤلاء القوم لهذا الوقت و فارقوكم عليه، ففوا لهم به! لا يكون هذا كما كان وعدنا محمداً.

١- الآيه ٥١ من سوره النساء.

٢- البدن: النياق و الأبقار التى كانت تسمّن لتنحر لدى البيت الحرام.

بدر الصفراء، فلم نف بموعده، و اجترأ علينا بذلك. و قد كنت كارها لميعاد أبي سفيان يومئذ.

فخرجت اليهود حتى أتت غطفان [و قيس عيلان] و أخذت قريش فى الجهاز، و سيرت فى العرب تدعوهم إلى نصرها، و ألّبوا أحابيشهم و من تبعهم.

ثم خرجت اليهود حتى جاؤوا بنى سليم، فوعدوهم يخرجون معهم إذا سارت قريش، ثم ساروا فى غطفان، فجعلوا لهم تمر خبير سنه، و ينصرونهم و يسيرون مع قريش إلى محمد، إذا ساروا.

فأنعمت بذلك غطفان، و لم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينه بن حصن.

قال ابن خلدون: و خرج بهم عيينه بن حصن على أشجع (١). ٩-

١- المغازى للواقدي ج ١ ص ٤٤١-٤٤٣، و ذكرت هذه النصوص باختصار أو بتفصيل فى المصادر التالية: سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٢ و ٥١٣ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٩ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ و الثقات ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ و الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٢ عن ابن إسحاق، و ابن جرير و جامع البيان ج ٥ ص ٨٦ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٥٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٥ و ٢٢٦ و إعلام الورى ص ٩٠ و تفسير القرآن الكريم ج ٢ ص ٥١٣، و الوفاء ص ٦٩٢ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣. و راجع: دلائل النبوه لليهقى ج ٣ ص ٣٩٩ و ٣٩٨ ففیه نصوص تختلف عن الذى ذكرناه و راجع ص ٤٠٨ و ٤٠٩ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٣ و تاريخ الإسلام للذهبى (المغازى) ص ٢٣٣ فما بعدها و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٤ و ٩٥ و جوامع السيره النبويه ص ١٤٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ و ١٨٢ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٦ و ٢١٧ و تجارب الأمم ج ١ ص ١٤٩-

و ذكر البعض: أن كنانة بن أبي الحقيق جعل نصف تمر خبير لغطفان في كل عام (١).

و ذكروا أيضا: أن قريشا كتبت إلى رجال من بنى سليم، بينهم و بينهم أرحام، استمدادا لهم، فأقبل أبو الأعور بمن تبعه من بنى سليم مددا لقريش. ثم كتب اليهود إلى حلفائهم من بنى سعد أن يأتوا إلى إمدادهم (٢).

و حسب نص البلاذري: (و كان عيينه بن حصن الفزاري أسرع القوم إلى إجابتهم، ثم أتوا بنى سليم بن منصور فسألوهم مثل ذلك فأنجدوهم ٩).

-
- ١- الإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٨، لكن ذكرت مصادر أخرى: أنهم جعلوا لهم تمر خبير سنه، فراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٧ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٣١٠. و راجع أيضا: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٣ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و فتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢.
- ٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و راجع: الإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٩ و دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٨ و ٣٩٩.

و ساروا فى جميع العرب ممن حولهم، فنهضوا معهم. فخرجت قريش فى من ضوى إليها و لافها من كنانه و ثقيف و غيرهم و لحقتهم أفناء العرب عليه قادتها و كبراؤها (١).

تجمع القوى:

و يستمر الواقدى فيقول:

و خرجت قريش و من تبعها من أحابيشها أربعة آلاف.

و عقدوا اللواء فى دار الندوه.

زاد فى بعض المصادر قوله: (و حمله عثمان بن أبى طلحه، و قائد القوم أبو سفيان).

و قادوا معهم ثلاث مئة فرس، و كان معهم من الظهر ألف بعير، و خمس مئة بعير.

و أقبلت سليم فلاقوهم بمر الظهران، و بنو سليم يومئذ سبع مئة يقودهم سفيان بن عبد شمس، حليف حرب بن أميه، و هو أبو أبى الأعور، الذى كان مع معاويه بن أبى سفيان بصفين.

لكن عند القمى: أن قائدهم هو عباس بن مرداس. و خرج أيضا الأقرع بن حابس فى قومه.

و خرجت قريش يقودها أبو سفيان بن حرب.

و خرجت بنو أسد، و قائدها طلحه (طليحه ظ) بن خويلد الأسدى. ٣.

و خرجت بنو فزاره و أوعبت (١)، و هم ألف يقودهم عينه بن حصن.

و نص آخر يقول: (خرجت غطفان و قائدها عينه بن حصن).

و خرجت أشجع و قائدها مسعود بن رخیله (أو مسعر بن زخیله أو جبله) و هم أربع مئة، و لم توعب أشجع.

[و عند المفید: و وبره بن طریف فی قومه من أشجع].

و خرج الحارث بن عوف يقود قومه بنی مره، و هم أربع مئة (٢). ١.

١- أوعب القوم: خرجوا کلهم إلى الغزو.

٢- المغازی للواقدي ج ١ ص ٤٤٤ و ذکر ذلك باختصار أو بتفصیل فی المصادر التاليه: الإکتفاء ج ٢ ص ١٥٩ إعلام الوری ص ٩٠ و فاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢ و تاریخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و ٤٨١ و تاریخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٣ و ٢٣٦ و الوفاء ص ٦٩٢ و ٦٩٣ و الثقات ج ١ ص ٢٦٥، و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ و تهذيب سيره ابن هشام ص ١٩٠ و الكامل فی التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٠ و ٢٣١ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٧ و تهذيب سيره ابن هشام ص ١٨٩ و راجع: جوامع السيره النبويه ص ١٤٨ و تاریخ الإسلام للذهبي (المغازی) ص ٢٣٣ و ٢٣٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٥ و راجع ص ١٠٢ و راجع: المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١١ و الإمتاع ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٣ و ٥١٤ و الإرشاد للمفید ص ٥١ و كشف الغمه للأربلي ج ١ ص ٢٠٢ و تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٧ و البحار ج ٢٠ ص ٢١٧ عنه و ص ١٩٧ و ٢٥١ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٠ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٧ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٦ و محمد فی المدينه ص ٥٤ و راجع: فتح الباری ج ٧ ص ٣٠١ و شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩١.

الأحزاب إلى المدينة:

و وافى الأحزاب المدينة بعد أن فرغ رسول الله (صلى الله عليه و آله) من حفر الخندق (١). و كان الذين وافوا من قريش، و سليم، و غطفان، و أسد عشره آلاف بقيادة أبى سفيان؛ فنزلت قريش برومه، و وادى العقيق فى أحابيشها، و من ضوى إليها من العرب، و نزلت غطفان بالزغابه إلى جانب أحد.

و جعلت قريش تسرح ركابها فى وادى العقيق، فى عضاهه و ليس هناك شىء للخيل إلا ما حملوه معهم من علف، و كان علفهم الذره. و سرحت غطفان إبلها إلى الغابه، فى أثلها و طرفائها.

و قدموا فى زمان حصد الناس زرعهم قبله بشهر. و أدخلوا حصادهم، و أتبانهم. و كانت غطفان ترسل خيلها فى أثر الحصاد- و كانت خيل غطفان ثلاث مئه- فىمسك ذلك من خيلهم لكن إبلهم كادت تهلك من الهزال.

و كانت المدينة لىالى قدموا جديبه (٢).ر-

-
- ١- تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣٦ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٢ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٦٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ و حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٧ و كشف الغمه للأربلى ج ١ ص ١٩٧ و غير ذلك.
 - ٢- المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٤٤. و راجع إجمال أو تفصيل ذلك فى: الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و الثقات ج ١ ص ٢٦٦ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٦٢ و تهذيب سيره ابن هشام ص ١٩٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٠ و ٢٣١ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣٦ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ و السيره النبويه لابن كثير-

و يقول نص آخر: نزلت كنانه برومه، و غطفان بالزغابه إلى نقي (١).

و عند البعض: نزلت قريش بمجتمع السيول من رومه، بين الجرف و زغابه. و نزل عينه في غطفان و من معه من أهل نجد إلى جانب أحد باب نعمان (أو ذنب نقي) (٢).

و نص آخر يقول: نزلت قريش بمجتمع السيول من رومه، بين الجرف و رباعه (٣) و لعله تصحيف: زغابه.

أما القمي فقال: نزلت قريش و حلفاءها من كنانه بالعقيق و نزلت فزاره بالزغابه و نزلت سليم و غيرهم حصن بنى ذبيان (٤).

مناقشات و إيضاحات:

و لنا فيما تقدم العديد من المناقشات و التحفظات، كما أنه يحتاج إلى بعض الإيضاحات. و نحن نذكر فيما يأتي نماذج لكلا هذين الأمرين، فنقول: ه.

١- المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥.

٢- الإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٦ و فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ و فيه: أنه واد بجانب أحد. و راجع: دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ١٠٩ و فيه: نزلوا بنقمين. و جوامع السيره النبويه ص ١٤٩.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣.

٤- تفسير القمي ج ٣ ص ١٨٠ و البحار ج ٢٠ ص ٢٢١ عنه.

تاريخ غزوه الخندق:

لقد اختلف المؤرخون في تاريخ غزوه الخندق.

فقال طائفة منهم: إنها كانت سنة خمس من الهجرة.

ذهب إلى ذلك: الواقدي و ابن إسحاق، و المقرئ، و الطبري، و ابن الأثير، و البيهقي، و المذبي، و ابن حبيب، و ابن الكازروني و المقدسي، و ابن القيم، و ابن حجر، و ابن العماد، و المسعودي.

و كذا روى عن عروه، و قتاده و أحمد، و غيرهم كثيرون، كما يتضح من المصادر في الهامش (١).ب-

١- لكي تجد القول بأن هذه الغزوه كانت في السنه الخامسه، إما بصوره قول تنباه المؤلف أو يذكره بلفظ قيل، راجع المصادر التاليه: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٠ و ٤٤١ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٤ و ٢٤١ و الإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٥٨ و دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٥ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٧ و صححه، و شذرات الذهب ج ١ ص ١١، و مختصر التاريخ ص ٤٢ و المختصر في اخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ و ٦٤ و تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ و الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٣ و تهذيب سيره ابن هشام ص ١٨٨ و ١٩٥ و تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٦ و البحار ج ٢٠ ص ٢١٦ و ٢٠٨ عنه و نقله في ص ٢٧١ عن إعلام الوري لكن الموجود في إعلام الوري أنها في الرابعه. و المجرب ص ١١٣ و مروج الذهب ج ٢ ص ٢١٩ و الثقات ج ١ ص ٢٦٤ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٩ و شرح بهجه المحافظ ج ١ ص ٢٦٢ و بهجه المحافظ ج ١ ص ٢٦٢ بلفظ: قيل. و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٦ و الجامع للقيرواني ص ٢٧٩ و ٢٨١ و التنبيه و الإشراف ص ١١٥ و أنساب-

أما اليعقوبى فيقع فى الغلط، حيث يقول: إن الخندق كانت (فى السنه السادسه، بعد مقدم رسول الله بالمدينه بخمسه و خمسين شهرا) (١).

فإن عدد الأشهر المذكور يقتضى أن تكون فى السنه الخامسه لا السادسه، كما هو ظاهر.

و ثمه فريق آخر يقول: إن هذه الغزوه كانت فى السنه الرابعه و هو ما ذهب إليه مالك، ورواه أحمد فى مسنده عنه.

و ذهب إليه أيضا: ابن العربى، و عياض، و ابن حزم، و ابن الديبع، و الصاحب بن عباد و ابن حبيب، و صححه ابن خلدون، و النووى فى الروضه و قوّاه البخارى ورواه موسى بن عقبه عن الزهرى، و به قال .

الفاكهاني في رياض الأفهام، و يعقوب بن سفيان (١).

بل قال ولي الدين العراقي: (المشهور أنها في السنه الرابعه) (٢).

و مقتضى هذا القول: أن أبا سفيان قد خرج لبدن الموعد في شعبان ثم .

١- راجع المصادر التاليه، فإنها قد ذكرت هذا القول في: عنوان المعارف في ذكر الخلائف ص ١٢ و جوامع السيره النبويه ص ١٤٨ و قال: الثابت أنها في الرابعه بلا شك. و المحبر ص ١١٣ و صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٠ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٢ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٣ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ و إعلام الورى ص ٩٠ و تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٦٠ و شرح صحيح مسلم للنووى بهامش إرشاد السارى ج ٨ ص ٦٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر لابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و ٣٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٠ و تاريخ مختصر الدول ص ٩٥ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ و تاريخ الإسلام (المغازى) للذهبي ص ٢٠٥ و ٢٤٤ عن ابن عقبه عن ابن شهاب، و عروه عن ابن عقبه، و النووى. و شذرات الذهب ج ١ ص ١١ عن النووى. و راجع: الجامع للقيروانى ص ٢٧٩ و ٢٨١ عن مالك، و سيره مغلطاي ص ٥٦ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٢ و عيون الأثر ج ٢ هامش ص ٥٥ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٣ و ٣٩٥ و ٤٠٠ و ٣٩٤ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ و تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١ و مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٧٦ و مرآه الجنان ج ١ ص ٩ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٣٢٨ و راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٦ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٦١ و حدائق الأنوار ج ١ ص ٥٢ و هامشا عن الدرر في اختصار المغازى. و السير للقرطبي ص ١٧٩ و ذهب إليه العاقولى في الرصف ج ١ ص ٦٠.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٠.

عاد و خرج إلى الخندق في شوال السنه الرابعه، كما ذهب إليه البعض (١).

و عند الواقدي: أنها كانت في ذى القعدة.

و قد حاول البيهقي الجمع بين هذين القولين، فقال: (قلت: لا اختلاف بينهم في الحقيقه، و ذلك لأن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قاتل يوم بدر لستين و نصف من مقدمه المدينه في شهر رمضان، ثم قاتل يوم أحد من السنه القابله لستين و نصف من مقدمه المدينه في شوال، ثم قاتل يوم الخندق بعد أحد بستين على رأس أربع سنين و نصف من مقدمه المدينه.

فمن قال سنه أربع، أراد: بعد أربع سنين، و قبل بلوغ الخمس.

و من قال: سنه خمس، أراد: بعد الدخول في السنه الخامسه و قبل انقضائها (٢).

و نقول:

إن الظاهر هو صحه قولهم: إن غزوه الخندق كانت في السنه الرابعه، وفقا لما اعتادوه من التاريخ، و لا حاجه إلى وجه الجمع الذى ذكره البيهقي و لا لغيره، و ذلك لما يلي:

١- لقد قوى البخارى القول بأنها كانت في السنه الرابعه بقول ابن عمر:

إن النبى (صلى الله عليه و آله) قد عرضه يوم أحد، و هو ابن أربع عشره سنه، فلم يجزه، ثم عرضه يوم الخندق، و هو ابن خمس عشره سنه فأجازه ..

و من المعلوم: أن أحد كانت في سنه ثلاث.٥.

١- دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٦.

٢- دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٥.

و قد استدل بهذا أيضا: النووى، و ابن حزم، و ابن خلدون و غيرهم (١).

و قد احتمل البعض: أن يكون ابن عمر فى غزوه أحد أول ما طعن فى الرابعه عشره، و فى الأحزاب كان قد استكمل الخامسه عشره. و بهذا أجاب البيهقى (٢).٥.

١- راجع: صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٠ و ج ٢ ص ٦٩ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و ٣٣ و جوامع السيره النبويه ص ١٤٨ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٠٥ و ٢٤٤ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٢ و شرح صحيح مسلم للنووى (مطبوع بهامش إرشاد السارى) ج ٨ ص ٦٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و ٤٨١ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٠ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ١٠٥ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ و ٣٤٤ بإضافه كلمه: (و أشف منها). و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٥٣ و المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٣١٠ و ٣١١ و مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ١٧ و صحيح مسلم ج ٦ ص ٣٠ و سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٥٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣٢٩ و ٣١٥ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٦١ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٦ و الجامع الصحيح للترمذى، كتاب الأحكام، باب ما جاء فى حد بلوغ الرجل و المرأه ج ٣ ص ٦٣٢ و ٦٣٣ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٣ ص ٢٤١ و ٢٤٢ و الغدير ج ١٠ ص ٤ عن البخارى، و فتح البارى، و عن عيون الأثر ج ٢ ص ٦ و ٧ و عن تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢٩٦.

٢- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٢ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣٢٩ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٤٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣٢٩ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٦١ و راجع دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ هامش ص ٣٩٥.

ثم أيد البعض هذا الاحتمال: بأن أبا سفيان قال للمسلمين، حين انتهت حرب أحد: موعدكم العام المقبل ببدر.

ثم لم يأت إلى بدر في ذلك الموعد، بسبب الجذب. وخرج إليها النبي (صلى الله عليه وآله) في شعبان سنة أربع، ورجع، و لم يلق كيدا. و هي الغزوه المسماه ببدر الموعد.

فلم يكونوا ليأتوا إلى المدينة بعد ذلك بشهرين لأجل غزوه الخندق (١).

و يؤيد ذلك أيضا: قول البعض: (كانت وقعه الأحزاب بعد أحد بستين (٢)).

و نقول:

لو صح ما ذكره لكان الفرق بين أحد التي هي في شوال السنه الثالثه، و الخندق التي هي في ذى القعدہ السنه الخامسه سنتين و شهرا، و هذا يعنى:

ان ابن عمر كان عمره في الخندق ست عشره سنه.

فإذا جاز أن يقول: إنه ابن أربع عشره سنه، لأنه كان أول ما طعن فيها، كان عليه أن يقول: إنه كان في الخندق ابن ست عشره سنه، لأنه كان طعن فيها أيضا بصوره أوفى، و ذلك ليجرى الكلام في صدره و ذيله على نسق واحد. ٨.

١- راجع: البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٣ و ٩٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٢ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٣ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٦١.

٢- المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٢ و ٣٦٧ أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ و المغازى للذهبي (تاريخ الإسلام) ص ٢٤٤ و السيره الحلييه ج ٢ ص ١٤٨.

و لكان على عمر بن عبد العزيز و عمر بن الخطاب أن يجعلوا العطاء لمن بلغ ست عشرة سنه، استنادا إلى قضيه ابن عمر المذكوره، فكيف فرضا إلى ابن خمس عشرة سنه استنادا إلى ذلك؟! (١).

و قد صرح ابن حزم: بأنه قد صح أنه لم يكن بين أحد و الخندق إلا سنه واحده فقط و أنها قبل دومه الجندل بلا شك (٢).

أما قولهم: إنه لا يعقل أن يأتوا المدينة بعد شهرين من بدر الموعد،

فجوابه: إن ذلك معقول، إذا كان التعلل من قبل المشركين بالجذب كان جبنا منهم، و هروبا من المواجهه، ثم لما وجدوا الرجال و الأموال، و جمعوا عشره آلاف مقاتل أو أكثر بكثير، فلا شىء يمنعهم عن انتهاز الفرصه، فى أى من الظروف و الأحوال.

٢- و مما يدل على أن غزوه الخندق كانت سنه أربع، قولهم: إن أبا زيد بن ثابت قد قتل يوم بعث، و كان عمر زيد حينئذ ست سنين، و كانت بعث قبل الهجره بخمس سنين (٣) و كان عمر زيد حين قدم النبي (صلى الله عليه و آله) المدينة إحدى عشره سنه (٤). ٩-

١- المصنف للصنعانى ج ٥ ص ٣١١ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨١ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٤.

٢- جوامع السيره النبويه ص ١٤٨.

٣- تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠ و ٣١ و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ و تذكره الحفاظ ج ١ ص ٣٠ و شذرات الذهب ج ١ ص ٥٤ و تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩ و راجع: تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٩ عن الواقدى.

٤- مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ عن زيد نفسه، و تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٩-

ثم يقولون: إن أول مشاهد زيد الخندق (١) لأنه (صلى الله عليه وآله) قد أجازته يوم الخندق (٢) و هو ابن خمس عشره سنه (٣).

و يروى عن زيد قوله: أجازنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الخندق و كسانى قبضيه (٤).

و عنه: أجزت يوم الخندق، و كانت وقعه بعث و أنا ابن ست سنين (٥).

و عنه: لم أجز فى بدر، و لا فى أحد، و أجزت فى الخندق (٦). ١.

١- تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠ و ٣١ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ و تذكره الحفاظ ج ١ ص ٣٠ و شذرات الذهب ج ١ ص ٥٤ و تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩ و راجع: تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٣٩٩ عن الواقدي.

٢- تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٦ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ و تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١ و كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨١ عن الطبرانى و ص ٢٨٤ عن ابن عساكر.

٣- تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠ و ٣١ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥.

٤- سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٢ و فى هامشه عن الطبرانى و تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٢٩ و تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩.

٥- سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٣ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٢١ و تهذيب تاريخ دمشق ج ٥ ص ٤٤٩ و تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣٠.

٦- الإصابه ج ١ ص ٥٦١.

و توفي زيد سنه ثمان و أربعين، و عمره تسع و خمسون سنه (١).

و قال الواقدي: مات سنه خمس و أربعين، و هو ابن ست و خمسين سنه (٢) و كل ذلك يؤيد ما قلناه، و يدل عليه.

و أورد بعضهم: على كون الخندق في السنه الرابعه، بأن من المعلوم: أن غزوه بنى قريظه قد كانت في السنه الخامسه، و معلوم أنها كانت عقب الخندق (٣).

و أجيب عن ذلك: بأن الخندق يمكن أن تكون قد استمرت إلى أواخر الرابعه (٤)، لا سيما إذا صح قولهم: إنهم استمروا في حفر الخندق شهرا (٥) و أن الحصار قد استمر شهرا أيضا (٦) مع ملاحظه: أن ابن سعد يقول: إن الخندق قد كانت في شهر ذى القعدة (٥).

هذا، بالإضافة إلى حصاره (صلى الله عليه و آله) الطويل لبنى قريظه حسبما سيأتى. بعد ما تقدم نقول: إنه لا حاجة إلى الإفاضه في بيان خطأ قول البعض:

أن الخندق كانت سنه خمس باتفاق المؤرخين باستثناء ابن خلدون (٦).٧.

١- مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥ و تهذيب الكمال ج ١٠ ص ٣١.

٢- صفه الصفوه ج ١ ص ٧٠٤ و ٧٠٥.

٣- راجع: مرآه الجنان ج ١ ص ٩ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٢٨ و ٢٢٩.

٤- راجع: مرآه الجنان ج ١ ص ٩ و راجع السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٢٩ الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ١٠ ١٥٥ تاريخ غزوه الخندق: ص: ١٤٧ (٦) ستأتى الأقوال فى ذلك، حينما نتكلم عن مده حفر الخندق فى هذه الغزوه

٥- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢٢٨، و راجع: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٠.

٦- محمد رسول الله (صلى الله عليه و آله) تأليف محمد رضا ص ٢٢٧.

غزوه الخندق فى زمن الحصاد:

و ذكرت النصوص الآنفه المذكور: أن الأحزاب قدموا المدينه فى زمان حصد الناس زرعهم قبله بشهر، و أدخلوا حصادهم و أتبانهم.

و كانت غطفان ترسل خيلها فى أثر الحصاد- و كان خيل غطفان ثلاث مئه- فىمسك ذلك من خيلهم. لكن إبلهم كادت تهلك من الهزال، و كانت المدينه ليلالى قدموا جديبه (١).

و من جهه ثانيه: فإن غزوه بنى قريظه كانت بعد الخندق مباشره.

و يذكر الزهرى: أن أبا لبابه الذى خان الله و رسوله فيها، قد ارتبط فى المسجد فى حر شديد (٢) و كان يوما صائفا (٣).

و معنى ذلك هو: أن الأحزاب قد قدموا المدينه فى أواسط فصل الصيف، أو أواخره، لأن الحصاد يكون عاده فى أوائل فصل الصيف لا سيما فى بلاد الحجاز المتميزه بشده الحر فيها.

و هذا يلقي ظلالا- من الشك على ما يزعمونه من أن غزوه الخندق كانت (فى أيام شاتيه) (٤) أو (فى برد شديد) (٥) أو (فى زمن شات، و ليال باردهى).

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤ و الإمتاع ج ١ ص ٢١٩ و سبل الهدى و الرشاد و غير ذلك من مصادر تقدمت.

٢- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٥٠٧.

٣- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٥١٤.

٤- تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢.

٥- الجامع للقيروانى ص ٢٨١ و راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٤ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٥ و ٩٦ عن البخارى.

كثيره الرياح) (١).

و سيأتي: أن عائشه كانت تدفع رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هم يحفرون الخندق، كما يزعمون.

و ستأتي: سائر النصوص و المصادر لذلك، حينما نتكلم عن أسباب هزيمة الأحزاب و عن حفر الخندق.

إلا أن يقال: أن الحصاد قد يستمر إلى الخريف، فلا مانع من البرد و الشتاء حينئذ.

هل أخطأ التقويم التطبيقي؟!!

و بالمناسبه؛ فإن كتاب (التقويم التطبيقي لألف و خمس مئه سنه هجريه قمرية و ميلاديه) (٢). قد ذكر: أن أول شهر شوال للسنة الرابعه الهجرية يوازي يوم ٦ من شهر آذار سنة ٦٢٦ م، و أول شهر ذى القعدة يوازي يوم ٤ من شهر نيسان، و أول ذى الحجه يوازي ٤ أيار.

أما فى سنة خمس؛ فإن شوال و ذالقعدة، و ذالحجه توازي ٢٣ شباط حتى ٢٣ أيار.

و هذا التطبيق يخالف ما ذكره المؤرخون فى تاريخ غزوه الخندق.

أما بناء على ما ذكره الواقدي فواضح، لأننا قدمنا أن مقتضى كلام الواقدي هو أن غزوه الخندق قد حصلت فى أواخر الصيف و أن انصرافه.

١- تجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٢.

٢- راجع الكتاب: تقويم تطبيقي هزار و بانصد ساله هجرى قمرى و ميلادى قسم الجداول ص ١ تأليف: فردينادو وستنفد، و إدوارد ماهلر.

الأحزاب من الخندق كان في الخريف.

و أما بناء على ما ذكره الآخرون، فإن من الواضح: أنهم يذكرون: أن الأحزاب قد انصرفوا في ليله بارده شاتيه، و أن انصرفهم كان في أواخر ذى الحجه، أى في أواخر شهر أيار.

و من الواضح: أن الجو في الحجاز، و في المدينه لا يكون في هذا الوقت باردا و لا شاتيا فضلا عما يذكرونه من برد كان يقاسيه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هم يحفرون الخندق- كما سيأتى- فى شوال أو فى ذى القعدة.

فإن الجو فى المدينه يكون فى هذه الأيام فى أعدل أحواله، كما هو معلوم من حال منطقه الحجاز لكل أحد.

مشاركه الحارث بن عوف فى الخندق:

قد ذكرت النصوص المتقدمه: أن الحارث بن عوف قد شارك فى حرب الخندق. و لكن قد روى الزهرى، و كذلك بنو مره خلاف ذلك، فذكروا:

أنه لما أجمعت غطفان على السير أبى الحارث بن عوف المسير، و قال لقومه:

(تفرقوا فى بلادكم، و لا- تسيروا إلى محمد، فإنى أرى أن محمدا أمره ظاهر. و لو ناوأه من بين المشرق و المغرب؛ لكانت له العاقبه؛ فتفرقوا فى بلادهم، و لم يحضر واحد منهم) (١).

و فى نص آخر: أنه قال لعيينه بن حصن، و لقومه من غطفان: (يا قوم أطيعونى، و دعوا قتال هذا الرجل، و خلوا بينه و بين عدوه من العرب) ٩.

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٣ و راجع: الإكتفاء ج ٢ ص ١٥٩.

فغلب عليهم الشيطان، و قطع أعناقهم الطمع، و نفذوا لأمر عينه على قتال رسول الله (صلى الله عليه و آله) و كتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد فأقبل طلحه فى من اتبعه من بنى أسد الخ .. (١).

و قال المقرئى و الحلبي الشافعى: (و قيل: لم تحضر بنو مره) (٢).

لكن الواقدى يصر على: أن بنى مره قد شهدوا الخندق، بقيادة الحارث بن عوف، و هجاه حسان شعرا.

و ذكروا: أنه كان بينه و بين النبى (صلى الله عليه و آله) جوار.

و قال الواقدى: (فكان هذا أثبت عندنا: أنه شهد الخندق فى قومه.

و لكنه كان أمثل تقيه من عينه) (٣).

و قال الواقدى أيضا: (لم يحضر الخندق الحارث بن عوف و لا قومه.

و يقال: حضرها الحارث بن عوف.

قال ابن واقد: و هو أثبت القولين عندنا) (٤).

أبو رافع قتل بعد أحد:

و قد ذكرت بعض النصوص أيضا: أبا رافع اليهودى فى جملة من حرض المشركين و حزب الأحزاب فى غزوه الخندق (٥). ٣.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٥٩.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١١ و الإمتاع ج ١ ص ٢١٩.

٣- المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٤٤.

٤- المغازى ج ٤ ص ٤٧٧ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٧.

٥- راجع: جامع البيان ج ٥ ص ٨٦ و الدر المنثور ج ٢ و تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥١٣.

إن أبا رافع قد قتل كما يقولون في السنه الثالثه فى جمادى الآخره منها (١)، و ذلك بعد قتل ابن الأشرف، و قيل بعد أحد، و قيل فى السنه الرابعه (٢).

و لكن من الواضح: أن ذلك كان قبل وقعه الخندق، التى كانت فى أواخر الرابعه، و استمرت حتى الخامسه، هى و غزوه بنى قريظه، كما رجحناه، أو كانت فى السنه الخامسه.

و لو كان أبو رافع حيا فى غزوه الخندق، لكان المناسب أن يذكر مقتله بعد الخندق، لا بعد أحد، فراجع و لاحظ كلماتهم.

هل كان أبو الأعور فى الخندق!!؟

و قد ذكرت بعض النصوص المتقدمه: أن أبا الأعور السلمى كان قائد بنى سليم فى غزوه الأحزاب ضد المسلمين (٣).

و لكن الظاهر: هو صحه ما ذكره الواقدى و غيره، من أن أبا الأعور السلمى هو الذى حضر مع الأحزاب فى حرب الخندق (٤). ٨.

١- راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ١٨٢ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٤٦.

٢- راجع: الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٤٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ١٨٣.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٧ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٠ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٨٠ و البحار ج ٢٠ ص ١٩٧ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٩ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٧ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٥٩.

٤- راجع المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٤٤ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٨.

و يدل على ذلك: قول قيس بن سعد للنعمان بن بشير: إنه لم يكن مع معاوية غيره و غير صويحبه مسلمه بن مخلد (١) كما سيأتي. فلو كان أبو الأعور صحابيا لم يصح قول قيس هذا. فيظهر أن الراوى، أو الناسخ قد أسقط كلمه (أبا) الأولى، إما اشتباها أو سهوا، أو لحاجه فى نفسه قضاها.

و الذى نخشاه هو: أن يكون هذا الإسقاط قد جاء لخدمه هدف سياسى من نوع ما، كأن يكون هو دعوى أن أبا الأعور قد لقي النبى (صلى الله عليه و آله) و رآه، و ذلك بهدف الإيحاء بصحة دعوى كون أبى الأعور من الصحابه، و ذلك تدعيما لموقف معاوية بتكثير عدد الصحابه معه، و إيجاد شبهات حول بغيه على إمام زمانه.

و لكن مراجعه كتب الرجال و التراجم توجب المزيد من الشك و الريب فى هذا الأمر، فقد قال العسقلانى: (قال ابن أبى حاتم، عن أبيه:

أدرك الجاهليه، و لا صحبه له و حديثه مرسل، و تبعه أبو أحمد العسكرى.

و ذكره البخارى فى من اسمه عمر. و لكن لم يذكره فى الصحابه ..).

إلى أن قال: (و قال ابن حبان فى ثقات التابعين: يقال له صحبه) (٢) و نقل ابن منظور عن ابن عساكر قوله:

(يقال: له صحبه. و يقال: لا صحبه له) (٣). ٨.

١- صفين للمنقرى ص ٤٤٩.

٢- الإصابه فى تمييز الصحابه ج ٢ ص ٥٤٠ و ج ٤ ص ٩ و راجع: أسد الغابه ج ٤ ص ١٠٩ و ج ٥ ص ١٣٨ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٤ ص ١٤.

٣- مختصر تاريخ دمشق ج ١٣ ص ٢١٨.

توثيق أبي الأعور!!

و الذى يلفت نظرنا هنا: هو توثيقهم لأبى الأعور (١)، رغم تصريحهم بأنه كان أشد من عند معاوية على على (عليه السلام)، و كان على (عليه السلام) يدعو عليه فى القنوت فى آخري (٢).

بل لقد قال ابن الأثير: (كان من أعيان أصحاب معاوية، و عليه كان مدار الحرب بصفين) (٣).

فمقام أبى الأعور لدى معاوية و خدماته لعرش الشام و ضدته مع على (عليه السلام) قد جعل الكثيرين ممن يسيرون فى هذا الاتجاه يهتمون بصياغه الفضائل له، لأنها ستكون فى نهايه الأمر فضائل لمعاوية نفسه.

و لعلمهم أرادوا أن يلبسوه ثوب الصحبه لرسول الله (صلى الله عليه و آله) من أجل تكثير الصحابه عند معاوية، بهدف إيجاد شبهات حول بغيه على إمام زمانه، كما قلنا.

و قد تعودنا من هذا النوع من الناس محاولات من هذا القبيل، تهدف إلى تقليل عدد الصحابه مع على (عليه السلام)، و زيادتهم مع خصومه، حتى ليروون عن الشعبى أنه قال: (من زعم أنه شهد الجمل من أهل بدر ٩).

١- الإصابه ج ٢ ص ٥٤٠ و ٥٤١ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٧.

٢- راجع: أسد الغابه ج ٢ ص ١٣٨ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٤ ص ١٤.

٣- أسد الغابه ج ٤ ص ١٠٩.

إلا أربعه فكذبه. كان على و عمار فى ناحيه، و طلحه و الزبير فى ناحيه) (١).

و يظهر أن أمير المؤمنين (عليه السلام) و أصحابه قد التفتوا إلى هذا الأمر و لذلك نجدهم يتحدثون عن حضور الصحابه معهم، و يعطون ارقاما دقيقه فى هذا المجال.

فقد رووا: أن ناسا من قراء أهل الشام لحقوا بعلى (عليه السلام) فقال عمرو بن العاص لمعاويه عن على (عليه السلام) فى جملة كلام له: (و إنه قد سار إليك بأصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) المعدودين، و فرسانهم، و قرائهم، و أشرفهم، و قدمائهم فى الإسلام، و لهم فى النفوس مهابه الخ ..).

فجمع معاويه أجناد أهل الشام و خطبهم، فبلغ عليا (عليه السلام) ذلك، فأمر الناس فجمعوا.

قال أبو سنان الأسلمى: (و كأنى أنظر إلى على متوكئا على قوسه، و قد جمع أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) عنده، فهم يلونه و [كأنه] أحب أن يعلم الناس: أن أصحاب رسول الله متوافرين عليه، فحمد الله ثم قال الخ ..) (٢).

و قال سعيد بن قيس فى خطبه له: (و قد اختصنا الله منه بنعمه فلا نستطيع أداء شكرها، و لا نقدر قدرها: أن أصحاب محمد المصطفين الأختيار معنا، و فى حيزنا؛ فو الله الذى هو بالعباد بصير: أن لو كان قائدنا حبشيا مجدعا إلا أن معنا من البدرين سبعين رجلا؛ لكان ينبغى لنا أن ٣).

١- العقد الفريد ج ٤ ص ٣٢٨.

٢- صفين للمنقرى ص ٢٢٢ و ٢٢٣.

تحسن بصائرنا الخ (١).

و يقول الأشر في صفين: (و أنتم مع البدرين، قريب من مائه بدرى، و من سوى ذلك من أصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) (٢).

و قد كان لهم أثر عظيم فى الحرب و لا سيما الأنصار منهم كما اعترف به معاويه، فراجع (٣).

و قد قالوا: كان مع على (عليه السلام) ثمان مئة رجل ممن بايع النبي (صلى الله عليه و آله) تحت الشجره.

و عن سعيد بن جبير: كان مع على رضى الله عنه يومئذ ثمان مئة رجل من الأنصار، و تسعمائه ممن بايع تحت الشجره.

و عن الأعمش: كان معه ثمانون بدرى، و ثمان مائه من أصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) (٤).

و قال الزبير بن بكار: (شهد صفين مع أمير المؤمنين (عليه السلام) من أهل بدر سبعة و ثمانون رجلا، منهم سبعة عشر رجلا من المهاجرين، و سبعون من الأنصار، و أما من باقى الصحابه فكان معه ألف و ثمان مئة، منهم تسعون رجلا بايعوا رسول الله (صلى الله عليه و آله) تحت الشجره) (٥).

١- صفين ص ٢٣٦.

٢- صفين ص ٢٣٨.

٣- صفين ص ٤٤٥ - ٤٤٩.

٤- الفتوح لابن أعمش ج ٢ ص ٤٥٠.

٥- تذكره الخواص ص ٨١ و ٨٢ و راجع: المعيار و الموازنه ص ٢٢ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٤ و الغدير ج ١٠ ص ١٦٣ عن بعض المصادر الأخرى.

و يعترف معاويه بأن المهاجرين و الأنصار كانوا مع علي (عليه السلام)، فهو يقول لابن عباس: (فاذكروا علي بن أبي طالب و محاربتة إياي، و معه المهاجرون و الأنصار الخ ..) (١).

و قال قيس بن سعد للنعمان بن بشير: (انظر أين المهاجرون و الأنصار و التابعون بإحسان، الذين رضى الله عنهم، ثم انظر: هل ترى مع معاويه غيرك و صويحبك؟! الخ ..) (٢).

و المراد بصويحبه: مسلمه بن مخلد.

آيه سوره النساء متى و فيمن نزلت:

لقد تحدثت النصوص التاريخيه المتقدمه عن قوله تعالى:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا، أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا، أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .. (٣).

فذكرت: أن هذه الآيات قد نزلت في هؤلاء اليهود الذين ذهبوا إلى مكه، و إلى سائر القبائل ليحرضوهم على قتال النبي (صلى الله عليه و آله) فجمعوا الجموع، و حزبوا الأحزاب، فكانت غزوه الخندق.

و نقول:ء.

١- الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ٢٣٩.

٢- صفين ص ٤٤٩ و راجع ابتداء من ص ٤٤٥.

٣- الآيات ٥١-٥٤ من سوره النساء.

إننا نشك في أن تكون هذه الآية قد نزلت في هذه المناسبة و ذلك لما يلي:

١- هناك روايات تقول: إن هذه الآية قد نزلت في مناسبة أخرى سبقت غزوه الخندق. و ذلك لما ذهب كعب بن الأشرف إلى قريش، يحرضهم على غزو المسلمين، فسألوه عن أن أى الفريقين أهدى، فأجابهم بما يقرب مما سبق. و ذكروا أيضا: أنهم طلبوا منه أن يسجد لأصنامهم، ليطمئنا إلى أنه لا يمكر بهم؛ ففعل، مجاراه لهم.

و ظاهر بعض النصوص الأخرى: أن هذه الآيات قد نزلت في مكة قبل الهجرة حيث ذكرت نزول سورة الكوثر في هذه المناسبة أيضا، و هى إنما نزلت قبل الهجرة (١).٩.

١- الدر المنثور ج ٢ ص ١٧١-١٧٣ عن الطبرانى، و البيهقى فى الدلائل عن عكرمه عن ابن عباس. و عن سعيد بن منصور، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم، عن عكرمه مرسلا. و عن أحمد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم عن ابن عباس. و عن عبد الرزاق، و ابن جرير عن عكرمه. و عن ابن جرير عن مجاهد. و عن عبد بن حميد، و ابن جرير عن السدى، عن ابى مالك. و عن البيهقى فى الدلائل، و ابن عساکر فى تاريخه عن جابر عن عبد الله. و عن عبد بن حميد، و ابن جرير، و ابن المنذر، و ابن أبى حاتم عن قتاده و الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٢٤٩ و مجمع البيان ج ٣ ص ٥٩ و التفسير الكبير ج ١٠ ص ١٢٨ و التبيان ج ٣ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و البحر المحيط ص ٢٧١ و النهر الماد من البحر (مطبوع بهامش البحر المحيط) ج ٣ ص ٢٧١ و الكشاف (ط دار الفكر) ج ١ ص ٥٣٢ و جامع البيان ج ٥ ص ٨٥ و ٨٦ و تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥١٣ و فتح القدير ج ١ ص ٤٧٨ و ٤٧٩ و تفسير الخازن ج ١ ص ٣٦٨ و مدارك التنزيل للنسفى (مطبوع بهامش تفسير الخازن) ج ١ ص ٣٦٩.

إلا أن يقال: إنها مما تكرر نزوله.

٢- قيل: كان أبو برزه كاهنا في الجاهلية، فتنافس إليه ناس ممن أسلم، فنزلت الآية. عن عكرمه (١).

توضيح و تصحيح:

إن القصة التي يحكيها المؤرخون قد فرضت وجود فريقين هما:

جماعه اليهود، و المشركون.

و قد سأل المشركون اليهود عن الأهدى؟ هم أم المسلمون؟

فأجابهم اليهود: أنتم أولى بالحق.

مع أن الآية تفرض الفريقين يتحدثان عن فريق ثالث أشير إليه بقولهم: هُوَ لَأَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٢).

أى أن اليهود قالوا للمشركين: هؤلاء أهدى، و لم يقولوا لهم: أنتم أهدى. فلا ينطبق مدلول الآية على روايات المؤرخين، سواء روايه كعب بن الأشرف، أو حبي بن أخطب، أو روايه أبى برزه الآنفه الذكر.

إلا أن يقال: فى الآية التفات من الخطاب بالضمير إلى الإشارة بكلمه هؤلاء، و الالتفات موجود فى القرآن.

و النكته المسوغه لهذا الالتفات هى: أن الله سبحانه قد قال: وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا .. فجاء بصيغه المضارع ليفيد: أن هذا النهج فى التعامل مستمر فى هذا النوع من الناس. و ليست القضية قضيه مضت و ذهبت، قده.

١- مجمع البيان ج ٣ ص ٥٩.

٢- الآية ٥١ من سوره النساء.

تكون لها ظروفها و مبرراتها، فلا تمثل خطأ مستمرا لهؤلاء الناس.

فلما عبر تعالى عما حدث بصيغه المضارع، فإنه لم يعد بالإمكان أن يقول: (أنتم أهدى)، لأن الخطاب لما صار فعليا فيحتمل فيه أن يكون موجها لهؤلاء الناس الذين يسمعون الآية من النبي (صلى الله عليه و آله)، و يخاطبهم (صلى الله عليه و آله) بها، و يحتمل أن يكون خطابا للكافرين أيضا.

فهو من قبيل ما لو قلت لرجل: زيد قال لعمر: أنت رجل فاسق، فكلمه أنت رجل فاسق يحتمل فيها أن تكون موجها لمخاطبك أنت، و يحتمل أن تكون موجها لعمر.

إذن .. فلا بد فى الآية من التصرف فى خطاب أولئك الناس و الإتيان بالمضمون بطريقه تدفع هذا الالتباس.

و هكذا كان، فإنه تعالى استخرج مضمون كلامهم و هو أن هؤلاء أى الكفار المشركين الذين خاطبهم أهل الكتاب (و هم غير من يخاطبهم النبي بالقرآن فعلا) أهدى من المؤمنين.

فاتضح: أن الآية لا تنافى سياق الحدث التاريخى الذى هو مورد البحث.

تحريض اليهود:

لقد رأى اليهود عن كتب كيف أن المسلمين يزدادون قوه و يزداد الإسلام انتشارا باستمرار.

و يرون أن نفوذهم كمصدر وحيد للمعارف بدأ ينحسر و يتلاشى و ها هو الإسلام ينتقد ما يدّعيه اليهود من ذلك و يفنده، و يبين الصحيح من

المزيف منه. و هو بذلك يزلزل مكانتهم، و يفقدهم الشىء الذى كانوا و لا يزالون يعترفون و يفتخرون و يتسامون به على الناس.

و يبطل مزعتهم بأنهم شعب الله المختار، و يرفع شعار: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ و لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى.

فاحترقت قلوبهم بالغيظ و طفحت بالحقد، و تأمروا على هذا الدين و نقضوا عهودهم التى قطعوها على أنفسهم، و جرّوا على أنفسهم البلاء و العناء. و كانت واقعه بنى قينقاع، ثم واقعه بنى النضير.

و هم يريدون أن يأخذوا بأرهم حسب زعمهم، و لكنهم يدركون عجزهم عن ذلك بأنفسهم، فالتجأوا إلى تأليب قريش و العرب الموتورين من الإسلام، و الطامعين بتحقيق مكاسب مالىة و غيرها من حرب كهذه.

و يقول القاضى النعمان ما ملخصه: إن يهود المنطقه، و هم أهل نعم و أموال، و أصحاب رياسه، قد أزعجهم انتشار الإسلام، لأنهم رأوا أنهم يفقدون هيمنتهم على المنطقه و على أهل الشرك الذين يكذبون بالبعث، فجددوا رسول الله و شككوا الآخرين ما أمكنهم بنبوته.

فلما كان من أمر أحد ما كان، ندموا على عدم المساعدة على حرب محمد، لأنهم رأوا أنها كانت فرصه، و لو أقام المشركون على الحرب لظفروا بالمسلمين؛ فأرسلوا إلى أبى سفيان و وعدوه النصر، فوجد أنها فرصه.

و طلب منهم أن يعلنوا للناس بتكذيب محمد، لأن الناس يركنون إليهم، لأنهم أهل كتاب.

فمضى وجوههم و ساداتهم إلى مكه، و شهدوا للمشركين بأنهم أهدي من محمد سيلا، فوثقوا بهم، و مشوا معهم إلى قبائل العرب ليقنعوهم

بحرب محمد (صلى الله عليه وآله) واستئصاله، و تعاقدوا على ذلك الخ .. (١).

الداء الدوى:

قد اتضح مما تقدم: أن اليهود كانوا هم الذين خططوا لحرب الخندق، و اتصلوا بقريش و بغطفان، و سائر القبائل، و حرضوهم، و شجعوهم، و ساعدوهم على التفاهم و الإتفاق ثم المبادرة إلى غزو النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، و المسلمين فى المدينة و بذلوا لهم من أموالهم ثلث ثمار خيبر أو أكثر من ذلك.

و قد بدا واضحا من سير الأحداث: أن اليهود أشد حقا و حنقا على الإسلام و المسلمين. و أنهم رغم كل الآيات و الحقائق التى كانوا يعرفونها و يشاهدونها لم يستطيعوا أن يتفاعلوا مع هذا الدين، و لا تذوقوا طعم الإيمان به. إلا أفراد قليلون منهم وفقهم الله لنيل هذه الكرامه و الفوز بهذا الشرف العظيم من أمثال مخيريق الشهيد السعيد رحمه الله تعالى عليه و رضوانه.

ثم إنهم منذ دخل الإسلام إلى المدينة لم تجتمع لهم كلمه على حربه، لأنه دخل قويا عزيزا بتحالفه مع القبائل ذات النفوذ فى المنطقه، و لا سيما الأوس و الخزرج. ثم لأن النبي (صلى الله عليه وآله) عقد تحالفات معهم بين الحين و الآخر.

و لم يزل اليهود فى موقع الضعف و الهوان فى قبال عز الإسلام و منعته، ١.

و نفوذہ و شوکتہ.

فالتجأوا منذ اللحظة الأولى إلى مناوآته بأساليب التآمر و الغدر و الخيانه، و إذكاء الفتن، و إثارة النعرات العرقية و غيرها، و كان هذا هو السبيل الذى اختاروه لأنفسهم، بعد أن صدوا عن سبيل الله، و اتخذوا آيات الله هزوا.

أما المشركون فإنهم حين يستجيون لليهود، فإنما يستجيون لإنقاذ سمعتهم، و استعادة هيبتهم التى اهترت و أصيبت بنكسه قويه بسبب تخلفهم عن بدر الموعد، لدواعى حقد دفين يعتل فى نفوس الكثيرين منهم، أو إلى نوازع الطمع و الجشع و حب الحصول على شىء من حطام الدنيا كتمر خبير، لدى كثيرين آخرين، كما و يستجيب فريق آخر لنداء الشيطان، الذى يزين لهم أعمالهم و يعدهم و يمنيهم، و ما يعدهم الشيطان إلا- غرورا، فيصرون على الجحود و على الإستكبار و العتو و العلو. و إن ربك لبالمرصاد.

و لكن حين يفرض الإيمان و الإسلام نفسه عليهم، فإنك تجد الأمر لا يصل فى صعوبته و تعقيده إلى الدرجة التى نجدها عند اليهود رغم وضوح الأمر لدى اليهود.

حتى إنهم ليعرفون هذا النبى (صلى الله عليه و آله) كما يعرفون أبناءهم، و يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه و الإنجيل، و ليس الأمر بالنسبه للمشركين كذلك، إلا أنهم يرون المعجزات و الكرامات، و يقيم (صلى الله عليه و آله) عليهم الحجج، حتى لا يبقى عذر لمعتذر، و لا حيله لمتطلب حيله.

هذا، و من المضحك المبكى هنا: أننا نجد اليهود يريدون أن ينتصروا على محمد و المسلمين بواسطه قريش و القبائل العربيه، و قريش تريد أن تحقق هذا

الهدف بالذات بالإفاده من خيانه اليهود، و مساعده قبائل غطفان و غيرها.

أما غطفان و غيرها من القبائل العربيه: فتريد الحصول على المال و لكن بالاعتماد على جهد القريشى و كيد اليهودى. و لم يكن اهتمامها باستئصال شأفه الإسلام و المسلمين يصل إلى درجه اهتمام قریش و اليهود بذلك- كما ربما يظهر من بعض المؤلفين.

أهداف الحرب:

أما أهداف الحرب: فهي كما يظهر من كلامهم السابق استئصال محمد و من معه، و لكننا إذا أردنا تحديد ذلك بدقه، فإننا نقول:

لقد حدد على (عليه السلام) هدف الأجزاء و العرب من الحرب و قال: (إن قریشا و العرب تجمعت، و عقدت بينها عقدا و ميثاقا، لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله، و تقتلنا معه معاشر بنى عبد المطلب) (١).

و نعتقد: أن هذا الكلام هو الأقرب و الأنسب فيما يرتبط بتحديد الهدف الأقصى للحرب، فإن كلامهم المتقدم فى النصوص التى أوردناها، و إن كان ينص على استئصال محمد و من معه، إلا أن استئصال جميع من مع النبى من الأوس و الخزرج، و سائر قبائل العرب لن يكون سهلا و لا ميسورا لهم. و لا يمكن لهم أن يقدموا على إذكاء نار قد لا يمكنهم إطفاء لهيبها على مدى أجيال و لسوف ينالهم منها الشىء الكثير و الخطير كما هو معلوم ..٧.

١- الخصال (باب السبعه) ج ٢ ص ٣٦٨ و البحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ و شرح الأخبار ج ١ ص ٢٨٧ و الإختصاص ص ١٦٦ و ١٦٧.

أما قتل محمد و بنى عبد المطلب، فهو الأسهل و الأيسر، و به يتحقق المطلوب، و لماذا يذهبون إلى أبعد من ذلك؟!!

غير أن من الواضح: أن هذا لن يقنع اليهود، لأن هدفهم هو استئصال محمد و جميع من معه. و لعل ذلك يفيدهم فى إعاده بسط هيمنتهم و نفوذهم على يثرب و على المنطقه.

أما غطفان و سائر القبائل فيهما تمر خبير بالدرجه الأولى، اما استئصال محمد و المسلمين فلا ترى فيها أية سلبيه، بل هو أمر محبوب بالنسبه إليها و مطلوب.

الأحقاد هي المحرك:

قد قرأنا فيما سبق: أن اليهود يقولون للمشركين: (جئنا لنحالفكم على عداوه محمد و قتاله).

فأجابهم أبو سفيان: (مرحبا و أهلا، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوه محمد).

و الذى نريد أن نلفت النظر إليه هنا: هو أن هؤلاء الناس لم يكلفوا أنفسهم حتى تلطيف عباراتهم، و عقلنه تصريحاتهم. بل أظهروا كل ما يضمرونه من سوء دونما رادع من خلق، أو وازع من عقل أو شرف أو منطق.

فلم يقولوا لأهل مكه مثلا: إننا جئنا لأجل أن نتدارس الأمور، بموضوعيه و إنصاف، ثم بحكمه و بمسؤوليه، واضعين فى حسابنا الحفاظ على المصالح الاجتماعيه العامه، و توفير الأمن و الاستقرار للناس، و تجنيبهم

مآسى الحروب و سلبياتها على جميع الأصعدة، و فى مختلف الاتجاهات، و إعطاء الناس الفرصه لبناء حياتهم بناء سليما، ثم الإعداد لمستقبلهم، فى ظلال من السلام و الأمن، و فراغ البال و اطمئنان خاطر.

كما إنهم قد أخفوا ما يضمرونه من الطموح إلى تحقيق مكاسب سياسيه، و امتيازات على صعيد النفوذ و الهيمنه على المنطقه، أو فيما هو أوسع منها.

و لم يعترفوا أيضا: أن مصالحهم الدنيويه، و ما فيها من أموال و تجارات و مواقع و مناصب و لذائذ، لها دور فى اندفاعهم إلى حرب محمد و من معه، لظنهم أنهم سوف يخسرون الكثير مما سيتأثرون به لأنفسهم على حساب غيرهم من الناس المستضعفين و المحرومين.

بل غايه ما صرّحوا به: هو أن دافعهم ليس إلا الأحقاد و الضغائن، و العداوات الباطله، و البغى و الحسد، بل لا مبرر ظاهر سوى أنهم لا يريدون لهؤلاء الناس أن يقولوا: ربنا الله، و ليس ربنا الحجاره، و لا يريدون أن يتخذوا الطواغيت أربابا من دون الله.

و صدق الله تعالى حيث يقول: **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا .. (١)**.

يريدون ليطفئوا نور الله سبحانه:

قد عرفنا: أن اليهود إنما قدموا مکه ليتحالفوا و يتعاقدوا مع المشركينه.

على استئصال محمد (صلى الله عليه وآله) و من معه حسب زعمهم، حيث قالوا لقريش: (نحن معكم حتى نستأصل محمدا) أو (سنكون معكم حتى نستأصله و من معه).

كما أنهم و هم يقررون ما يتعاقدون عليه، قالوا: (و لتكون كلمتنا واحده على هذا الرجل ما بقى منا رجل).

و ذلك يعنى:

١- أن هدفنا المعلن هو استئصال شأفه الإسلام و المسلمين.

٢- أنهم مصممون على تحقيق هذا الهدف بأسلوب الحرب حتى آخر رجل منهم.

٣- أن هذه المبادرة منهم قد جاءت عن طريق خيانتهم لعهودهم و موافقتهم التى كانوا قد أبرموها مع نفس الذين يريدون استئصالهم، مع العلم بأن ذلك الطرف لم يزل و فيا بعهدده حافظا لموافقتهم معهم، و لم يحدث أن خان أو تردد فى عهد مع أى فريق منهم، و لم يسئ إليهم و لا إلى غيرهم بشىء إلا ما يجرونه هم على أنفسهم بخياناتهم المتتاليه، و هم يرتكبون هذه الخيانه رغم أنهم قد رأوا بأعينهم عواقب خيانه بنى قينقاع، ثم خيانه بنى النضير، و أكثرهم نضيريون، كما تقدم.

٤- أن مبرر هذا الإيجرام العظيم و البشع هو مجرد الحسد و الحقد منهم. بالإضافة إلى مكاسب سياسيه، و اجتماعيه و غيرها يحلمون بتحقيقها على المدى البعيد من خلال فرض هيمنتهم على المدينه و على غيرها بصوره و بأخرى.

فلم يكن الهدف عقيديا و لا إنسانيا و لا أخلاقيا. بل هم قد داسوا

بأقدامهم الإنسانية والأخلاق وحتى مبادئهم و عقيدتهم التي يدعون أنهم ينتسبون إليها وهذا هو منتهى الإسفاف، و غايه التردى فى حمأه الجريمه و البغى.

الإيمان و الموائيق لا تجدى:

و بعد .. فإن الملفت للنظر هنا: أننا نجد اليهود يفقدون صفه الأخلاقيه و المبدئيه فى مواقفهم، و فى مجمل تحركهم فى مواجهه الإسلام و المسلمين، و كذلك نجد المشركين، خصوصا أبا سفيان، لا يختلف عن اليهود فى ذلك.

فأبو سفيان يحاول أن يخدع قومه فى حركته الهادفه إلى دفعهم إلى مواجهه الإسلام، حيث إن اليهود يتصلون به أولا، ثم يتفق معهم على دعوه الناس إلى استئصال النبى (صلى الله عليه و آله)، و حين يطلبون ذلك من الناس علنا يظهر أبو سفيان بمظهر من يسمع هذا الكلام لأول مره!!

ثم إنهم يصرحون: بأنهم جاؤوا للتحالف على العداة لمحمد، فلم يكن هذا المجىء، لمحاوله فهم دعوه هذا الرجل، و التعامل معه و معها بإنصاف و بموضوعيه، و تعقل و تدبر كما أسلفنا.

كما أنهم يفضلون الاتصال أولا بأبى سفيان، و لم يكن المبرر لذلك إلا أنهم يعلمون بعداوته لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، و تسرعه لقتاله فهم يريدون إذن توظيف حاله الحقد غير المسؤول لدى أبى سفيان، و حاله التسرع اللاواعى عنده لصالح تحقيق الأهداف التى يرمون إلى تحقيقها.

أضف إلى ما تقدم: أنهم لا يتورعون عن ارتكاب جريمه التضليل الإعلامى و التعليمى، و مخالفه قناعاتهم، و حتى أصول دينهم فى هذا السبيل.

فهم يقررون للمشركين أن الشرك أهدي من التوحيد و أن دعوى الجاهليه خير من الهدى الإلهى.

هذا كله عدا عن استخدامهم المال أيضا كوسيله لتحريك بعض الفئات لحرب محمد (صلى الله عليه و آله) و من معه.

و إذا صحت الروايه التى تقول: إن أبا سفيان قد طلب من اليهود أن يسجدوا للأصنام، لأن قريشا خافت من مكرهم، فاستجاب اليهود و سجدوا للأوثان، و كذلك فعل كعب بن الأشرف و من معه، حين جاؤوا فى مره سبقت حرب الخندق لتحريض المشركين على حرب محمد- إذا صح ذلك- فإن الأمر يصبح فى غايه الواضح:

١- حيث يكون اليهود قد أسقطوا عن وجوههم جميع الأفعه، و تجاوزوا كل حد، و كل الأرقام القياسيه فى سحق المثل و القيم، و المبادئ الأخلاقيه و الإنسانيه و أثبتوا أنهم و صوليون بكل ما لهذه الكلمه من معنى.

و الغريب فى الأمر: أننا نجدهم يعتمدون على الإيمان و الموائيق لإحكام أمرهم مع المشركين، و للحصول على الحد الأدنى من الاطمئنان و الوثوق ببعضهم البعض، رغم أنهم قد مارسوا- عمليا- أساليب من شأنها أن تنسف كل عوامل الثقه و لو بمستواها الأضعف و الأدنى.

و إلا، فهل يمكن أن يكون المشركون قد وثقوا باليهود لمجرد أنهم قد رأوهم يسجدون للأوثان؟!

و هل اعتقد المشركون: أن اليهود قد تركوا يهوديتهم، و دخلوا فى الشرك؟!

و إذا كانت الإجاباه بالنفى، فما معنى وثوقهم بأيمانهم و موائيقهم؟! و ما معنى اطمئنانهم إلى عدم مكرهم بهم، و خديعتهم لهم؟!

أليست نفس استجابتهم لطلب المشركين بالسجود للأوثان دليلاً على أنهم لا عهد، ولا ميثاق، ولا أيمان لهم؟ بل هي دليل على أنهم يخادعونهم و يمكرون بهم، و يريدون استخدامهم فيما يريدون بأية صورة كانت، و بأى ثمن كان؟!!

ألم يدرك المشركون: أن وثوقهم باليهود استناداً إلى ذلك معناه أنهم يخدعون أنفسهم؟! و يظهرون للملأ: أنهم على درجه كبيره من الرعونه و السذاجه؟!!

٢- و مما يزيد في ضراوه هذه الشكوك: أننا نجد اليهود، حين سألهم المشركون عن ذلك، قد طلبوا من المشركين أن يعرضوا عليهم دينهم و دين محمد، ليحكموا لهم أو عليهم.

فلما عرضوا ذلك عليهم أصدروا حكمهم لصالح دين المشركين، و أنهم أولى بالحق كما تقدم.

و السؤال هنا هو: هل صحيح أن اليهود كانوا لا- يعرفون دين المشركين، الذين يعيشون بينهم و يتعاملون معهم منذ عشرات السنين؟!!

و هل كان المشركون أعرف بأمر محمد (صلى الله عليه و آله) و بدعوته من اليهود، و هو يعيش بين ظهراينهم، و قد عقدوا معه التحالفات و خاضوا معه الحروب، و لم يزل يدعوهم إلى دينه و يحتج عليهم و قد جاؤوا ليحرضوا الناس على حربه و استئصاله؟!!

٣- و الأ-غرب من ذلك أن يخطر ببال أحد من المشركين و غيرهم: أن يجيب اليهود، الذين جاؤوا للتحريض على استئصال محمد، بغير ما أجابوا به!!

٤- و الأ-عجب من ذلك: أن يعتبر الشرك ديناً يصلح للمقارنه مع ما جاء به النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) من عند الله تعالى.

تمر خبير:

بقى أن نشير أخيرا: إلى هذا السخاء الذى تجلى فى اليهود حتى جعلوا تمر خبير سنه، أو نصفه كل سنه، لغطفان لتوافق على المشاركة فى الحرب ضد الإسلام.

و لا ندرى ما هو الدافع لهم للإقدام على هذه الخطوه؟ فهل كان هذا يستبطن غدرا و نقصا كما هو معروف عن اليهود؟ أى أنهم بعد أن يتخلصوا من عدوهم الأقوى و الأخطر بنظرهم يرفضون الوفاء بما تعهدوا به لغطفان.

و هل فكرت غطفان فى هذا الأمر بصوره جديده و واقعيه؟!

و ما هو المبرر لهذه العداوه الراسخه من اليهود للإسلام و لنبي الإسلام؟!

و كيف نفسر هذا السخاء الذى لا نظير له من قوم لم نعرف عنهم إلا المزيد من الحرص على المال و على الدنيا، و إلا الشح المزرى، و البخل المشين؟!

هذا السخاء قد جاء من أجل استئصال أناس لم يروا منهم إلا الوفاء و الصدق، و النبل و الالتزام بالقيم الإنسانيه و المثل العليا!!

إن التفسير الوحيد المعقول لذلك هو: أنهم يشعرون أن الإسلام يمثل خطرا يتهدد دنياهم و امتيازاتهم، و هو يتناقض بصوره عميقه و أساسيه مع ما يفكرون به، و يخططون له من استغلال لثروات البلاد، و إذلال و استعباد للعباد.

فلماذا إذا: لا- يضحون ببعض المال من أجل إزاحه هذا الكابوس الجاثم على صدورهم؟ فإذا تمكنوا من ذلك، فإنهم سوف يستقبلون الدنيا

العريضة بكل ما لديهم من خطط ماكره، و أساليب شيطانيه، تجعلهم يتحكمون بكل مقدرات الأمم، و يهيمنون على كل نبضات الحياه فيها؟!!

تأثير المال فى تحزيب الأحزاب:

إن من الواضح: أنه لم يكن لقوى الكفر قياده موحده، ترسم الخطه، ثم تتخذ القرار، ثم تعمل على تنفيذه، بل كانت لهم قيادات متعدده و مختلفه.

و ذلك من شأنه أن يضعف أمرهم، و يوهن وحدتهم، مع وجود فرص تساعد على إلقاء الخلاف فيما بينهم و إذكاء روح التنافس، و إشاعه روح التشكيك ببعضهم البعض كما حصل لبنى قريظه.

كما أن من البديهي: أنه لم يكن بإمكان كل قبيله أن تستقل بعداوه محمد و قتاله، و كانت كل قبيله تخشى من مواجهه المؤمنين وحدها.

فكان لا بد من تفاهم القبائل فيما بينها لتحصيل إجماع على الاجتماع على قتال محمد و صحبه.

فبادر اليهود إلى العمل لتحصيل هذا الإجماع، على أمل أن يحسموا الأمر لمصالحهم، و يكونون بذلك قد تأروا لأنفسهم، و تصبح- من ثم- لهم هم الكلمه الأولى و الأخيره فى المدينه على الأقل، و يكون لهم النفوذ و التأثير القوى فى المنطقه بأسرها ..

ثم إنه قد كان من جملة العوامل التى ساعدت على تجييش الجيوش و تحزيب الأحزاب، هو الوعود المالىه السخيه للناس، إذا نفروا لحرب المسلمين.

حتى لقد رفض بنو مره نصيحه الحارث بن عوف، إذ قد (غلب عليهم

الشيطان، و قطع أعناقهم الطمع (١).

الإرهاب الفكرى و الخداع للسذج:

وقد أظهر النص المتقدم: أن قريشا- و الظاهر: أن المقصود هو الزعماء منها- أرادت خداع السذج و البسطاء من الناس بالاستفاده من حاله الانبهار بأهل الكتاب، التى كانت لدى عامه الناس فى المنطقه العربيه، و التى كانت حين ظهور الإسلام تعاني من الجهل الذريع، الذى مكن لشياطين أهل الكتاب أن يصوروا لهم: أنهم هم مصدر العلوم و المعارف، و هم المرجع الموثل و المفزع للناس فيما يهمهم من أمور الدين، و المعارف الدينيه.

و استطاع أهل الكتاب أن يمسكوا بعواطف الناس، البسطاء و السذج و الجهله، باستخدام طريقه التهويل و الإحاله على الغيب الذى يضعف أقوى الناس أمامه إذا كان يلامس مصيره و مستقبله بصوره أو أخرى.

و الملفت هنا: أن يستغل زعماء قريش هذه الفرصه للاستفاده من هذا الانبهار من أجل سوق الناس بالإتجاه الذى يريدون، و يرون أنه يحقق لهم مآربهم، و يوصلهم إلى أهدافهم الشريره.

فيطلبون من الناس: أن يسألوا اليهود عن الأهدى من الفريقين: أهم بشركهم و ضلالانهم؟ أم محمد (صلى الله عليه و آله) و ما جاء به من عند ربه من الهدى؟ و يأخذ أبو سفيان هنا زمام المبادرة ليلقى سؤاله بطريقه فنيه ٨٠

و ذكّيه، حينما ضمّن كلامه خليطاً من الأمور التي ترضى آئنذ غرور الإنسان العربي و القرشى على وجه الخصوص، بملاحظه طبيعه حياته، و عاداته و موقعه، ككونهم ينحرون الجزور الكوماء، و يسقون الحجيح، و كونهم عمّار البيت، ثم هم يعبدون الأوثان.

يفهم اليهود ما يرمى إليه و يناغمونه الكيد و التزوير، و يحكمون لهم بأنهم أولى بالحق من محمد بالاستناد إلى نفس ما أراد أبو سفيان أن يستندوا إليه و ألقى إليهم به.

الحارث بن عوف ينصح قومه:

و يستوقفنا هنا: ما قاله الحارث بن عوف لقومه، و هو ينهاهم عن المسير إلى حرب محمد (صلى الله عليه و آله)، فإنها نصيحه مهمه تعبر عن إدراك حقيقى لما يجرى، ثم هو يقيّم الواقع بصورة متوازنة، و عاقله، حيث عبر لهم عن اعتقاده أن أمر الإسلام ظاهر و غالب، و لو ناوأه ما بين المشرق و المغرب لكانت له العاقبه.

و نعتقد: أنه قد أدرك هذا الأمر بحسن تقديره للأمر، و هو يراقب ما يطرح هذا الدين للناس من مفاهيم و تشريعات، و ما يمارسه من تدابير و سياسات تنسجم مع أحكام العقل و الفطره السليمه، و مع الخلق السامى و النبيل. ثم هو يرى الواقع السياسى، و كل التحولات التي تستجد على المنطقه بصوره مطّرده و مستمره، و يرى أن هذا الدين لا يزال ينتشر، و يتجذر، و يترسخ و تتنامى هيئته و تتأكد هيمنته، رغم كل الكيد الذى يواجهه به أعداؤه، و كل الحقد الذى يعامله به مناوئوه.

عقده بدر الموعد:

إن إلماح صفوان بن أمية إلى ما جرى في بدر الموعد، ليدل دلالة واضحة على: أن المسلمين قد سجلوا فيها نصرا مؤزرا للإسلام و هزيمه روحيه و سياسيه ساحقه لكبرياء الكفر و الشرك، ليس في مكة و حسب، و إنما في المنطقه بأسرها.

و لكن من دون أن يكلف ذلك المسلمين أية تضحيات، بل هم قد ربحوا في تجاراتهم في سوق بدر، حسبما تقدم بيانه.

عيينه بن حصن و المعاني الإنسانية:

ربما يفهم من كلام البعض: أن الحارث بن عوف كان يرتبط مع النبي (صلى الله عليه و آله) بجوار، لكنه اعتبره أحسن تقيه من عيينه بن حصن.

و لعل السر في ذلك هو: أن الحارث، و إن كان قد نقض الجوار، الذي قد يقال: إنه يعنى الالتزام بعدم الاعتداء، حفظا للجوار، مع أن البعض كالزهري، و بنى مره ينكرون أن يكون الحارث قد فعل ذلك، و يصرون على أنه لم يحضر حرب الخندق، إلا أن عيينه قد زاد على ما فعله الحارث: أنه لم يحفظ الجميل، بل جازى الإحسان إليه بالإساءه، و لكنها إساءه جاءت على درجه كبيره من القبح، لأنها تضمنت خروجاً على كل الأعراف، و القيم، و حتى أعراف الجاهليه.

فقد تقدم: أن النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) كان قد سمح لعيينه، حينما أجذبت أرضه: أن يرعى في منطقته نفوذ و سيطره و حاكميه الرسول (صلى الله عليه و آله)، لينقذهم من الخطر الذي يتهددهم، و يساعدهم على التغلب على

المشكلة الحياتية التي يعانون منها، رغم أنهم كانوا يختلفون معه (صلى الله عليه وآله)، من جهة أنهم كانوا على شركهم و ضلالهم. ففعل (صلى الله عليه وآله) ذلك من دون أى مقابل، و دون أن يسجل لنفسه أى امتياز.

و قد عرف عن العرب: أنهم يعتزون ببعض المعاني التي يرون فيها شيئاً من القيمة، مثل: حسن الجوار، و حفظه، و الوفاء بالعهد، و مقابله بالإحسان بمثله، و يعتبرون ذلك هو الرصيد الذي يؤهلهم لاحتلال مواقع إجتماعيه متميزه، حتى إذا ما تبين لهم أن أحدا لا يملك شيئاً من هذا الرصيد، فإنه يبوء بذل العمر، و عار الدهر، و هو عندهم ساقط و مردول، أو هكذا زعموا.

و لكن الأمور عند هؤلاء الناس قد انعكست الآن، حيث أصبح العداة للإسلام و لنبي الإسلام هو العمل الصالح عندهم الذي يبيح لهم كل محرم، و تنهاوى و تسقط معه كل قيمهم و مثلهم، التي يعتزون بها، و يعطون الأوسمه و الامتيازات من خلالها و على أساسها.

فنقض العهود، و خفر الجوار، و الإساءة لمن أحسن، و كل خزي و عار لم يعد مهما عندهم إذا كان ذلك في قبال محمد (صلى الله عليه وآله) و ضد الإسلام و المسلمين. بل إن هذه المخازي قد أصبحت أوسمه لهم، و من دواعى تأكيد شخصيتهم، و بسط هيمنتهم بزعمهم.

و إلا فكيف نفسر احتفاظ عيينه بن حصن، و كثيرين من أمثاله، بمواقعهم الاجتماعيه، و هم قد أثبتوا أكثر من مره أنهم لا يملكون شيئاً من هذه المعاني التي قبلها العرب، و تبنوها، و تغنوا و افتخروا بها.

و قبل أن نخلص إلى نهايه القول، نقول: إن من الطبيعي للإنسان الذي يحتفظ بميزاته و خصائصه الإنسانيه أن يشعر بالامتنان تجاه من يحسن إليه،

و يشعر بالاحترام و التقدير تجاه من يحسن جواره و كذلك تجاه من يتعامل معه بطريقه أخلاقية و إنسانيه، حتى و لو كان يختلف معه فى الرأى، و فى العقيدة و الدين.

فإذا أراد أن يكون له موقف يختلف عن هذا، فلا بد أن يتناقض أولاً مع نفسه، و يقوم صراع حاد مع تلك الخصائص النبيله، و لن يكون قادراً على اتخاذ ذلك الموقف إلا بعد أن يتم التغلب عليها و قهرها.

و تختلف صعوبه اتخاذ القرار، و الموقف هذا باختلاف درجات البشاعه و الشين فيه، إلا إذا فرض: أن تلك المعانى الإنسانيه قد تنهى بها الضعف، بسبب ممارسات سابقه، حتى بلغت درجه فقدت معها تأثيرها و فاعليتها.

و أصبح الإنسان بذلك على درجه كبيره من الصلف و اللامبالاه، و الوقاحه، و تحول إلى مجرم محترف، لا يبالى أى شىء يرتكب و يقترب، كما كان الحال بالنسبه لعينه بن حصن، الذى هو موضع البحث.

و أخيراً: فإن عينه بن حصن هذا هو الذى يروى أن النبى (صلى الله عليه و آله) وصفه بالأحمق المطاع، و كان من المؤلفه قلوبهم، و قد ارتد عن الإسلام بعد ذلك، و قاتل تحت قياده طليحه بن خويلد الذى ادعى النبوه.

فلترجع ترجمته فى كتب الرجال و التراجم.

شك المشركين:

و الملفت للنظر هنا: أننا نجد المشركين يشكون فى صحه ما هم عليه، كما أن طلب أبى سفيان من اليهود تصديق ما هم عليه يشير إلى طغيان هذه الشكوك إلى درجه كبيره حتى احتاجوا إلى تسكينها و طمأنه الناس و تثبيتهم.

الفصل الثاني: الخندق في خطه الحرب و الدفاع

اشاره

المفاجأه:

١- إن معرفه الإنسان بعدوّه تجعله أقدر على التعاطى معه من موقع القوه و الحزم، من خلال ما تهيئ له تلك المعرفه من قدره على رسم الخطه السليمه، ثم التنفيذ الدقيق و الواعى.

و لا تقتصر هذه المعرفه المؤثره على معرفه عناصر الضعف و القوه فى العده و فى العدد، و سائر النواحي العسكريه، و الامتيازات الحربيه. بل تتعداها إلى الإشراف على خصائص شخصيه العدو و المعرفه بطبائعه، و أخلاقياته، و مبادئه و مفاهيمه، و عاداته و تقاليدته و مستواه الفكرى و العلمى، و ما إلى ذلك، مما له دور و تأثير فى اتخاذ القرار العسكري، أو تسجيل الموقف على الصعيد السياسى، أو التعامل فى مجال السلوك، و هكذا على الصعد كافه. ثم انعكاسات ذلك كله على التحرك باتجاه حشد الطاقات، و رسم الخطط، و الإعداد و الاستعداد للمواجهه و التصدى.

فإن التعامل مع العدو الذى يلتزم بالعهود و المواثيق، يختلف عنه مع من عرف أن من طبيعته الغدر، و عدم الوفاء. كما أن التعامل مع من يلتزم بعهدته لدوافع دينيه و عقيديه و مبدئيه يختلف عن التعامل مع من يلتزم بذلك لدوافع أخرى .. و هكذا الحال فى سائر النواحي و مختلف المواضع و المواقع.

٢- و نبينا الأكرم (صلى الله عليه و آله) كان يعرف تماما حقيقه ما يفكر به المشركون، و اليهود و المنافقون، و سائر القوى التى تحيط به. ثم هو يعرف طبيعه تركيبتهم السياسيه و الاجتماعيه و واقعهم الثقافى و الإقتصادى. ثم هو يعرف نهجهم، و أساليبهم و طموحاتهم و طريقتهم فى الحياه.

و قد أثبتت له التجربه الحسيه فى أكثر من موضع و موقع ما ينطوون عليه من غدر و خيانه، و من روح أنانيه و تآمرية حاقدته و شريره و غير ذلك من أوضاع و حالات.

و هذا الواقع العدائى، و الروح التآمرية، و تلك الأعمال الخيانيه التى كانت تهيمن على أعداء الله و الإنسانيه، قد فرضت على النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) و المسلمين أن يعيشوا حاله الحذر القصوى، فكان أن بث رسول الله (صلى الله عليه و آله) عيونهم و أرصاده فى طول البلاد و عرضها فى الجزيره العربيه، هذا بالإضافة إلى ما كان يلمسه (صلى الله عليه و آله) من التسديد بالوحى و الألفاظ الإلهيه به (صلى الله عليه و آله) و بالمسلمين فى الفترات الحرجه و الخطيره.

و هذا ما يفسر لنا ما نشهده من معرفه النبى التامه بواقع ما يجرى حوله، فلم يكن ليفاجئه أمر داهم، بل كان هو الذى يفاجئ أعداءه و يباغتهم. فهو إما يسبقهم بتوجيه الضربه الأولى لهم، و إما بمواجهته لهم بالخطه التى تبطل كيدهم، و تفشل مؤامراتهم، و مكرهم السيئ، و لا يحقق المكر السيئ إلا بأهله.

و هذا بالذات هو ما حصل فى حرب الخندق، حيث فاجأ المشركين بحفر الخندق حول المدينه، و تحصين سائرهما، الأمر الذى أحبط خططهم،

و تسبب لهم بالفشل الذريع، و الخيبة القاتله و المريره.

٣- أما معرفه أعداء النبي (صلى الله عليه و آله) به فهى تختلف فى مضمونها، و فى آثارها و نتائجها عن معرفته بهم، فإنهم و إن كانوا يعرفون نبوته و صدقه و أمانيه، و لا يشكّون فى حقانيه ما جاء به. إلا- أنهم يجهلون الكثير الكثير من آثار الإسلام، و الإيمان، و لا يعرفون الكثير عما يحدثه الالتزام بتعاليمه و شرائعه من تغييرات عميقه فى فكر و روح الإنسان و فى شخصيته، و فى كل وجوده.

نعم .. إنهم يعرفون صدق هذا النبي، و صحه نبوته، و حقانيه ما جاء به، إلى درجه أن اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، و يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه و الإنجيل.

أما المشركون، فقد عاش النبي (صلى الله عليه و آله) بينهم، و عرفوه طفلا و يافعا، و شابا و مكتهلا، و هم الذين سموه بالصادق الأمين، و رأوا منه الكثير من المعجزات و الكرامات و الخوارق، و عاينوا و سمعوا منه من الحجج ما يقطع كل عذر، و يزيل كل شبهه و ريب، حتى لم يعد أمامهم إلا البخوع و التسليم، أو الاستكبار و الجحود على علم، فألزموا أنفسهم بالخيار الثانى، كما حكاه الله تعالى عنهم: **وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلوًّا .. (١)**.

فكان من نتيجة ذلك: أن أصبح محض الحق يواجه محض الكفر و الجحود و ظهر بذلك صحه قوله (صلى الله عليه و آله) حين برز على (عليه).

السلام) لعمر و بن عبد ود الذى وضع المشركون فيه كل آمالهم: (برز الإيمان كله إلى الشرك كله).

و لا عجب بعد هذا إذا تعاون أهل الشرك و الأوثان مع اليهود مدعى التوحيد. بل لا عجب إذا رأينا هؤلاء اليهود، الذين يدعون أنهم يعبدون الله، يشهدون لأهل الأوثان بأنهم أهدى من أهل التوحيد رغم أن ذلك يستبطن اعترافا من اليهود بطلان دينهم و عقيدتهم!!

و بعد ما تقدم: فإننا نستطيع أن نتفهم بعمق السبب فى أن هذه الحرب فيما بين المسلمين و أعدائهم لا بد أن تكون مريره و قاسيه و تتميز بالشموليه و الاتساع، و العمق. ثم برسوخ آثارها على كل صعيد ما دام أن أعداء الإسلام يرون ضروره أن تستنفذ جميع الطاقات المتوفره لديهم للهدم و للاستئصال، و الإباده الشامله، فإن الهدف منها هو استئصال محمد و من معه.

وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (١).

المشوره و التخطيط:

و يقول المؤرخون: إنه لما فصلت قريش من مكه إلى المدينه خرج ركب من خزاعه إلى النبي فساروا من مكه إلى المدينه أربعاء فأخبروا النبي (صلى الله عليه و آله) بالأمر. و ذلك حين ندب رسول الله (صلى الله عليه و آله) الناس، و أخبرهم الخبر و شاورهم فى أمرهم، و أمرهم بالجد و الجهاد، و وعدهم النصر، إن هم صبروا و اتقوا، و أمرهم بطاعه الله و طاعه رسوله.ل.

و شاورهم (صلى الله عليه و آله) - و كان يكثر من مشاورتهم فى الحرب - فقال: أنبرز لهم من المدينه؟ أم نكون فيها و نخندقها علينا؟ أم نكون قريبا و نجعل ظهورنا إلى الجبل؟! فاختلفوا.

[زاد المقرئى قوله: و كان سلمان الفارسى يرى رسول الله (صلى الله عليه و آله) يهم بالمقام بالمدينه (١) و يريد أن يتركهم حتى يردوا ثم يحاربهم على المدينه و فى طرقها فأشار بالخندق].

فقال سلمان: يا رسول الله! إنا إذ كنا بأرض فارس، و تخوفنا الخيل خندقنا علينا، فهل لك يا رسول الله أن نخندق؟!

فأعجب رأى سلمان المسلمين، و أحبوا الثبات فى المدينه.

فركب رسول الله (صلى الله عليه و آله) فرسا له، و معه نفر من أصحابه من المهاجرين، و الأنصار، فارتاد موضعا ينزله، فكان أعجب المنازل إليه:

أن يجعل سلعا - جبل معروف بسوق المدينه - خلف ظهره و يخندق على المذاد، إلى ذباب، إلى راتج.

فعمل يومئذ الخندق. و ندب الناس، و خبرهم بدنو عدوهم، و عسكرهم إلى سفح سلع (٢).

و اختصر ذلك المفيد و ابن شهر آشوب، فقالا: (فلما سمع النبى (صلى ٥).

١- لا ندرى من أين فهموا: أنه كان يرى ذلك، و لو كان حقا يرى ذلك فلا ندرى من أين فهموا أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان يهم بالمقام فى المدينه؟!.

٢- راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٤٤ و الإمتاع ج ١ ص ٢١٩ و ٢٢١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١١ و ألمح إلى ذلك فى: الثقات ج ١ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٤ و ٥١٥.

اللّٰه عليه وآله) باجتماعهم استشار أصحابه، فاجتمعوا على المقام بالمدينه و حربهم على أنقابها) (١).

و لنا مع هذا الذى يذكره المؤرخون وقفات، و هى التاليه:

من أخير النبي صلى الله عليه وآله بمسير الأحزاب!؟

قد تقدم: أن ركبا من خزاعه قدم إلى المدينه فى مده أربعة أيام فأخبروا النبي (صلى الله عليه وآله) بمسير الأحزاب إليه.

و لكننا نجد نصا آخر عن على (عليه السلام) يقول: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد علم بذلك من جهه جبرئيل (عليه السلام) (فخندق على نفسه و من معه) (٢).

و لا نستبعد أن يكون كلا الأمرين قد حصل.

و قد ذكرنا فيما سبق: أن خزاعه كانت ترتبط مع الهاشميين بحلف عقده معها عبد المطلب (رحمه الله)، و قد بقيت وفيه لهذا الحلف و كانت عيبه نصح لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

و قد أشرنا فيما سبق: إلى أنها قد دفعت ثمن هذا الوفاء غاليا فيما بعد وفاه رسول الله الأكرم (صلى الله عليه وآله)؛ فجزى الله أنصار الله، و أنصار رسوله خير جزاء و أوفاه. إنه ولى قدير، و بالإيجابه حرى و جدير.ه.

١- مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٧ و الإرشاد ص ٥١ و كشف الغمه للأربلى ج ١ ص ٢٠٢ و البحار ج ٢٠ ص ٢٥١.

٢- الخصال (باب السبعه) ج ٢ ص ٢٦٨ و البحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ عنه.

من المشير بحفر الخندق!؟

إن السياق المذكور آنفا يدل: على أن النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذى بادر إلى اقتراح حفر الخندق، ثم لما اختلف المسلمون، فتكلم سلمان الفارسي (رحمه الله) بطريقه بين لهم فيها وجه الحكمة فى اعتماد إجراء كهذا، فأعجبهم ذلك حينئذ، فقبلوه واجتمعت كلمتهم عليه.

و لكن كلمات كثير من المؤرخين قد أظهرت: أن سلمان هو المشير بحفر الخندق (١) من دون أن تشير إلى أى تحفظ فى ذلك.

و هذا هو ما استنتجه بعض المشركين حين فوجئوا بالخندق (٢).٧-

١- راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٠ و ج ٤ ص ١٢٠٦ و الثقات ج ١ ص ٢٦٦ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٦ و سيره مغلطاي ص ٥٦ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٨ و الوفاء ص ٦٩٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و ٤٧٩ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٧٦ و شرح النهج للمعتزلى ج ١٨ ص ٣٥ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ و مناقب آل أبى طالب ج ٣ ص ١٣٤ و ج ١ ص ١٩٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٤ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٥٠ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠١ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و البحار ج ٢٠ ص ٢٥١ و ٢١٨ و ١٩٧ و ج ٤١ ص ٨ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٠ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٨ و تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٧ و إعلام الورى (ط دار المعرفه) ص ٩٩ و الخرايج و الجرايح ج ١ ص ١٥٢ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١١ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٤ و حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥١٥ و الإرشاد للمفيد ص ٥١ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ و مختصر التاريخ ص ٤٣ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٩ و سعد السعود ص ١٣٨.

٢- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ و تفسير القمى ج ٢ ص ١٨٢ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٤ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٧٠ و نهايه الأرب ج ١٧-

بل قال مسكويه: (فأشار سلمان على رسول الله (صلى الله عليه) لما رآه يهيم بالمقام بالمدينه، و يدبر أن يتركهم حتى يردوا، ثم يحاربهم على المدينه و فى طرفها: أن يخندق. ففعل ذلك) (١).

لكن مؤرخين آخرين قد عبّروا عن شكهم فى هذا الأمر، فقال بعضهم:

(استشار النبي (صلى الله عليه و آله) سلمان - فيما يزعمون - بأمر الخندق) (٢).

وقال آخرون: (فحفر الخندق. قيل: أشار به سلمان) (٣). و فى مقابل ذلك نجد ابن إسحاق و كذا غيره ينسب حفر الخندق إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و لا يشير إلى مشوره سلمان، لا من قريب و لا من بعيد (٤).

١- تجارب الأمم ج ١ ص ١٤٩.

٢- البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٧ و راجع: إعلام الورى ص ٩٠.

٣- راجع: تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٦٠ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٥ و المختصر فى أخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٢ و ١٨٣ و راجع قول ابن هشام فى السيره النبويه ج ٣ ص ٢٣٥ و راجع: جوامع السيره النبويه ص ١٥٠.

٤- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦ و جوامع السيره النبويه ص ١٤٨ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ و تهذيب سيره ابن هشام ص ١٨٩ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٩ عن ابن عقبه و ص ٤٠٩ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٢ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣٤ و شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٢.

بل إن النبي (صلى الله عليه و آله) قد كتب في رسالته الجوابيه لأبى سفيان: (و أما قولك من علمنا الذى صنعنا من الخندق، فإن الله ألهمنى ذلك) (١).

و كل ذلك يجعلنا نميل إلى أن كلام الواقدى قد جاء أكثر دقه فى هذا المجال. و هو يفسر لنا السر فى كلام ابن إسحاق من جهة، و كلام غيره المقابل له من جهة أخرى.

أما أولئك الذين ظهر منهم التردد فى ذلك فلعلهم لم يقفوا على كلام الواقدى، و لم يتمكنوا من الجمع بين كلام ابن إسحاق و هو الحجج الثبت فى السيره، و بين كلام غيره.

وعى سلمان:

و لا نخفى هنا إعجابنا بهذا الوعى من سلمان المحمدى، حيث بادر فى الوقت المناسب إلى تقديم تبرير لأولئك الناس الذين اختلفوا على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، يتوافق مع طريقه تفكيرهم، حيث قرر لهم: أن الخندق المقترح من شأنه أن يحد من فاعليه الخيل فى الحرب، و يدفع غائلتها، و يصبح الجهد الشخصى للأفراد هو الذى يقرر مصير الحرب و نتائجها.

فكان أن استجاب المسلمون لاقتراح حفر الخندق، و أعلنوا موافقتهم عليه، و تحملوا مسؤوليه الخيار و الاختيار، و هذا بالذات هو ما أراداه الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله).٢.

لو كان الخندق بإشارة سلمان:

وقد رأينا: أن عددا من المؤرخين قد زعم أن الخندق حفر بإشارة سلمان، وإن كنا نرجح: أن النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذى بادر إلى اقتراحه فاختلف المسلمون، فكان دور سلمان أن يبين لهم وجه الحكمة فى ذلك، حسبما تقدم بيانه عن الواقدى ..

ومهما يكن من أمر فقد ظهر: أن المشركين قد فوجئوا بالخندق وقالوا عنه: إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها (١)، ولعل الأنظار قد اتجهت إلى سلمان الفارسى منذئذ.

وسواء أكان ذلك بمشوره سلمان أم لم يكن فإن ما نريد أن نؤكد عليه هو أن الإسلام لا يمنع من الاستفادة من تجارب الآخرين و من خبراتهم فى المجالات الحياتيه البناءه، فقد روى: أن (الحكمه ضاله المؤمن، فاطلبوها و لو عند المشرك تكونوا أحق بها و أهلها) و فى معناه غيره (٢).

نعم .. إن المؤمن أحق بالحكمه من غيره، ما دام أن ذلك الغير قد يستفيد منها لتقويه انحرافه، و تأكيد موقعه المناوئ للحق و للأصالة و الفطره.

وقد رأينا: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أطلق الصنائع و أصحابها.

١- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٣٠.

٢- أمالى الشيخ الطوسى ج ٢ ص ٢٣٨ و تحف العقول ص ١٣٨ و ٢٩٢ و غرر الحكم ج ١ ص ٣٩٤ و البحار ج ٧٥ ص ٣٤ و ٣٨ و ٣٠٧ و ج ٢ ص ١٧ و ٩٦ و ٩٧ و مواضع أخرى منه. و راجع: دستور معالم الحكم ص ١٩ و المجروحون ج ١ ص ١٠٥ و التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٣٤٨.

الحرف فى خير ليتنفع بهم المسلمون (١).

و أمر النبى (صلى الله عليه و آله) المشركين فى بدر، الذين لا يجدون ما يفتدون به: أن يعلم الواحد منهم عشره من أطفال المسلمين القراءه و الكتابه، و يطلق سراحهم فى مقابل ذلك (٢).

و لكن هذه الاستفاده مشروطه: بأن لا تنشأ عنها سلبيات أخرى كما لو كان ذلك يعطى لأولئك المنحرفين فرصه لتضليل الناس و جرهم إلى مهالك الانحراف، أو يعطيهم بعض النفوذ و الهيمنه أو يجرئهم على التدخل فى الشؤون الخاصه بالمسلمين، و ما إلى ذلك.

و هكذا، فإنه يصبح واضحاً: أن المرفوض إسلامياً هو التبعية للآخرين و الانبهار الغبى بهم، و تقليدهم على غير بصيره. و أما الاستفاده الواعيه من منجزاتهم الحيويه لبناء الحياه، و التغلب على مصاعبها، بصوره تنسجم مع أحكام الشرع، و من دون أن تنشأ عنه سلبيات خطيره، فذلك أمر مطلوب، و لا غضاظه فيه.

و حتى لو كان الخندق بإشاره سلمان من الأساس، و كان سلمان قد ١.

١- راجع: التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٧٥ و ستأتى إن شاء الله بقيه المصادر فى غزوه خير.

٢- مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٤٧ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٥ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ١٩٣ و الروض الأنف ج ٣ ص ٨٤ و الطبقات الكبرى ج ٢ ق ١ ص ١٤ و التراتيب الإداريه ج ٢ ص ٣٤٨ و ج ١ ص ٤٨ و ٤٩ عن السهيلي، و عن المطالع النصره فى الأصول الخطيه، لأبى الوفا نصر الهورينى، و عن الإمتاع للمقريزى ص ١٠١.

استفاد ذلك من بيئته وقومه، الذين ما كانوا على طريقه الإسلام ولا على دين الحنيفيه، فلا ضير ولا غضاضه فى قبول مشورته. بل الغضاضه فى ترك العمل بتلك المشوره إذا كانت موافقه للصواب و يتسبب الإعراض عنها بوقوع المسلمين فى مأزق، و هم فى غنى عنه ولا مبرر للوقوع فيه. مع وجود مخرج ليس فى العمل به حرج ولا تنشأ عنه أية سلبيات يرغب عنها.

طريقه استشارته صلى الله عليه وآله أصحابه:

هذا، ولا نرى أننا بحاجة إلى التذكير بمبررات مشاوره النبي (صلى الله عليه وآله) أصحابه، فى أمر الحرب، فقد تحدثنا عن ذلك، وعن أسبابه وآثاره الإيجابيه فى أوائل غزوه أحد.

غير أننا نشير هنا: إلى أننا نلمح فى طريقه مشاوره النبي (صلى الله عليه وآله) لأصحابه خصوصيتين رائعتين تجلتا لنا فى النص الذى ذكره الواقدي.

إحداهما: أنه (صلى الله عليه وآله) هو الذى بادر إلى اقتراح حفر الخندق ثم انتظر مبادره سلمان الإقناعيه، متعمدا أن تسير الأمور بهذه الطريقه، سياسه منه (صلى الله عليه وآله) لأصحابه، و ترويضاً لعقولهم، و إعداداً لهم ليبادروا إلى تحمل المسئوليه، و لغير ذلك من أمور.

الثانيه: أنه (صلى الله عليه وآله) فى نفس الوقت الذى يمارس فيه أسلوب المشاوره بهدف تحسيس أصحابه بالمسئوليه و إفهامهم - عملاً لا - قولاً - فقط - أنهم الجزء الحركى و الفاعل و المؤثر حتى على مستوى التخطيط، و القرارات المصيريه، و أن القضيه قضيتهم، بما يعنيه ذلك كله من ارتفاع ملموس فى مستوى وعيهم و تفكيرهم السياسى، و العسكرى، و غير ذلك من أمور كانت

محط نظره (صلى الله عليه و آله)،

نعم .. إنه فى هذا الحين بالذات يطرح أمامهم خيارات من شأنها أن تخرجهم من حالة الضيق و الحرج، و تفتح أمامهم نوافذ جديده على آفاق رحبه من التدبير العسكرى، الذى يحفظ لهم وجودهم، و يبعد عنهم شبح الهزيمة المره، أو التعرض لحرب تحمل معها أخطار القتل الذريع، دون أن يجدوا فى مقابل ذلك أيا من تباشير النصر، أو التفاؤل به.

الخدق فى إيجابياته الظاهره:

قد تحدثنا فى غزوه أحد فى الفصل الأول منها، فى فقره: ما هو رأى النبى (صلى الله عليه و آله) فى أحد، ما يفيد الاطلاع عليه فى فهم إيجابيات البقاء فى المدينه، و التمتع فيها، فىرجى مراجعه ما ذكرناه هناك.

أما هنا، فنقول: إنه لم يطل الأمر بالمسلمين، حيث إنهم سرعان ما أدركوا: أن حفر الخندق هو ذلك التدبير الذكى الرائع الذى فوّت على عدوهم ما كان يحلم به من منازلهم و مكافحتهم إلى درجه إلحاق الهزيمة بهم ثم استئصالهم و إباده خضرائهم، و تقويض عزهم.

و قد أعطى الخندق المسلمين القدره على ممارسه التسوية فى الوقت، و هو الأمر الذى لم يكن المشركون قادرين على تحمل التسوية فيه إلى أجل غير مسمى.

و قد رأى المسلمون بأم أعينهم:

١- كيف أن عدوهم لم يستطع الصبر طويلا، بسبب بعده عن مصادر الإمداد البشرى و التموينى، مع ملاحظه محدوديه طاقاتهم التموينيه، لعدم

إمكان توفير مدخرات كافيته لهذا العدد الهائل من الناس، و لكل ما معهم من خيل و ظهر كانوا بحاجة إليه في حربهم. فإن منطقته الحجاز لم تكن قادره- بحكم طبيعه حياه الناس فيها- على توفير هذا النوع من القدرات و الإمكانيات بهذا المستوى الكبير و الحجم الهائل- و لا أقل من أن المشركين لم يفكروا مسبقا بإيجاد خطوط تموين لحرب طويله الأمد، و لا خططوا أبدا لمثل هذه الحرب، كما أنهم لم يعتادوا حروبا كهذه و لا ألفوها، فمن الطبيعي- و الحاله هذه- أن يملوا حربا كهذه، و ينصرفوا عنها.

٢- إن هذا الخندق قد استطاع أن يحفظ لهم وجودهم و كرامتهم، فلم يسجل عليهم عدوهم نصرا و قد كبت الله به عدوهم وردهم بغيظهم لم ينالوا شيئا مما كانوا يحلمون به، دون أن يكلف ذلك المسلمين خسائر تذكر، و حرم المشركين بذلك من إمكانيه إشراك أعداد ضخمة في المواجهات مع المسلمين.

٣- ثم وجد المسلمون أنفسهم بعد ذلك أمام فرص أكبر، و حظ أوفر من ذي قبل، و استمروا يواصلون جهدهم و جهادهم للحصول على المزيد من أسباب القوه، و المنعه، و العمل على إضعاف عدوهم و تقويض هذا التوافق فيما بين فئاته لصالح بقاء هذا الدين، و ترسيخ دعائمه و أركانه.

٤- إنه (صلى الله عليه و آله) قد جمع بين أن خندق على المدينه و بين جعل جبل سلع خلف ظهر المسلمين - كما سنرى- فيكون بذلك قد استفاد من الموانع الطبيعیه، ثم أحدث مانعا مصطنعا من الجبهه الأخرى، لتكتمل خطته بحرمان العدو من أيه فرصه للنيل من صمود المسلمين، أو إحداث أي إرباك، أو تشويش، أو خلخله، أو مناطق نفوذ و تسلل في صفوفهم.

و أخيراً: نجد نصاً عن سلمان الفارسي يصرح فيه بالمبررات لحفر الخندق، فهو يقول: (يا رسول الله، إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة).

قال: فما نصنع؟

قال: نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منهم في المطاولة.

و لا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه. فإننا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمناهم من عدونا نحفر الخنادق، فيكون الحرب من مواضع معروفه.

فتزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال: أشار سلمان بصواب (١).

بين الأصالة و التجديد:

و آخر ما نقوله هنا: أن حفر الخندق قد أفهم المسلمون: أنه ليس من الضروري أن يبقى الإنسان أسير الأفكار و العادات و الأساليب المتداوله في المحيط الذي يعيش فيه، فإذا كان باستطاعته أن يبتكر أساليب، و يحدث وسائل جديده، تمكنه من تحقيق أهدافه على النحو الأفضل و الأمثل، فعليه أن يبادر إلى ذلك، و يكسر حاجز الإستغراب و الإستهجان و الرهبة، و يتحرر من عقده الحفاظ على القديم، أو على العاده و التراث لمجرد أنه قديم و تراث، و من موقع الجمود، و الخواء و التثاقف.

أما إذا كان هذا القديم يمثل الأصالة، و العمق و الانتماء، و يعيد للإنسان هويته الحقيقية، و يحول بينه و بين التخلي عن خصائصه الإنسانية.

الأصيله، فذلك القديم يكون هو الجديد النافع، فى مقابل كل ما هو غريب، أو يجر الإنسان إلى غربه حقيقه، تبعده عن واقعه و تجرده من خصائمه الإنسانه الأصيله، ليعيش فى الظلام و الضياع حيث الشقاء و البلاء، و حيث الوحشه و الوحده و الغربه، بكل ما لهذه الكلمات من معنى؛ فالتجديد الإيجابى البناء هو الأصاله ذاتها.

أما التجديد الذى يفقد الإنسان أصالته، فهو الذى يمثل العوده إلى الوراء، و هو حقيقه التغرب و الإنحطاط، و السقوط و التراجع. و هو بالتالى الكارثه الحقيقه و المدمره له إن فى الحاضر أو فى المستقبل.

أضف إلى ما تقدم: أن التعارف فيما بين الشعوب المختلفه حين ينتهى إلى توظيف حصيله تجاربها الحياتيه لاستكمال سماتها الأصيله للحياه بكل امتداداتها و على مختلف المساحات فى الآفاق الرحبه، فإن هذا التعارف يصبح ضروره لا بد منها و لا غنى عنها لأيه أمه تريد لنفسها الخير و السعاده و الفلاح. و تريد كذلك أن تستثمر ذلك كله فى خط التقوى و العمل الصالح. و فى صراط صحصه الحق ليكون هو الملاذ، و الرجاء، فى كل شده و رخاء.

و قد قال تعالى: .. وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .. (١).

أين كان الخندق و ما هى مواصفاته!؟

أشاره

قد تقدم: أن النبى (صلى الله عليه و آله) قد ركب فرسا و خط لهم الخندق.

و قد بينت النصوص التاريخيه لنا مواضع الخندق و خصوصياته و مواصفاته بشىء من التفصيل، و نحن نذكر طائفه من هذه النصوص فنقول:

١- موضع الخندق:

قال الواقدي: (كان الخندق ما بين جبل بنى عبيد بخربى، إلى راتج.

قال: و هذا أثبت الأحاديث عندنا) (١).

و فى نص آخر: (من المذاد، إلى ذباب، إلى راتج) (٢).

و عند القمى: (فأمر (صلى الله عليه و آله) بمسحه من ناحيه أحد إلى راتج) (٣).

و فى نص أكثر تفصيلا: (حفر النبي (صلى الله عليه و آله) الخندق طولاً، من أعلى وادى بطحان، غربى الوادى، مع الحره، إلى غربى مصلى العيد، ثم إلى مسجد الفتح، ثم إلى الجبلين الصغيرين، اللذين فى غربى الوادى. و مأخذه قول ابن النجار).

إلى أن قال: (و الحاصل: أن الخندق كان شامى المدينه، من طرف الحره).

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٠-٤٥٢ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٢.

٢- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٥ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ و الثقات ج ١ ص ٢٦٦.

٣- تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٧ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٨ و قال الطبرسى فى مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ و عنه فى بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ (كان اسم الموضع الذى حفر فيه الخندق: المذاد).

الشرقيه، إلى طرف الغربيه) (١).

و روى بسند معتبر، عن عمرو بن عوف قال: (خط رسول الله (صلى الله عليه و آله) الخندق عام الأحزاب من أجم الشيخين (السمري) طرف بني حارثه، حتى بلغ المذاد (المداحج)) (٢).

و المذاد بطرف منازل بني سلمه، مما يلي مسجد الفتح، و منازلهم فى جهه الحره الغربيه (٣).

قال السهمودى: (سيأتى أن الشيخين أطمأن شامى المدينه بالحره الشرقيه، أما المداحج فلا ذكر لها فى بقاع المدينه) (٤).

و أقول: لعل كلمه (المداحج) تصحيف لكلمه (المذاد)، و لعل كلمه:

(السمري)، تصحيف لكلمه (الشيخين).

٢- جعل الأبواب للخندق:

(و ذكروا: أن الخندق له أبواب، فلسنا ندرى أين موضعها) (٥). ٠

١- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٤ و الفقره الأخيره ص ١٢٠٦ أيضا و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و العبارة الأخيره فى السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣.

٢- راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٥ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤١٨ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٥.

٣- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥.

٤- المصدر السابق.

٥- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٢ و تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٥٠.

و حسب نص آخر: (جعل له رسول الله (صلى الله عليه و آله) أبوابا، و جعل على الأبواب حرسا) (١).

و لكن كعب بن مالك قد أشار إلى وجود خندقين، فهو يقول:

بباب خندقين كأن أسداشوا بكهن يحمين العرينا (٢)

و يقول ضرار بن الخطاب:

كأنهم إذا صالوا وصلنا بباب خندقين مصافحونا (٣) و قال الفرزدق:

بدر له شاهد و الشعب من أحدو الخندقان و يوم الفتح قد علموا (٤)

و ذكر القمى: أن عدد الأبواب كان ثمانية (٥)

٣- خصوصيات و مواصفات أخرى:

(و الخندق فيه قناه، يأتي من عين قباء إلى النخل الذي بالسنع، حوالى مسجد الفتح.

و فى الخندق نخل أيضا. و انطم أكثره، و تهدمت حيطانه) (٦). ١.

١- المصادر السابقة، و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٥.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٥٤ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٧ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٦.

٣- السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٦.

٤- مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٧٤.

٥- تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٩ و عنه فى بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٠.

٦- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١.

و ذكروا أيضا: أنه قد (بلغ طول الخندق نحوًا من خمس آلاف ذراع و عرضه تسعه أذرع، و عمقه سبعة أذرع) (١).

الموقع الجغرافى للخندق:

و نحن إذا راجعنا الواقع الجغرافى للمدينه، فإنه يتضح: أن الخندق قد ضرب على المدينه فى مواقع من الجهه الغربيه و الشماليه أما الجهه الشرقيه و الجنوبيه فقد شبكت بالبنيان، و لم يخندق المسلمون عليها.

و لعل ذلك يرجع إلى أن المواقع التى تستوعب ألوف الفرسان، و تصلح أن تكون ساحه حرب و نزال هى المنطقه الواقعه بالقرب من ثنيات الوداع شمال غرب المدينه حتى تنتهى بجبل أحد. و هى منطقه واسعه و مسطحه و مكشوفه، و ليست فيها عراقيل مهمه، و هى المنطقه التى حفر الخندق فيها.

أما سائر المناطق حول المدينه فلم تكن تصح لذلك، و لا سيما بالنسبه لجيوش كبيره تعد بالألوف، من فرسان و رجاله، بالإضافة إلى ما يتبع هذه الجيوش من دواب و خيول تحمل أزوادهم و أمتعتهم، و تحمل الرجاله منهم أيضا فى سفرهم الطويل.

ذلك لأن سائر المناطق حول المدينه كان فيها من الجبال و الأوديه، و من التضاريس و الأشجار و الحجاره ما يحد من قدره تلك الجيوش الغازيه على الحركه الفاعله، و المؤثره، و يفقدها الكثير من الامتيازات الحربيه، و يحرمها من الاحتفاظ بزمام المبادره، و يفوت عليها نصرًا تطمع إلى تحقيقه. ١.

١- الرسول العربى و فن الحرب لمصطفى طلاس ص ٢٤٠ و ٢٤١ و السيره النبويه للندوى ص ٢٨١.

و يوضح ذلك: أنه كانت توجد فى الجهه الشرقيه حره واقم و فى الجهه الغربيه حره الوبره، و هى مناطق و عره فيها صخور بركانيه و تمثل حواجز طبيعيه، و كان فى جهه الجنوب أشجار النخيل و غيرها بالإضافة إلى الأبنيه المتشابهه، و كل ذلك لا يتيح لجيش المشركين أن يقوم بنشاط فاعل و قوى ضد المسلمين.

و حيث إن بعض المواضع فى جهتى الشرق و الجنوب كان يمثل نقطه الأضعف من غيرها، الأمر الذى يحمل معه احتمالات حدوث تسلل تكتيكي للعدو، يهدف إلى إرباك الوضع العسكري و النفسى للمسلمين، فقد كان لا بد من سد تلك الثغره، و رفع النقص، و تفويت الفرصه على العدو، حتى لا يضطر المسلمون لتوزيع قواهم و بعثتها هنا و هناك بطريقه عشوائيه، أو من شأنها أن تضعف فيهم درجه الصمود و التصدى فى ساحه الصراع الحاسم فى ميدان الكر و الفر الأول و الأساس.

فكان أن بادر المسلمون إلى تشبيك المدينه بالبنيان و ذلك فى مواقع الضعف المشار إليها. و هذه الإجراءات كلها قد حالت دون استخدام قوات كبيره فى مهاجمه المدينه إلا من جهه الخندق، و هى قد أصبحت مشلوله بسبب حفر الخندق تجاه العدو فيها.

غير أن هذا الذى ذكرناه: لا يعنى أن يمر القادم من مكه على ثنيه الوداع، و هى الجهه الشماليه للمدينه. فإن طريق المسافرين، الذين تضمهم فى الغالب قوافل صغيره محدوده العدد، ليس كطريق الجيوش الضخمه التى تضم ألوفاً كثيره من الناس و من وسائل النقل المختلفه، حسبما ألمحنا إليه.

و بذلك يتضح: أن من الممكن أن نتفهم أنه لا مانع من أن تأتي الجيوش إلى جهة ثنيه الوداع من جهة الشام، و لكن المسافرين يأتون من طريق آخر. و لا يمر القادم من مكة على ثنيه الوداع و لا يراها، كما جاء في النص التاريخي (١).

يقول مصطفى طلاس: (و بحفر الخندق استطاعت قياده الجيش الإسلامي أن تغزل قوات العدو عن مكان التجمع الرئيسي للقوات المدافعه عن المدينة، و أن تحول بينها و بين اقتحام مداخل المدينة، لأن هذه المداخل أصبح من الممكن حراستها بعد حفر الخندق).

و قد أفادت قوات الثورة الإسلامية من مناعه جبل سلع، الذي كان إلى يسارها و إلى الخلف، كما أفادت من و عوره حره الوبره ل حمايه جناحها الأيسر، و من و عوره حره واقم ل حمايه جناحها الأيمن، و من الحره الجنوبيه و جبل عسير ل حمايه المؤخره (٢).

تشبيك المدينة بالبنيان:

و كان سائر المدينة مشبكا بالبنيان، شبكوها من كل ناحيه، و هي كالحصن (٣).

قال في خلاصه الوفاء: (كان أحد جانبي المدينة عوره، و سائر جوانبها٤).

١- راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٧٢ و ١١٧٠ و زاد المعاد ج ٣ ص ١٠ و التراتيب الإداريه ج ٢ ص ١٣٠.

٢- مصطفى طلاس: الرسول العربي و فن الحرب ص ٢٣٤.

٣- راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٥ و مغازي الواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ و راجع ص ٤٤٦ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٤.

مشبكه بالبنيان و النخيل، لا يتمكن العدو منها) (١).

ثم إنه (صلى الله عليه و آله): (اختار ذلك الجانب المكشوف للخندق، و جعل معسكره تحت جبل سلع) (٢).

و بذلك يكون (صلى الله عليه و آله): قد سد الثغرات التي يمكن للعدو أن يتسلل منها ليحدث إرباكا خطيرا في معسكر المسلمين.

ثم جعل للخندق أبوابا، و جعل على الأبواب حرسا، بطريقه تمنع من التسلل، و من التواطؤ عليه كما سنرى.

ثم اختار الجانب المكشوف للخندق، و جعل معسكره تحت جبل سلع، مستفيدا منه كمانع طبيعي يصعب على العدو اجتيازه لمهاجمه المسلمين.

مداه حفر الخندق:

و قال المؤرخون: (و جعل المسلمون يعملون مستعجلين، يبادرون قدوم العدو عليهم) (٣).

الأقوال في مده حفر الخندق و هي التاليه: ٢.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٥ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٦.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٥.

٣- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٤١١. و المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ و راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٨. و راجع البدء و

التاريخ ج ٤ ص ٢١٧. و فتح الباري ج ٢ ص ٣٠٢.

كان حفر الخندق: ستة أيام و حصنه (١).

وقيل: بضع عشر ليله (٢).

وقيل: شهرا أو قريبا من شهر.

قال البعض: وهو أثبت (٣).

و وقع عند موسى بن عقبه: أنهم أقاموا في عمل الخندق قريبا من عشرين ليله (٤).

و عند الواقدي: أربعا و عشرين (٥).

و جزم النووى فى الروضه: أنهم حفروه فى خمسه عشر يوما (٦).

و صرح القمى: بأنه (صلى الله عليه و آله) قد فرغ من حفر الخندق قبلق.

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ و سيره مغلطاي ص ٥٦ و الوفا ص ٦٩٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦٠ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٤ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٤ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٧٠ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٤ و ١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢٠٥.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٤ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٩.

٣- المصدر السابق و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٩ عن الهدى لابن القيم و كذا فى المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١١ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٢.

٤- المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ و عنه و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٤ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٤ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٨ راجع فتح البارى ج ٧ ص ٣٢.

٥- المصادر السابقه و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و وفاء الوفاء ج ١ ص ١٢٠٨ و ١٢٠٩.

٦- راجع: المصادر السابقه فى الهامش ما قبل السابق.

قدوم قريش و الأحزاب بثلاثه أيام (١).

و نقول:

إن الأرقام التي تقول: إنهم أقاموا يعملون في الخندق عشرين يوماً أو شهراً أو نحو ذلك، يبدو أنها بعيدة عن الصواب، لأن المفروض أن ركب خزاعه قد خرج إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعد أن فصلت قريش من مكه إلى المدينه، و بقى أربعاً حتى وصل إليها، و أبلغ الرسول بالأمر ..

و لنفترض: أن مسير قريش إلى المدينه قد استغرق أربع أضعاف الأربعة أيام المذكوره، فتكون قد وصلت إلى المدينه خلال ستة عشر يوماً فمع حذف الأربعة أيام الأولى لمسيره ركب خزاعه فإنه يبقى اثنا عشر يوماً تم حفر الخندق فيها، فكيف يقال: إن العمل في الخندق قد استمر عشرين أو أربعاً و عشرين أو ثلاثين يوماً؟!

هذا .. و لكن يمكننا أن نخفي دهشتنا و إعجابنا بهذا الإنجاز الضخم و السريع جداً، مع ملاحظه ضعف الوسائل و الإمكانيات المتوفره للعاملين في حفر الخندق آنئذ، بالإضافة إلى وجود المشبطين عن العمل، كما سنرى.

فحيا الله هذه الهمم، و بورك لهم جهادهم المبارك و الرائد تحت قياده و فى طاعه رسول الإسلام الأعظم و الأكرم (صلى الله عليه و آله).

زمام المبادرة بيد من؟!

و قد اتضح من خلال النصوص المتوفره لدينا: أن العدو و إن كان قد فرض ١.

على النبي و على المسلمين معركه غير متكافئه من حيث العدد و العده، و اختار هو التوقيت لحشد جيوشه و تحزيب أحزابه.

و لكنه بمجرد وصوله إلى المدينه: فقد زمام المبادره ليصبح فى يد النبي و المسلمين بصوره نهائيه. فأصبح (صلى الله عليه و آله) يتحكم بمسار الحرب، و هو يفرض على عدوه الموقع الذى يريد، فى هذا المكان أو فى ذاك، و لا يملك عدوه أيه وسيله للتغيير فى المواقع و المواضع فلا يمكنه أن يجبر المسلمين إلى هذا الموقع أو إلى ذلك الموقع.

كما أنه (صلى الله عليه و آله) أصبح يتحكم بالزمام و التوقيت للحرب، و لا- يستطيع عدوه أن يهاجمه فى وقت لا يرغب هو بدخول الحرب فيه.

ثم إنه (صلى الله عليه و آله) قد أصبح قادرا على اختيار الوسيله الحربيه التى تلائمه، و تنسجم مع ظروفه و قد أسقط العتاد و العده الحربيه للعدو من الخيول و غيرها من الفاعليه المؤثره و أصبحت عبئا على العدو، لا بد أن يهيبى العدو لها ظروف بقائها و صيانتها من التلف فى مصابرتة على الحصار الطويل، الذى كان يستنزف طاقته و صبره، حتى انتهى الأمر به إلى هزيمه مخزيمه، كما سيتضح.

و هذه هى ثمره التخطيط الواعى و المسؤل، و ثمره الإدراك الواعى للواقع و للظروف المحيطه، التى كان لا- بد من التعامل معها و التغلب على سلبياتها، و الاستفاده من إيجابياتها على النحو الأكمل و الأفضل و الأمثل.

ص: ٢١٥

الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات

اشاره

شدائد و متاعب:

إن من الواضح: أن حفر خندق بهذا الحجم حول مدينه كبيره، ليس بالأمر السهل، و لا سيما بالنسبه لأناس لم يقوموا بعمل ضخيم طيله حياتهم، خصوصا مع بدائيه الوسائل و محدوديتها، حتى اضطروا لاستعاره بعضها من يهود قريظه، كما سنرى. هذا بالإضافة إلى انقطاع المسلمين عن العمل فى سبيل لقمه العيش، فانقطعت موارد أرزاقهم فكان من الطبيعى أن يعانى المسلمون من هذا الأمر من متاعب كبيره، و شدائد لا تطاق، و ذلك من ناحيتين:

إحداهما: فى نفس هذا العمل الشاق و الكبير، و ما يحتاج لإنجازه فى فرصه محدوده و قصيره جدا، من جهد مضمن لم يعتد هؤلاء الناس على أقل القليل منه، و لا واجهوا نظيره، و لو مره واحده طيله حياتهم.

الثانيه: فى الضائقه المالىه التى كانوا يعانون منها، التى تتجلى فيما يصفه لنا المؤرخون من حاله الضعف و الجهد، و الخصاصه و الجوع فى تلك الظروف بالذات ..

و قد يحاول البعض أن يقول: إن هذه الضائقه لم تنل جميع الناس آنئذ، لأن الناس - كما يروى الواقدى و المقرئى - قد كان كثير منهم فى وفره

معقوله فى تلك الفتره، لأن مجىء الأ-حزاب كان بعد انتهاء موسم الحصاد، وقد أدخل الناس غلاتهم و أتبانهم، ولا يزال معظمها موجودا لدى أصحابها.

أضف إلى ذلك: أن بعض الروايات الآتية التى تحكى لنا قصه جابر تقول: إن الذين احتاجوا للإصابه من طعام جابر كانوا ثلاث مائه، أى حوالى ثلث المشاركين فى حفر الخندق؛ فالباقون لم يكونوا بحاجة ماسه إلى طعام، أو لعل أكثرهم كان كذلك.

و نقول:

إن هذه المحاوله غير كافيه لإثبات ذلك، إذ قد صرح المؤرخون: أن العام كان عام جدد، و لم يكن ثمة غلات فى مستوى يؤثر فى تغيير ظاهره الفقر و الخصاصه و الجوع، التى كانت مهيمنه على عامه الناس آنئذ. و لو كان ثمة غلات بهذا الحجم لبادر أصحابها إلى تقديمها طوعا إلى هؤلاء الناس. بل كان النبى (صلى الله عليه و آله) يأمرهم ببذلها لإخوانهم، و لا سيما فى ظروف الحرب هذه.

و لكنا قد رأيناهم: يتسابقون إلى دفع أذى الجوع عن شخص النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله)، و يتسابقون إلى نيل بركاته و الفوز برضاه.

إلا أن ذلك: لا يمنع من أن يكون لدى المنافقين قسط من تلك الأموال، كانوا يضمنون بها و يبخلون عن بذلها و من يبخل فإنما يبخل عن نفسه.

حفر الخندق فى روايات المؤرخين:

و نحن نذكر هنا: طائفه من النصوص التاريخيه المرتبطه بحفر الخندق،

متوخين فيها- قدر الإمكان- تبويبها و تقسيمها، حسبما يتهيأ لنا، ثم نعقب ذلك ببعض ما يرتبط بما أجمل منها أو أشكل، و من الله نستمد القوه و الحول فنقول:

المساحى و المكاتل:

و يقولون: إنه (صلى الله عليه و آله) قد استعار من بنى قريظه آله كثيره، من مساح و ففوس و مكاتل، يحفرون بها الخندق، و هم يومئذ سلم للنبي (صلى الله عليه و آله) و يكرهون قدوم قريش (١). الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ١٠ ٢١٩ المساحى و المكاتل: ص : ٢١٩ لا ندري مدى صحه هذا القول، بعد أن كان رسول الله- حسبما تقدم، حين الكلام حول إيمان أبى طالب- يدعو الله أن لا يجعل لكافر و لا لمشرك عنده يدا أو نعمه إلا أن يكون (صلى الله عليه و آله) قد قرر عليهم المعونه بهذا المقدار، إن دهمهم عدو، حسبما تقدم فى معاهدته (صلى الله عليه و آله) مع يهود المدينه. فلا تبقى لهم بذلك منه على أحد، بل لله المنه عليهم، و إنما يعملون بما أخذ عليهم العمل به.

تقسيم العمل فى الخندق:

قال الواقدى: (و كل بكل جانب من الخندق قوما يحفرونه فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذباب، و كانت الأنصار تحفر من ٧).

١- راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٤٥ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١١ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٥ و الإمتاع ج ١ ص ٢٢٠ و راجع وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٧.

ذباب إلى جبل بنى عبيد).

و فى نص آخر: إلى خربى (١).

و فى نص آخر: و خندقت بنو عبد الأشهل عليها بما يلى راتج إلى خلفها، حتى جاء الخندق من وراء المسجد، و خندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أبى الجنوب اليوم (٢).

و من جهة أخرى: فإنه (صلى الله عليه و آله) قطع الخندق أربعين ذراعا بين كل عشرة (٣).

و قال القمى: (جعل على كل عشرين خطوه، و ثلاثين خطوه قوم من المهاجرين و الأنصار يحفرونه) (٤).

و فى نص آخر يقول: (و جعل لكل قبيله حدا يحفرون إليه) (٥).

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٦ و ٤٥٠ و راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٠ و حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٥ و راجع: السيره الحلييه ج ٢ ص ٣١٣ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥.

٢- راجع: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ و ٤٥١ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥.

٣- راجع: تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٥ و البحار ج ٢٠ ص ١٨٩ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٢١٥ و مجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٧ و ٣٤١ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٤٣ و شرحه مطبوع بهامشه، و قال: رواه الطبرى و الطبرانى، و الحاكم، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ و الخرائج و الجرائح ج ١ ص ١٥٢ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤١٨ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٥ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢.

٤- تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٧ و عنه فى بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٨.

٥- تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٥٠.

لكن القطب الراوندى يقول: (قسمه بين المهاجرين و الأنصار بالذراع فجعل لكل عشره منهم عشره أذرع) (١).

النبى صلى الله عليه و آله يشارك فى حفر الخندق:

و قد شارك النبى (صلى الله عليه و آله) المسلمين فى حفر الخندق كما صرحت به النصوص التاريخه، و ذلك رغبه فى الأجر و لينشط المسلمين (٢).

و قد أجهد المسلمون أنفسهم، و النبى (صلى الله عليه و آله) يكابد معهم (٣) النصب و الجوع و قد استمرت هذه المشاركه حتى فرغ من حفر الخندق (٤).

و كان (صلى الله عليه و آله) يضرب مره بالمعول، و مره يغرف بالمسحاه التراب، و مره يحمل التراب بالمكتل، قال أبو واقد: و لقد رأيت يوم ما بلغ منه، فجلس، ثم اتكأ على حجر على شقه الأيسر، فذهب به النوم، فرأيت أبا بكر .

١- الخرائج و الجرائح ج ١ ص ١٥٢ و البحار ج ١٨ ص ٣٢ عنه.

٢- راجع ما يلى: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٥ و تهذيب سيره ابن هشام ص ١٨٩ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦. و راجع: البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٥ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٠ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٤ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٨ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ و ٥٧ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٩ و ٤٠٩ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٣ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٤٠٧ و الإكتفاء ج ٢ ص ١٥٩ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠١.

٣- بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٣ و حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٥.

٤- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٥٠.

و عمر واقفين على رأسه ينحيان الناس أن يمروا به فينبهوه، و أنا قريب منه، ففزع، و وثب فقال: إلا أفزعتموني؟!

فأخذ الكرز (الفأس) يضرب به، و إنه ليقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرهفاغفر للأنصار و المهاجره

اللهم العن عضلا و القاره فهم كلفوني أنقل الحجاره (١) و كان (صلى الله عليه و آله) يحمل التراب على ظهره، أو على عاتقه (٢) حتى إن التراب على ظهره و عكته (٣) و ربما كان يحفر معهم حتى يعيا، ثم يجلس حتى يستريح.

و جعل أصحابه يقولون: يا رسول الله، نحن نكفيك.

فيقول: أريد مشاركتكم فى الأجر (٤).

و عن أم سلمه بسند صحيح - عند أحمد -: (كان النبي (صلى الله عليه و آله) يعاطيهم اللبن يوم الخندق، و قد اغبر شعر صدره) (٥).ح.

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٢ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٥ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٨ و راجع المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١١.

٢- راجع: حقائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٥ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢١ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٦.

٣- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٥ و فى المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٩ عن أنس: على صدره و بين عكته. (العكن: ما انطوى و تثنى من لحم البطن).

٤- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٧ عن تفسير الثعلبي.

٥- فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٨ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٦ و عن أبى يعلى و أحمد برجال الصحيح.

و فى نص آخر ذكره البخارى و غيره: (رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عنى التراب جلده بطنه- و كان كثير الشعر- فسمعتة يرتجز بكلمات ابن رواحه:

و الله لو لا الله ما اهتدينا و لا تصدقنا و لا صلينا

فانزلن سكينه علينا و ثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا ثم يمد بها صوته: أينا، أينا (١).

و قد سجل العسقلانى تحفظا هنا، فهو يقول: (ظاهر هذا أنه كان كثير شعر الصدر، و ليس كذلك فإن فى صفته (صلى الله عليه و آله) أنه كان دقيق المسربه، أى الشعر الذى فى الصدر إلى البطن. فيمكن أن يجمع أنه كان مع دفته كثيرا) (٢). ٨.

-
- ١- راجع المصادر التالىة فى: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٨٥ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٦ عن الصحيحين، و صحيح البخارى ج ٣ ص ٢١ باب غزوه الخندق. و صحيح مسلم- الجهاد و السير، باب غزوه الأحزاب. و فتح البارى ج ٦ ص ٤٦ و ج ٧ ص ٣٠٨ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٤٥ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٢ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ و تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٧٩ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٧ و راجع: حقائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٥ و ٥٨٦ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤١ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٩ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٩ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٤٩ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤١٣ و ٤١٤ و كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨١ و الغدير ج ٧ ص ٢٠٦ عن ابن كثير و عن طبقات ابن سعد.
- ٢- فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٨.

و لكنه جمع غير ظاهر الوجه، بعد أن كان التعبير الوارد في الرواية ياباه. و لكن المهم عند هؤلاء هو تصحيح روايه البخارى بأى ثمن.

و قد صرح القمى: بأن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان هو البادئ فى حفر الخندق، فهو يقول: و أخذ معولا فحفر فى موضع المهاجرين بنفسه و أمير المؤمنين (عليه السلام) ينقل التراب من الحفرة، حتى عرق رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عبي، و قال:

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم اغفر للأتصار و المهاجرة فلما نظر الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) يحفر اجتهدوا فى الحفر، و نقلوا التراب، فلما كان فى اليوم الثانى بكروا إلى الحفر، و قعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى مسجد الفتح، فبينما المهاجرون و الأتصار يحفرون إذ عرض لهم الخ (١).

على عليه السلام و شيعته أعظم الناس عناء:

قال القاضى النعمان: (و كان على صلوات الله عليه و شيعته أكثر الناس عناء، و فيه عملا. و كان فى ذلك من الأخبار ما يطول ذكره) (٢).

و ثمة تفاصيل أخرى:

قد عرفنا فيما سبق: أن النبى (صلى الله عليه و آله) كان هو البادئ فى حفر الخندق، و كان (صلى الله عليه و آله) يحفر، و على (عليه السلام) ينقل ٢.

١- تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٧ و ١٧٨ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٨ عنه.

٢- شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٢.

التراب من الحفره، و قد استمرت مشاركته النبي (صلى الله عليه و آله) لهم فى العمل حتى انتهوا من الخندق.

و أنه (صلى الله عليه و آله) كان يضرب مره بالمعول، و مره يغرف التراب بالمسحاه، و مره يحمل التراب بالمكتل على ظهره، أو على عاتقه.

و كان (صلى الله عليه و آله) يعاطيهم اللبن، الأمر الذى يدل على أنه كان ثمه بناء فى الخندق.

أضف إلى ذلك أنهم يقولون:

إنهم كانوا يحملون المكاتل على رؤوسهم، و إذا رجعوا بها جعلوا فيها الحجاره، يأتون بها من جبل سلع، يسطرونها مما يليهم كأنها حبال التمر و كانت الحجاره من أعظم سلاحهم، يرمونهم بها.

و القوم يرتجزون، و رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول:

هذى الجمال لا جمال خيبر هذا أبر ربنا و أطهر (١) و ما كان فى المسلمين يومئذ أحد إلا يحفر فى الخندق، أو ينقل التراب و كان أبو بكر و عمر لا- يتفرقان فى عمل، و لا- مسير و لا- منزل، ينقلان التراب فى ثيابهما من العجله، لم يكن مكاتل لعجله المسلمين (٢).

و قال جابر: و عمل الناس يومئذ كلهم، و النبي (صلى الله عليه و آله)، ٦.

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٦ و راجع: الإمتاع ج ١ ص ٢٢٠ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٣١٢.

٢- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٩ و ٤٤٨ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٣١٣ و الإمتاع ج ١ ص ٢٢٢، و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٦.

و جعلت الأنصار ترتجز و تقول:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا فقال النبي (صلى الله عليه و آله)، و فى لفظ آخر: فيجيئهم:

اللهم لا- خير إلا- خير الآخره فاغفر للأنصار و المهاجره (١) و كان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه، حتى كمل الخندق (٢).

و عن أنس قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى الخندق، فإذا المهاجرون و الأنصار يحفرون فى غدها بارده، و لم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب و الجوع.

و فى نص آخر: فلما رأهم يحملون التراب على متونهم، و ما بهم من نصب و جوع، قال:

اللهم إن العيش عيش الآخره فاغفر للأنصار و المهاجره فقالوا مجيبين له: ٤.

١- المغازى للوادى ج ٢ ص ٤٥٢ و ٤٥٣ و راجع كنز العمال ج ١٠ ص ٢٩٠ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣ و حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٥ و ٥٨٦ و صحيح البخارى (المغازى) باب غزوه خيبر و صحيح مسلم، الجهاد و السير- باب غزوه الأحزاب و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٣٩٢ و عن مسلم باب غزوه الأحزاب و عن البخارى و غير ذلك.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٦.

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا (١) و بعد ما تقدم نقول:

عمل المنافقين فى الخندق:

إشارة

قالوا: و أبطأ عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عن المسلمين فى عملهم ذاك رجال من المنافقين، و جعلوا يورون بالضعيف من العمل.

و حسب نص آخر: تخلف طائفه من المنافقين، يعتذرون بالضعف.

و تسلل عنه (صلى الله عليه و آله) جماعه من المنافقين إلى أهليهم بغير علم رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فأنزل الله تعالى فى ذلك:

.. قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

ثم كان الرجل من المسلمين إذا نابته نائبه لا بد منها يستأذن رسول الله (صلى الله عليه و آله) فيقضى حاجته، ثم يعود، فأنزل الله تعالى:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى إِنِّي سَمِعْتُكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ .. ٢.

١- السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٤ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٥ و ٩٦ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٦ و ٥١٧ و صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٠ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤١٠ و ٤١١ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٤٥ و عن فتح البارى ج ٧ ص ٣٩٢.

. و اللواذ: الإستتار بالشىء عند الهرب (١).

و هناك الذين كانوا يتسللون زاعمين أن بيوتهم عوره- أى مكشوفه للغزاه، و معرّضه للإحتلال (٢)- و ليس الأمر كذلك.

و لنا مع ما تقدم وقفات، نشير إليها فيما يلى من مطالب:

١- توزيع المهام على العاملين:

و من الواضح: أن تحديد المسؤوليات، و تقسيم المهام على العاملين من شأنه أن يرفع من درجة الإحساس بالمسؤوليه، الأمر الذى يفرض على العاملين قدرا أكبر من الدقه و التحرى، الذى ينعكس على العمل إتقاناً و تناسقا و جمالا.

هذا عدا عن أنه يذكى روح التنافس البناء و الهادف، الذى يؤدى إلى ٦.

-
- ١- راجع ما تقدم كلا أو بعضا، فى المصادر التاليه: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٥٩ و ١٦٠ و الكامل فى تاريخ ج ٢ ص ١٧٩ و ١٧٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٢ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٨ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٥ و ٥٦. و راجع: البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٥ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٠ و راجع ص ١١٢ و ١١٣ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣ و الدر المنثور ج ٥ ص ٦٠ عن ابن إسحاق، و ابن المنذر، و البيهقى فى الدلائل و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٢ و ٥٢٣ و تهذيب سيره ابن هشام ج ٣ ص ١٨٩ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤٠٩.
- ٢- سيره المصطفى ص ٤٩٦.

نشوء نوع من الرقابه العفويه، التى تنتهى إلى الانضباط، و إلى الإسراع فى الإنجاز.

و من جهه ثانيه: فإنه يقطع الطريق على أولئك الكسالى و الإتكالين، ممن يضعف لديهم الشعور بالمسؤوليه، و يريدون أن يفيدوا و يستفيدوا من جهد الآخرين، دون أن يقدموا هم أنفسهم أى جهد، أو أن يبذلوا أى عناء. و منعهم من ثم من التواكل المؤدى إلى الفشل، و إلى التضييع و البلبله و الاختلاف.

و قد روى عن على عليه الصلاه و السلام: أنه كتب فى وصيته للإمام الحسن، صلوات الله و سلامه عليه: (و اجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به، فإنه أحرى أن لا يتواكلوا فى خدمتك) (١).

كما أن عدم تحديد المسؤوليات يؤدى إلى تخلخل فى البنيه الداخليه، نتيجة للإحساس بالغبن لدى من تفرض عليه ظروف عمله أن يكون هو الذى يتحمل عبء إنجاز ما فرط الآخرون فى إنجازهم. و عسى و لعل أن يتجه الفرقاء إلى إثارة الأستله و الشكوك، ثم إلى التراشق بآلتهم لتبرير حاله الضعف القائم به بسبب ذلك.

و علينا بعد ذلك كله: أن نتوقع ظهور عوارض الخلل و الضعف فى أية خطه ترسم و تعتمد، و تفقد الكثير من حيويتها و فاعليتها فى مجال التطبيق و التنفيذ.

كما أن توزيع الحصص على العاملين بهذه الطريقه يضمن تحقق المساواه ٣.

١- نهج البلاغه بشرح عبده، آخر وصيه الإمام الحسن رقم (٣١) ج ٣ ص ٦٣.

و العدل فى تحمل مشاق العمل، فلا- يعمل هذا أكثر من ذاك. و إذا استطاع التفوق على أقرانه فى العمل، فإن ذلك يظهر للآخرين و يتجلى امتيازه على سائرهم، كما سنقرؤه بالنسبه لسلمان الفارسى، الذى ظهرت قوته فى العمل، فتنافس فيه المهاجرون و الأنصار.

أما المتواكل المتخاذل: فلا- مجال للتستر عليه، إذا كان يريد أن يتوانى فى عمله و يتواكل فيه. و قد فضح القرآن الكريم المنافقين، الذين اتبعوا هذا السبيل كما تقدم.

هذا كله: بالإضافة إلى أن قسمه العمل على النحو المتقدم من شأنها أن تؤثر فى زرع روح التفاؤل بإمكانه إنجاز هذا العمل الضخم و تقلل من رهته فى صدور العاملين، حينما تنحسر النظره إلى ذلك العمل الهائل لتصبح فى مدى أذرع يسيره يتعاون على إنجاز العمل فيها عشره من المؤمنين.

٢- النبى صلى الله عليه و آله و الشعر:

قد تقدم: بعض ما يدل على أن النبى (صلى الله عليه و آله) كان يتمثل ببعض الشعر، أو ينشد مع الصحابه ما ينشدون، و نزيد هنا:

قال دحلان و غيره: عن سهل بن سعد: كنا مع النبى فى الخندق ننقل التراب على أكتافنا، فقال (صلى الله عليه و آله):

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره فأكرم الأنصار و المهاجره و هو من كلام ابن رواحه، و أصله:

لا هم إن العيش عيش الآخره.....

فنطق به النبى (صلى الله عليه و آله):

اللهم لا عيش الخ

لأنه يعسر عليه النطق بالشعر، و إن كان من قول غيره (١).

و عن أبي عثمان النهدي، أو سلمان: أنه (صلى الله عليه و آله) حين ضرب في الخندق قال:

باسم الإله و به بديناو لو عبدنا غيره شقينا

يا حبذا ربا و حب دينا (٢).....

قال دحلان: (و هو من كلام بعض أصحابه يتمثل به. أو من كلامه بناء على أن الرجز ليس بشعر. أو أن الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا. أما إذا خرج موزونا بلا قصد، فلا يسمى شعرا) (٣).

و نقول:

إن بعض الناس حسبما تقدم، و كما هو مذكور في كتب التفسير، في ٣.

١- السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣ عن البخارى و السيره الحلييه ج ٢ ص ٣١٢ و راجع البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٦ عن البخارى و مسلم و الحديث فى نهايه الأرب أيضا ج ١٧ ص ١٦٩ و صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٠ و فيه: فاغفر للمهاجرين و الأنصار.

٢- المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٣١٢ و الإمتاع ج ١ ص ٢٢١ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٧ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٦ و ٩٧ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤١٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٦ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٤.

٣- السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣.

تفسير قوله تعالى: وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَتَّبِعِي لَهُ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ (١).

يريد أن يدعى: أن النبي (صلى الله عليه و آله) غير قادر على التفوه بكلام موزون، أو أن الرجز ليس بشعر. أو ما إلى ذلك ..

و لكنها دعاوى ليست على درجه من القوه و الاستقامه، فإن المراد بالآيه الكريمه وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَتَّبِعِي لَهُ ...: أنه (صلى الله عليه و آله) ليس بشاعر، بمعنى أنه ليس لديه ملكه الشعر، لا أنه يعسر عليه التكلم بشعر غيره و النطق به.

و لا حاجه بعد هذا إلى دعوى: أن الرجز ليس بشعر، كما لا حاجه إلى اشتراط القصد أو عدمه فى إيراد الشعر الموزون. فإن النظر هو إلى ملكه الشعر الذى يتضمن الانسياق وراء الأوهام و التخيلات، و المبالغات، و التصويرات غير الواقعيه بالإضافة إلى الوزن و الموسيقى، وفقا لما أشار إليه تعالى بقوله: وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢).

٣- دور عضل و القاره:

و قد ذكرت روايه أبى واقد: أنه (صلى الله عليه و آله) قال:

اللهم العن عضلا و القارههم كلفونى أنقل الحجاره ء.

١- الآيه ٦٩ من سوره يس.

٢- الآيات ٢٢٤-٢٢٦ من سوره الشعراء.

و ليس هذا الكلام واضح المأخذ و المغزى، إلا أن تكون هاتان القبيلتان:

عضل و القاره، قد قامتا بنشاط واسع في تحزيب الأحزاب فاق نشاط اليهود و قريش حتى صح أن ينسب (صلى الله عليه و آله) إلى هاتين القبيلتين حتى نقل الحجاره للخندق.

و ليس فيما بأيدينا من نصوص ما يدل على ذلك أو يشير إليه من قريب و لا من بعيد.

٤- الأمثوله المواساه:

و ما أروع هذا التنويع في المهمات التي تصدى الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) لها في حفر الخندق، حيث لم يقتصر على نوع واحد من العمل فيه، بل شارك (صلى الله عليه و آله) كل العاملين في أعمالهم و أذاق نفسه الشريفة مبلغ جهدهم، فصدق بذلك الخبر، و تجلت المواساه بأبهى صورها، و تجسدت الأمثوله الرائده بأروع و أدق و أصدق معانيها.

٥- المتحذلقون الأغبياء:

و من الأمور التي تلفت النظر هنا: أن البعض يحاول أن يفرغ هذه التضحيه الرائعه، و الأمثوله الفريده للنبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) من معناها و مغزاها، فيدعى رجما بالغيب: أن النبي (صلى الله عليه و آله) كان لا يرى الشده في حمل الحجاره (١)، رغم صراحه روايه أبى واقد المتقدمه: أن أبا واقد رأى النبي (صلى الله عليه و آله) و قد بلغ منه، و على حد تعبير نص ٦.

آخر: (و هو (صلى الله عليه و آله) يكابد معهم)

و فى نص ثالث: و ربما كان يحفر حتى يعيا، ثم يجلس حتى يستريح.

و فى نص رابع: (حتى عرق رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عبي).

و كل ذلك قد تقدم مع مصادره.

٦- لا عيش إلا عيش الآخرة:

و لا- ننسى أن نلفت نظر القارئ هنا: إلى مضمون الشعر الذى كان يترنم به العاملون فى الخندق، و ما يتضمنه من ربط لهم بالآخرة و بما يرجو المؤمنون تحقيقه من فوز و فلاح فيها.

كما أنه يحمل فى ثناياه مقارنه عفويه فيما بين الدنيا و العيش فيها، و تفضيل عيش الآخرة عليه. ثم يشاركهم النبى (صلى الله عليه و آله) فى ترديد هذا الشعر، فتكون مشاركته للوجدان و للإحساس، و يتعمق لدى هذا الإنسان الكادح المجاهد الشعور بالله سبحانه، و بألطفه و مواهبه، و ما أحوجهم فى هذا الطرف العصيب بالذات إلى إحساس كهذا.

٧- الحماسه و المنابره:

و قد كان لمشاركه النبى (صلى الله عليه و آله) هذه تأثير كبير فى إثارة الحماسه لدى العاملين فى حفر الخندق. و قد أذكيت هذه الحماسه أيضا معرفتهم بتحريك الأعداء باتجاه المدينه، و إحساسهم بالخطر الذى يتهددهم.

٨- الأسوه الحسنه:

لقد أجمع المؤرخون: على أن النبى (صلى الله عليه و آله) قد شارك فى

حفر الخندق.

و تتفق هذه النصوص: على أنها كانت مشاركه فعاله و حقيقه و جديه.

و ما نريد أن نلفت النظر إليه هنا هو:

ألف: إن هذه المشاركه لم تكن شكلية، و مجرد تمثيل، كما عهدناه و ألفناه من رؤساء الجمهوريات و الوزراء و كبار المسؤولين في عصرنا الحاضر، حيث يضرب أحدهم بالمعول مثلا ضربات أمام الجماهير في احتفال تكريمي ليظهر على شاشات التلفزيون، و على صفحات الجرائد في استعراض إعلامي مزيف، يهدف إلى تكريس زعامته و نفوذه، و لا شيء غير ذلك، ثم يتابع رقابته على العمل و العاملين من موقع الأمر، من قصره المنيف، أو من برجه العاجي الزاهر. فجاءت مشاركه النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) في حفر الخندق بصيغه المعاناه الحقيقه و الصادقه، التي تمثل الأسوه في المعاناه الكادحه لا مجرد الرمز و المثال.

و لنسمع النشيد العفوى و الصادق:

لئن قعدنا و النبي يعمل لذاك منا العمل المضلل يقول البعض: (إن التاريخ لم يدون لنا غير حادثه مفرده عن شخصيه كان لها سلطان روحى و زمنى أيضا على أمه من الأمم. و مع ذلك فقد عملت مثل عامل عادى، و جنبا إلى جنب مع أتباعها فى ساعه الحرج الوطنى العظيم) (١).٩.

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٧ و راجع: الإمتاع ج ١ ص ٢٢١ و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٩.

ب: إن مشاركته (صلى الله عليه و آله) فى حفر الخندق تجسد عمليا المساواه بين جميع فئات المجتمع، و تخرجها عن أن تكون مجردة شعار يراد له أن يبقى فى حدود إثارة المشاعر، فى النشاط الإعلامى الجماهيرى، دون أن يجاوز ذلك ليصبح حياه و حركه، نهجا و سلوكا.

فالمساواه فى نظر الإسلام نهج و سلوك، و خلق إسلامى و إنسانى رفيع و نبيل، تنطق من خلاله و على أساسه مثل و قيم فى جهات حياتيه شتى.

و لأجل ذلك: نجد النبى (صلى الله عليه و آله) يشارك أصحابه فى حفر الخندق مشاركته حقيقيه، فهو يتعب كما يتعبون، و يرتجز كما يرتجزون، و يجوع كما يجوعون، و يشاركهم حلو العيش و مره، و يشترك معهم فى تحمل المتاعب و مواجهه المصاعب و يكون أكثرهم عناء، و أعظمهم غناء.

ج: إن هذه المشاركه منه (صلى الله عليه و آله) لم تكن عن تواضع يريد من ورائه نيل رضاهم من خلال المواساه التى يتلمسونها فى مشاركته تلك. بل هى منطلقه بالإضافه إلى ذلك من قناعه راسخه بالقيم و المبادئ، و بالمثل الإسلاميه و الإنسانيه، التى تجعل ذلك عباده إلهيه، و عبوديه له سبحانه و تعالى، تلك العباده و العبوديه التى لا تستثنى و لا تجامل و لا تحابى أحدا أيا كان.

د: و من الواضح: أن ارتباط النبى (صلى الله عليه و آله) بالناس لم يكن من نوع الروابط التى تقوم بين الزعيم و بين قاعدته الجماهيريه، و لا- كانت هى رابطه حاكم و رعيه، و إنما كانت رابطه الأبوه المسؤوله و الواعيه، التى يدفعها إحساسها الأبوى لتريد الخير لمن هم تحت تكفلها من موقع الوعى و التدبير، لا من موقع العاطفه الهوجاء، و لا من منطلق التفكير المصلحى، الذى يريد أن يستفيد من ذلك لتكريس زعامته، أو كسب امتيازات

سياسيه، أو اجتماعيه أو غيرها.

و لأجل ذلك كانت مواساته (صلى الله عليه و آله) لأصحابه فى حالات الجوع، ثم مشاركته لهم فى تلبيته لدعوه جابر لتناول الطعام؛ رغم أن جابرا لم يجد فى بيته إلا ما يكفى بضعه أشخاص. و لكن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) قد دعا الجميع و أطعم الجميع.

منع حسان و كعب بن مالك من الشعر:

و قال المؤرخون أيضا: عن كعب بن مالك قال: جعلنا يوم الخندق نرتجز و نحفر، فعزم رسول الله (صلى الله عليه و آله) على أن لا أقول شيئا!

فقلت: هل عزم على غيرى؟!

قالوا: حسان بن ثابت.

قال: فعرفت أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) إنما نهانا لوجدنا له، و قلته على غيرنا، فما تكلمت بحرف حتى فرغنا من الخندق.

و قال (صلى الله عليه و آله) يومئذ: لا- يغضب أحد مما قال صاحبه، لا يريد بذلك سوءا إلا مما قال كعب و حسان فإنهما يجدان ذلك (١).

و عند البيهقى: نهاهما أن يقولوا شيئا يحفظان به أحدا (٢).

و كان جعيل بن سراقه رجلا صالحا، و كان دميما قبيحا. و كان يعمل معهم فى الخندق، و كان (صلى الله عليه و آله) قد غير اسمه يومئذ و سماه ٩.

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٧ و راجع: الإمتاع ج ١ ص ٢٢١ و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٩.

٢- دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٩.

عمرا، فجعل المسلمون يرتجزون و يقولون:

سماه من بعد جعيل عمراو كان للبائس يوما ظهرا و جعل رسول الله (صلى الله عليه و آله) لا يقول شيئا، بل يقفى معهم فقط، و يقول: عمرا، ظهرا (١).

قال الحلبي: (و سياق أسد الغابه يدل على أن هذا الذى غير رسول الله (صلى الله عليه و آله) اسمه و سماه عمرا غير الجعيل المذكور) (٢).

و نشير نحن هنا إلى ما يلى:

الكلمه المسؤوله و القرار الحاسم:

إن هذه النصوص التى ذكرناها: قد أظهرت أن النبى (صلى الله عليه و آله) قد اتخذ قرارا حاسما يمنع حسان بن ثابت و كعب بن مالك من إنشاد أو قول شىء حين حفر الخندق، و الذى يظهر لنا من ثنايا الكلمات هو: أن حسانا و كعب بن مالك لم يلتزما بالضوابط الأخلاقية و الإسلاميه فيما قالاه و أنشدها، بل هما قد تجاوزا الحد، و أغضبا الآخرين، و يشير إلى ذلك: .

-
- ١- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ١٦ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٧ و ٤٤٨ متنا و هامشا، و راجع: دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤٠٩ و ٤١٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٥ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٣ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١١ و ٣١٢ و الإمتاع ص ٢٢٢ و أسد الغابه ج ١ ص ٢٩٠ و قال: أخرجه أبو موسى و الإصابه ج ١ ص ٢٤٠.
- ٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٥١٢ و راجع: أسد الغابه ج ١ ص ٢٩٠.

١- أنه (صلى الله عليه وآله) قد اختص هذين الرجلين بالمنع، و لم يعزم على أحد غيرهما.

٢- كما أن قوله (صلى الله عليه وآله) يومئذ: لا يغضب أحد مما قال صاحبه لا يريد بذلك سوء الخ .. صريح في أنه قد قيل ثمه ما يوجب الغضب، حتى احتاج الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) للتدخل لتلطيف الأجواء، و سل الخيمه

٣- و لعل قصه جعيل بن سراقه هي أحد الشواهد على هذا التعدي على الآخرين، حيث كان من الطبيعي أن ينزعج هذا الرجل، الذى وصف بالقبح و الدمامه من ارتجازهم الشعر فى حقه، و يعد ذلك نوعا من العبث و الاستهانه به، و الاحتقار له.

و من هنا: فإننا نشك كثيرا فى قولهم: إن النبى (صلى الله عليه وآله) جعل يقفى معهم، و يقول: عمرا، ظهرا ..

مع أننا نلاحظ على النص المذكور: أنه قد ألمح إلى أن سكوت النبى (صلى الله عليه وآله) عن إنشادهم الشعر فى حق جعيل كان ملفتا للنظر، حيث يقول النص: (فجعل رسول الله لا يقول شيئا، بل يقفى معهم فقط).

و بعد ما تقدم نقول: إننا نلمح فى النصوص المتقدمه محاوله للتحريف و التصرف فى النص بهدف التعتيم على حقيقه ما جرى؛ حيث حاول أن يصوّر لنا: أن منع حسان و كعب من قول شىء إنما كان لأجل قدرتهما على قول الشعر، و قلته على غيرهم.

مع أن القضييه: ما كانت تتطلب الكثير من قول الشعر آنئذ، بل يكفى البيت أو البيتان ليرددهما الآخرون مده طويله، وفقا لما حفظه لنا التاريخ فى

هذه المناسبه، بالإضافة إلى أن الكثيرين كانوا يجيدون الشعر مثل كعب و حسان.

و لم يكن ثمة داع لتحاسد القوم فى أمر كهذا فى مناسبه كهذه، و لا كان اللازم هو أن يحسدوا حسانا و كعب بن مالك فى سائر المناسبات، و يمنعهما النبى (صلى الله عليه و آله) من هجاء المشركين، و من نظم الشعر فى كثير من المناسبات الأخرى.

و لم نجد فى ما بين أيدينا من نصوص تاريخيه أن حدث ما يشبه هذه القضييه فى أى مناسبات أخرى، لا مع النبى (صلى الله عليه و آله) و لا مع غيره.

و ذلك يجعلنا نطمئن إلى حدوث تجاوز منهما للحد أوجب أن يقف النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) منهما هذا الموقف الحازم و الحاسم.

فليتأمل فى تاريخ حياه هذين الرجلين، فقد يجد المتتبع فيها الكثير مما لا يحسن و لا يجمل، و قد تقدم فى أواخر الحديث عن غزوه بنى النضير شىء غريب صدر من حسان، و ربما تأتى الإشارة لأشياء أخرى صدرت منه و من غيره. و الله هو المسدد و الهادى.

زيد بن ثابت:

(كان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى حقه: أما إنه نعم الغلام، و غلبته عينه، فنام فى الخندق.

فأخذ عماره بن حزم سلاحه، و هو نائم.

فلما قام فزع على سلاحه، فقال له (صلى الله عليه و آله): يا بار، [يا أبا رقاد] قد نمت حتى ذهب سلاحك؟

ثم قال: من له علم بسلاح هذا الغلام!؟

فقال عماره: أنا يا رسول الله، هو عندي.

فقال: ردّه عليه و نهى أن يروع المسلم و يؤخذ متاعه لآعبا) (١).

و كان المسلمون قد انكشفوا يريدون يطيفون بالخذق و يحرسونه، و تركوا زيدا نائما و لا يشعرون به.

و نقول:

لا ندرى مدى صحه ما ينسب إلى النبي (صلى الله عليه و آله): أنه قاله في حق زيد بن ثابت، دون سائر من كانوا ينقلون التراب من شباب و غيرهم، من دون مبرر ظاهر، أو سبب معقول، أو فعل متميز من زيد على من سواه، يستدعى أن يخلع عليه النبي الأوسمه، و يخصه بالتقاريض و المدائح.

غير أننا نعلم: أن زيدا كان ممن تهتم السلطه بأمره، و تعمل على رفعه شأنه، و تخصيصه بكل غال و نفيس ما وجدت إلى ذلك سبيلا، لأنه كان من أعوانها بل من أركانها كما أشرنا إليه في فصل تعليم زيد اللغه العبرانيه، فلا نعيد.

سلمان منا أهل البيت:

و يقولون: إن المسلمين جعلوا إذا رأوا في الرجل فتورا ضحكوا منه.

و تنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي و كان قويا عارفا بحفر الخنادق، فقال المهاجرون: سلمان منا ..

و قالت الأنصار: هو منا و نحن أحق به.٨.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢١٣ و الإمتاع ج ١ ص ٢٢٢ و الإصابه ترجمه زيد بن ثابت و المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٨.

فبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قولهم، فقال: (سلمان رجل منا أهل البيت) (١).

(و لقد كان يومئذ يعمل عمل عشرة رجال، حتى عانه (أى أصابه بالعين) يومئذ قيس بن أبى صعصعه فلبط به (أى صرع و سقط إلى الأرض) فسألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: مروه فليتوضأ له، و ليغتسل به، و يكفأ الإناء خلفه ففعل، فكأنما حل من عقال) (٢).

و حسب نص آخر أوضح و أصرح: (روى أنه كان يعمل فى الخندق عمل الرجلين.

و فى روايه: كان يحفر كل يوم خمسه أذرع من الخندق، و عمقها أيضا خمسه أذرع، فعانه قيس بن صعصعه، فصرع و تعطل من العمل، فأخبر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأمر أن يتوضأ قيس لسلمان، و يجمع ٥.

١- المغازى للواقدي ج ١ ص ٤٤٦ و راجع: الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٥ و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٣ و سيره المصطفى ص ٤٩٥ عن الطبرى و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣ و الإمتاع ج ١ ص ٢٢١ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٥ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٩ و مجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٧ و ج ٨ ص ٣٤١ و البحار ج ٢٠ ص ١٨٩ و ١٩٨ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤٠٠ و ٤١٨ و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥٩٨ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٥ و راجع ص ١٢٠٧ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢.

٢- المغازى للواقدي ج ١ ص ٤٤٧ و الإمتاع ج ١ ص ٢٢١ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٥.

وضوءه في ظرف، و يغتسل سلمان بتلك الغساله و يكفأ الإناء خلف ظهره، ففعل، فنشط في الحال كما ينشط البعير من العقال
(١).

و قصه التنافس في سلمان و قول النبي (صلى الله عليه و آله): (سلمان منا أهل البيت) المذكوره في العديد من المصادر، فلتراجع
في مظانها (٢).

و نص آخر يقول: إنه حين حفر الخندق كان المسلمون ينشدون سوى سلمان، فرأى النبي (صلى الله عليه و آله) ذلك، فدعا
الله تعالى: أن يطلق لسان سلمان، و لو بيتين من الشعر، فأنشد سلمان ثلاثه أبيات هي:

ما لي لسان فأقول شعراً أسأل ربي قوه و نصرا

على عدوى و عدو الطهرامحمد المختار حاز الفخرا

حتى أنال في الجنان قصرامع كل حوراء تحاكي البدرافضج المسلمون، و جعلت كل قبيله، تقول: (سلمان منا). ٨.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٤ و راجع: الإمتاع ج ١ ص ٢٢١ و المغازي للواقدي ج ٢
ص ٤٤٧.

٢- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٥٩ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٩ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢ و
تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٥ و راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ و البحار ج ٢ ص ١٨٩ عن مجمع البيان ج ٢ ص
٤٢٧ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣ و أسد الغابه ج ٢ ص ٣٣١ و ذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ٥٤ و تهذيب تاريخ دمشق ج
٦ ص ٢٠٠ و نفس الرحمن ص ٣٤ و ٣٥ و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥٩٨.

فقال النبي (صلى الله عليه و آله): (سلمان منا أهل البيت) (١).

و نقول:

إننا نشك في صحه ذلك كله، و ذلك للأمور التاليه:

أولاً: إنه عدا عما في هذه الأبيات الأخيره من الهنات، لا نجد المبرر المذكور لدعاء النبي (صلى الله عليه و آله) لسلمان كافياً في تبرير ذلك، لأن الذين كانوا ينشدون الشعر، ما كانوا ينشدون من نظمهم، بل كان الناظم واحداً من الناس، و الباقيون يرددون المنظوم بطريقه معينه و وقع خاص يتناسب مع الحاله التي يعيشونها، و قد كان باستطاعه سلمان أن يردد ذلك النشيد مع المردين، من دون حاجه إلى أن ينظم شعراً، كما صورتها لنا الروايه.

و ثانياً: إن ما ذكره في سبب إطلاق هذه الكلمه النبويه الخالده في حق سلمان: (سلمان منا أهل البيت) لا يعدو أن يكون أمراً عادياً بل و تافهاً.

لأن معناه: أن تكون قضيه الاستفاده من قوه سلمان البدنيه موضع تنافس الفرقاء، و قد حسم النبي (صلى الله عليه و آله) نزاعهم، بتحويل سلمان إلى القسم الذي كان يعمل هو (صلى الله عليه و آله) و أهل بيته فيه فكانت تلك الكلمه إيذاناً بذلك.

و هذا معناه: أن تفقد هذه الكلمه قيمتها و أهميتها. و هكذا الحال بالنسبه لحكاية إطلاق لسان سلمان بالشعر، ثم تنافس الفرقاء فيه فجعله ٣.

١- راجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٨٥ و قاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٤ و الدرجات الرفيعه ص ٢١٨ و نفس الرحمن ص ٤٣.

(صلى الله عليه وآله) جزءاً من فئه تحسن التكلم بالعريبيه، و تحب أن تكرمه و تشجعه، لأنه نطق بلغتها.

إذن .. فلم يكن هذا الوسام لسلمان قد استحقه لعلمه، أو لدينه أو لمواقفه، أو لغير ذلك من أمور تدخل فى نطاق صفات و أعمال الخير و الصلاح فيه.

و بعد هذا: فلا يبقى مبرر لما نلاحظه فى كلمات الأئمه (عليهم السلام) من تركيز على هذا الوسام، و تأكيد لواقعيته و مصداقيته فيه رضوان الله تعالى عليه.

كما لا معنى لاستدلال ابن عربى على عصمه سلمان بهذه الكلمه المأثوره عن النبى (صلى الله عليه وآله) فى حقه، باعتبار أن أهل البيت معصومون مطهرون، بنص آيه التطهير (١).

الصحيح فى القضيه:

و لعل الصحيح فى القضيه، الذى ينسجم مع وقائع التاريخ و مع ما عهدناه من سياسات انتهجها الحكام طيله عشرات السنين هو النص التالى:

(إن سلمان الفارسى رضى الله عنه دخل مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم، فعظموه، و قدموه، و صدروه، إجلالاً لحقه، و إعظاماً لشيبته، و اختصاصه بالمصطفى و آله.

فدخل عمر، فنظر إليه فقال: من هذا العجمى المتصدر فيما بين العرب؟! يه

فصعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) المنبر، فخطب، فقال: إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى. سلمان بحر لا يتزف، و كتر لا ينفد، سلمان منا أهل البيت (١).

و هكذا يتضح: أن سلمان المحمدي قد تعرض لمحاولة تحقير و امتهان، من قبل رائد (التمييز العنصرى) بعد وفاه النبى (صلى الله عليه وآله) الذى شاع و ذاع عنه أنه لم يحب تزويج سلمان. و كان يكره الفرس و يمقتهم و قد حرمهم من أبسط الحقوق (٢) فانتصر النبى (صلى الله عليه وآله) لسلمان، و أدان المنطق الجاهلى، و التمييز العرقى و العنصرى، بصوره صريحه، و قويه و قاطعه.

تقتلك الفئة الباغية:

روى فى صحيح مسلم، عن أبى قتاده: (أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعمار حين جعل يحفر الخندق، فجعل يمسح رأسه و يقول:

بؤس ابن سميّه، تقتلك الفئة الباغية) (٣). ٢.

-
- ١- الإختصاص ص ٣٤١ و نفس الرحمن فى فضائل سلمان ص ٢٩ و البحار ج ٢٢ ص ٣٤٨.
 - ٢- قد تكلمنا حول سياسات عمر تجاه غير العرب و مع سلمان فى كتابنا: سلمان الفارسى فى مواجهه التحدى فراجع.
 - ٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ عن صحيح مسلم و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٢.

لكن القمى قد فصل ذلك حيث قال: (قوله: يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا .. (١))، نزلت في عثكن (عثمان) يوم الخندق. و ذلك أنه مر بعمار بن ياسر، و هو يحفر الخندق، و قد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع كفه على أنفه و مر، فقال عمار:

لا يستوى من يبتنى المساجدا يظل (فيصلى) فيها راكعا و ساجدا

كمن يمر بالغبار حائدا يعرض عنه جاحدا معاندا فالتفت إليه عثكن، فقال: يا ابن السوداء إياى تعنى؟

ثم أتى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال له (أى عثمان): لم ندخل معك لتسبب أعراضنا.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه و آله): قد أقلتك إسلامك فاذهب.

فأنزل الله: يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا .. الخ .. (٢).

و قد تقدم فى جزء سابق حين الحديث عن بناء مسجد المدينة: أن ذلك قد حصل فى تلك المناسبة فى قضيه حصلت بين عمار و عثمان.

و نقول:

إننا لا نريد أن ندخل فى موضوع تحقيق الحق فى كون ذلك قد حصل فى البناء الأول للمسجد أو الثانى، أو فى حفر الخندق، فإن تحقيق ذلك ليس له كبير أهميه ما دام أن أصل القصة، و كلمه الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) مما لا شك فيه، و لا شبهه تعتريه، و قد أجمع عليه المحذثون^٣.

١- الآيه ١٧ من سوره الحجرات.

٢- تفسير القمى ج ٢ ص ٣٢٢ و البحار ج ٢٠ ص ٢٤٣.

و المؤرخون، بل و المسلمون قاطبه و أصبح من المسلمات. غير أننا نذكر القارئ هنا بأمر هام، و هو:

أن طريقه النبي (صلى الله عليه و آله) و الأئمه الأطهار (عليهم السلام) فى التربيه و التعليم لها مرتكز أساس، و هو الإعتماد على بلوره المعايير و المنطلقات الأساسيه فى النهج الفكرى و العقيدى للناس بصوره عامه، ثم تفويض أمر اختيار ما يتناسب مع تلك المعايير، و يتطابق مع هاتيك الضوابط إلى الناس أنفسهم، فنجد الناس مثلاً هم الذين يقومون بعملية التعرف على الإمام، بما لديهم من ضوابط و معايير يمارسون تطبيقها بأنفسهم، و توصلهم إلى الإمام الحق، بصوره قويمه و سليمه، من دون حاجه إلى التنصيص عليه بالاسم، كما كان الحال حينما أوصى الإمام الصادق (عليه السلام) إلى خمسة أحدهم الإمام الكاظم (عليه السلام)، حيث عرف الشيعة أن الإمام لا يمكن أن يكون ذلك الحاكم الظالم، كما لا يمكن أن يكون هو زوجة الإمام، ثم لا يمكن أن يكون هو الولد الأكبر مع إشراك الأصغر فى الوصيه (١).

و الأمر فى قصه عمار أيضاً من هذا القبيل، حيث قدم النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) للناس آئذ ضابطه يعرفون بها فريق البغاه، و يميزونه عن غيره، دون أن يصرح (صلى الله عليه و آله) بالاسم أو بالأسماء، الأمر الذى قد يحمل معه سلبات كثيره و متنوعه بشكل أو بآخر ..

و من الواضح: أن لهذه التربيه الفكرية و لصياغه الشخصيه الإسلاميه ٧.

بهذه الطريقه آثارا إيجابيه كبيره و هامه جدا. و ذلك لما ينتج عنها من حصانه و مناعه لدى الإنسان المسلم فى مقابل محاولات الخداع و التضليل التى ربما يتعرض لها من قبل أهل الدعوات الفاسده و المشبوهه، و يصبح فى مأمن من الوقوع فى شركهم التى ينصبونها له و لأمثاله ..

كما إنها تجعله قادرا على نقل المفاهيم التى يؤمن بها إلى الآخرين بالطريقه المنطقيه و المقبوله و المعقوله.

ثم هى تمكنه من أن ينأى بنفسه عن أن يكون من الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق، و يسيرون فى ركاب كل قبيل، دون وعى أو تأمل فى الأمور و فى عواقبها ..

أضف إلى ذلك: أنها تخرج الإنسان المسلم عن دائره التلقين الأعمى، ليصبح قادرا على التفاعل مع الفكره، أو مع أيه قضيه تعرض عليه، و لكن لا- من موقع التأثر و الانفعال العاطفى أو اللاشعورى، بل من موقع التأمل و التروى و الوعى و الضبط و الانضباط بكل ما لهذه الكلمات من معنى دقيق، و عميق.

و هذا بحث هام و متشعب، يحتاج إلى توفر تام، من أجل حشد الشواهد و الدلائل الكثيره و المتنوعه للاستفاده منها كطريقه عمل و منهج حياه، و سبيل صلاح و إصلاح، إن شاء الله تعالى ..

الفصل الرابع: كرامات في نطاق السياسة الإلهية

أشاره

مما سبق:

قد تحدثنا فى الجزء السابق، فى غزوه ذات الرقاع: عن معرفه الأنبياء و الأوصياء بلغات البشر، بل منطق الطير و سائر الحيوانات. و تحدثنا أيضا هناك: عن الكرامات التى نقلت عن نبينا الأكرم (صلى الله عليه و آله) و عن الأئمة الأطهار و عن الأنبياء (عليهم السلام) السابقين و غيرهم، مما أشار القرآن إلى بعض منه أيضا.

و قد ذكرنا ثمه توضيحا لا- غنى عن المراجعة إليه، من أجل جعل الأمور فى نصابها فى نطاق فهم هذه الكرامات و المعجزات التى سجل لنا القرآن و التاريخ و الحديث منها العشرات و المئات فى مختلف الشؤون و المجالات.

فترجو من القارئ الكريم: أن لا- ينسى مراجعه ما كتبناه هناك، و بدون ذلك، فإن فهم هذه القضايا ليس فقط سوف يكون ناقصا، و إنما قد يكون غير واقعى و لا دقيق.

الكرامات و المعجزات فى الخندق:

لقد كان المسلمون يواجهون يوم الخندق أعظم تحد و اجهوه سواء من حيث العدد، أو من حيث العده، بالإضافة إلى حاله الحصار التى يعانون منها.

ثم يتعاضم إحساسهم بالخطر الذى يتهددهم: وهم يجدون أمارات الغدر و الخيانه قد ظهرت، لدى أولئك الذين كان لهم معهم عهود و موثيق، فلم تعد العهود قادره على إعطاء أدنى شعور بالأمن و السكون إليها. كما أن كل ما عمله النبى و المسلمون من إحسان، و ما اتخذوه من مواقف إنسانيه قد اتضح أنه لم يمنع من تلقوا ذلك الإحسان من أن يحالفوا العدو، و ينقلبوا على ما أحسن إليهم ليقابلوه بالإساءه، فيكتشف المسلمون أنهم مجموعه من الذئاب، و السباع الشرسه، التى تفقد كل المعانى الإنسانيه، و كل الشيم التى يعتز بها الإنسان العربى، و يفتخر بها.

ثم هناك وجود المنافقين فيما بين المسلمين، الذين كانوا ينخرون فى جسم الأمة، و يعملون على تمزيقها، و زرع الشكوك القاتله، و إيجاد الريب المهلك فيها.

فتأتى هذه الكرامات: لتكون صمام الأمان لهذه القلوب الخائفه، و المفجوعه، و ليربط الله بها على قلوبهم، و لتزيد فى يقينهم و بصيرتهم، و تشد من عزيمتهم.

قال الشيخ محمد أبى زهره: (إن الآيات الماديه قد تؤثر فى أولئك الماديين الحسينيين، و خصوصا إذا كانت فى موطن الفزع، فإنها إذا جاءت من غير سبب يألفونه و يعرفونه، فإنها قد تأخذ عقولهم إلى التفكير السليم، و تخلعها من الوثنيه، إذ يدخل إليها نور الحق شيئا فشيئا، و النور كلما دخل أشرق، و إذا أشرق اتجهوا إلى الحق و طلبوه) (١).٤.

و يلاحظ هنا: أن بعض هذه الكرامات قد اقترن بإخبار النبي (صلى الله عليه و آله) للمسلمين بأن البلاد سوف تفتح عليهم حتى الإمبراطوريات العظمى التي كانت تحكم العالم آنئذ، و هما إمبراطوريتا الروم و فارس.

و إذا جاء الخبر من الصادق المصدق، الذى يعتقد المسلمون أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فى حالة مواجهه الأخطار الكبرى و المصيريه، فإنه يكون أكثر رسوخا فى النفس، و أعظم أثرا فى إثارة الهمم و شحذ العزائم.

و نحن نشير هنا: إلى طائفه من هذه الكرامات، بقدر ما يفسح لنا به المجال، فنقول:

نبوءه صادق له للنبي صلى الله عليه و آله:

يقول المقرئى و غيره: (و ضرب بالكرز، فصادفت حجرا، فصل الحجر (أى ترددت صوته فى صليل الفأس)، فضحك رسول الله (صلى الله عليه و آله).

فقال: مم تضحك يا رسول الله!؟

قال: أضحك من قوم يؤتى بهم من المشرق فى الكبول (الكبل القيد العظيم)، يساقون إلى الجنه و هم كارهون (١).

و الظاهر: أن هذا إشاره لأهل فارس.

و من الواضح: أن هذه البشاره منه (صلى الله عليه و آله) للمسلمين إنمار.

١- إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٣ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٤٩ و كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٥ عن ابن النجار.

يراد منها أن تعطيهم انطبعا بصوره عفويه و تلقائيه بأن هذه الدعوه مستمره و باقيه، فلا يهولنهم جمع قريش و الأحزاب لهم:

فما ذلك إلا: (سحابه صيف عن قليل تقشع).

كرامه أخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله:

عن جابر بن عبد الله قال: أصبح الناس كديه يوم الخندق، فضربوا فيها بمعاولهم حتى انكسرت، فدعوا رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فدعا بماء فصبه عليها، فعادت كثيبا أهيل.

و فى نص آخر- ذكره البخارى و غيره:- أنه (صلى الله عليه و آله) قام و بطنه معصوبه بحجر و لبثنا ثلاثه أيام لا ندوق ذواقا الخ .. (١).

و يبدو أن هذه قضيه أخرى غير قضيه سلمان الآتيه التى أخبر (صلى ٨).

١- راجع المصادر التاليه: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ و صحيح البخارى ج ٣ ص ٢١ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٨ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٦٠ و إعلام الورى ص ٩٠ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣٤ و ٢٤٦ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٦ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٧ و ٩٨ عن ابن إسحاق، و أحمد، و البخارى و البيهقى، و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٤ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٩ و حقائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩١ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤١ و البحار ج ٢٠ ص ١٩٨، و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٧٠ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤١٥ و ٤١٦ و ٤٢٣ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٣٥٨ و المختصر فى أخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١١ و جوامع السيره النبويه ص ١٤٨.

الله عليه وآله) المسلمين فيها عن الفتوح التي يفتحها الله عليهم.

قصور الروم و فارس:

و من الأمور التي يذكرها المؤرخون هنا: قضيه الصخره التي واجهت المسلمين و هم يحفرون الخندق و كانت سببا في أن يخبر النبي المسلمين بأخبار غيبه تحققت فيما بعد.

و نحن نذكر النص التاريخي للروايه أولا، ثم نشير إلى بعض ما يرتبط به، فنقول:

كان سلمان، و حذيفه و النعمان بن قرن، و عمرو بن عوف، و سته من الأنصار يعملون في أربعين ذراعا فخرجت عليهم صخره كسرت المعول، فأعلموا النبي (صلى الله عليه و آله) بالأمر.

و في نص آخر يقول فيه عمرو بن عوف: فحفرنا حتى إذا كنا بجنب ذى باب [و الظاهر: أن الصحيح: تحت ذباب] (١) أخرج الله من باطن الخندق صخره مروه كسرت حديدنا، و شقت علينا.

فطلبوا من سلمان أن يخبر النبي (صلى الله عليه و آله) بأمرها؛ فإما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، و إما أن يأمرنا فيها بأمره، فإننا لا نحب أن نتجاوز خطه.

فرقى سلمان إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و هو ضارب عليه قبه ٢.

١- ذباب: جبل بجبانه المدينه. و هو الجبل الذي عليه مسجد الرايه. واسمه ذوناب أيضا. راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢.

تركيه فأخبره فهبط مع سلمان و بطنه معصوب بحجر، و لبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقا، و التسعه على شفير الخندق.

و فى نص آخر عن سلمان، قال: ضربت فى ناحيه من الخندق، فغلظت على و رسول الله (صلى الله عليه و آله) قريب منى، فلما رآنى أضرب، و رأى شدة المكان على أخذ المعول، و ضربها به ضربه فصدعها، و برق منها برق أضاء منها بين لابتى المدينة، فكبر (صلى الله عليه و آله) تكبيره، و كبر المسلمون.

ثم ضربها ثانية فكذلك، ثم الثالثة فكذلك أيضا، فصدعها.

فأخذ بيد سلمان ورقى، فسأله سلمان عن الأمر الذى رآه و رآه المسلمون، و عن تكبير النبى (صلى الله عليه و آله)، فأخبرهم (صلى الله عليه و آله): أنه بالبرقه الأولى أضاءت له قصور الحيره و مدائن كسرى، و أخبره جبرئيل بأن أمته ظاهره عليها.

و فى الثانية أضاءت له القصور الحمر من أرض الروم، و أخبره جبرئيل بأن أمته ظاهره عليها.

و فى الثالثة أضاءت له قصور صنعاء، و أخبره جبرئيل: بأن أمته ظاهره عليها فابشروا، فاستبشر المسلمون و قالوا:

الحمد لله موعد صدق، و وعدنا النصر بعد الحصر.

فقال المنافقون، و منهم معتب بن قشير: ألا تعجبون من محمد؟! يمنيكم و يعدكم الباطل، و يخبركم بأنه يبصر من يثرب قصور الحيره، و مدائن كسرى، و أنها تفتح لكم، و أنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا، فنزل القرآن: وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١) الخ .. (٢) د.

١- الآية ١٢ من سورة الأحزاب.

٢- للرواية نصوص مختلفه. فراجعها على اختلافها في المصادر التاليه: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢ و ٤٨٣ و راجع ص ٤٨٤ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٨ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٧ و فتح الباري ج ٧ ص ٣٥٠ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣ و ٤ و ٥ و الأمالى للشيخ الصدوق ص ٢٥٨ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٨ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٣ و ٢١٩ و ١٨٩ و ١٩٠ و ج ١٨ ص ٣٢ و مجمع البيان ج ٢ ص ٤٢٧ و ٣٢٨ و ج ٨ ص ٣٤١ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٣٩٩ و ٤٠٠ و راجع ص ٤١٧ و ٤١٩-٤٢١ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٧٩ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٩ و ٥٢٠، عن أحمد، و الشيخين، و ابن سعد و ابن جرير، و ابن أبى حاتم، و أبى نعيم، و الطبرانى و البيهقى، و تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٦١ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٠ و ٢٢٨ و حدائق الأنوار ج ١ ص ٥٣ و الخصال ج ١ ص ١٦٢ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٦٢ و ١٦٠ و إعلام الورى ص ٩٠ و كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨١ و الروض الأنف ج ٣ ص ٢٧٧ و صحيح البخارى ج ٣ ص ٢١ و الخصائص الكبرى للسيوطى (ط الهند) ج ١ ص ٢٢٨ و الوفاء ص ٦٩٣ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٤٦ و ٢٣٤ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٩ و ٩٧ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و المختصر فى أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ و مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٥٩٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩١-١٩٥ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١١-١١٢ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٤٣٢ و عن سنن النسائى ج ٢ ص ٦٥ و عن ابن إسحاق و راجع: تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٥١ و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٥ و تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٨ و الخرايج و الجرايح ج ١ ص ١٥٢ و فيه أن المسلمين هم الذين رأوا تلك البلاد.

و قيل: إن قائل ذلك هو عبد الله بن أبي بن سلول (١).

و فى نص آخر: أن المنافقين قد قالوا ذلك عند مجيء الأحزاب (٢).

و هذا هو ما نرجحه، لأن سياق الآيات إنما يناسب حاله الشده التى عانى منها المسلمون بعد مجيء الأحزاب، و حدوث الحصار كما سنوضحه إن شاء الله تعالى.

و يظهر من نص للطبرانى: أن هذه القضية قد حدثت بعد قصه دعوه جابر للنبي (صلى الله عليه و آله) و أهل الخندق للطعام (٣) كما سيأتى.

و صرح القمى: بأن هذه القضية قد كانت فى اليوم الثانى من بدء حفر الخندق (٤).

و ذكر نص آخر: أنه (صلى الله عليه و آله) (جعل يصف لسلمان أماكن فارس، و يقول سلمان: صدقت يا رسول الله، هذه صفتها، أشهد أنك رسول الله.

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): هذه فتوح يفتحها الله بعدى يا سلمان (٥).

و عن أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): لما حفر.

١- السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٥.

٢- السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٢.

٣- راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٤ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠١.

٤- تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٨ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٩ عنه.

٥- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٤ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٥٠ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٠.

رسول الله الخندق مروا بكدييه، فتناول رسول الله (صلى الله عليه وآله) المعول من يد أمير المؤمنين (عليه السلام)، أو من يد سلمان، فضرب بها ضربه، فتفرق بثلاث فرق.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لقد فتح الله عليّ في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر.

فقال أحدهما لصاحبه: يعدنا كنوز كسرى وقيصر، و ما يقدر أحدنا يخرج يتخلى (١).

و المراد بأحدهما و صاحبه: هو أبو بكر و عمر، و لم يذكر اسميهما صراحة تقيه.

و نقول:

لكن هذه الرواية: تخالف ما تقدم عن ابن الوردي و زيني و دحلان، من أن الذي قال ذلك: هو معتب بن قشير، أو عبد الله بن أبي.

نص آخر يخالف ما سبق:

و يقولون أيضا: كان عمر بن الخطاب يضرب يومئذ بالمعول فصادف حجرا صلدا، فأخذ (صلى الله عليه وآله) منه المعول، و هو عند جبل بنى عبيد فضربه، فذهبت أولها برقه إلى اليمن، ثم ضرب أخرى فذهبت برقه إلى الشام، ثم ضرب ثالثة فذهبت برقه نحو المشرق، و كسر الحجر عند الثالثة.ى.

١- بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٠ و ٢٧١ عن الكافي.

فكان عمر بن الخطاب يقول: و الذى بعثه بالحق، لصار كأنه سهله (رمل ليس بالدقاق).

و كان كلما ضرب ضربه يتبعه سلمان ببصره، فيبصر عند كل ضربه برقه، فسأله عن ذلك، فأخبره (صلى الله عليه و آله): أنه رأى فى الأولى قصور الشام، و فى الثانية قصور اليمن، و فى الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن. و جعل يصفه لسلمان؛ فصدقه سلمان، و شهد له بالرساله.

فقال (صلى الله عليه و آله): هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدى يا سلمان لتفتحن الشام، و يهرب هرقل إلى أقصى مملكته، و تظهرون على الشام فلا ينازعكم أحد و لتفتحن اليمن، و ليفتحن هذا المشرق، و يقتل كسرى بعده.

قال سلمان: فكل هذا قد رأيت (١).

و نقول:

إن هذا النص - كما ترى - يخالف جميع النصوص الأخرى الواردة فى كتب الصحاح، و المسانيد، و فى كتب التاريخ، التى سجلت لنا هذا الحدث الهام.

حيث إنه يذكر: أن عمر بن الخطاب هو الذى صادف الحجر الصلد، الذى ضربه النبى (صلى الله عليه و آله)، فبرقت البرقات الثلاث.

مع أن النصوص التى أوردتها سائر المصادر المعتبره بالأسانيد الموثوقه: قد ٨.

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٠ و ٤٤٩ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٣ و اشار إليه فى سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٩ و ٥٢٠ عن الواقدي و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٨.

نصت على أن القضية بجميع فصولها و خصوصياتها، و جزئياتها قد كانت مع سلمان الفارسي.

بل قد ذكر النص الذي أوردناه أولاً: أسماء ثلاثه ليس عمر بن الخطاب أحدهم. ثم صرح بأن الستة الباقين جميعهم من الأنصار.

بل إن نفس هذا النص الذي ذكرناه آنفاً، و الذي أراد حشر اسم الخليفة الثاني في هذه القضية، قد عاد و التزم جانب سلمان، بمجرد أن أخذ النبي (صلى الله عليه و آله) المعول ليضرب به ذلك الحجر و لم يعد لعمر فيه أى دور يذكر.

و كل ذلك يعطينا: أن ذكر اسم الخليفة الثاني هنا قد جاء سهواً من الراوى، و لعل ثمه حاجه فى النفس قضيت.

القيادة الحازمه، و الانضباط أساس النجاح:

و بعد، فإن سيطره القيادة النبويه الشريفه على الموقف و إشرافه (صلى الله عليه و آله) على كل تحرك و تصرف، و استتباب حاله الانضباط التام لدى الفئات التى كانت تعمل معه و تحت قيادته، له تأثير كبير فى حسم الموقف، وفقاً لما ترسمه القيادة و يحقق أهدافها.

و قد تجلت الهيمنه القياديه للرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) فى أكثر من مجال فى غزوه الأحزاب.

و قد قرأنا آنفاً: أنهم حين ظهرت الكديه و الصخره، قالوا: إنهم ما كانوا يتجاوزون ما خطه رسول الله (صلى الله عليه و آله) أبداً، رغم أن المعدل قريب.

و تقدم أيضا: أن أحدا لم يكن يترك موضعه و عمله لحاجه يريد لها إلا أن يأذن له النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله). و هذا هو ما طالب به أمير المؤمنين (عليه السلام) بعض أصحابه فى صفين، حين قال له: طاعه إمامك أو جب عليك من مبارزه عدوك، و نجد أمثال هذه الكلمه فى مغزاها و مرماها الكثير فى مختلف المواضع و المواقع.

و هذا الانضباط هو الضمانه للنجاح فى أيه خطه ترسم، إذ إن القبول بالانساق وراء الاجتهادات المختلفه يفقد القياده الثقه بإمكانيه تحقيق أيه خطه تضعها للمواجهه، ثم هو يفسح المجال لتمرير بعض الخدع التى تفيد الأعداء، و تهيب لهم الظرف الملائم لتسديد ضرباتهم الموجهه، و الخطيره فى أحيان كثيره.

أضف إلى ذلك: ما يمكن أن ينشأ عن ذلك من منافسات ثم من نزاعات، إلى أن ينتهى الأمر إلى التراشق بالتهم و تصدع الصف الواحد، الذى يفترض أن يكون كالبنيان المرصوص.

و لم ينس المسلمون بعد، ما أصابهم فى حرب أحد حيث تسبب الرماه و الذين تركوا مراكزهم على ثغره الجبل بكارثه حقيقيه منى بها المسلمون كما سبق بيانه.

و مهما يكن من أمر: فإن الانضباط فى غزوه الأحزاب، و التقيد بأوامر النبي الأعظم (صلى الله عليه و آله) قد هيا الفرصه لتحقيق النجاح الكبير الذى غير مسار تاريخ المواجهه مع المشركين، حتى قال النبي (صلى الله عليه و آله): الآن نغزوهم و لا يغزوننا كما سيأتى ذلك مع مصادره فى الفصل الأخير من هذا الباب إن شاء الله.

نقول هذا رغم أننا نجد المنافقين: يحاولون التملص من تحمل مسؤولياتهم، و يختلقون الذرائع و الحجج المختلفه لذلك، و لكن ذلك كان يتم وفقاً لقوانين الانضباط أيضاً، فقد كانوا يورون بالضعيف من العمل، و كانوا يستأذنون لحاجات وهميه، و ما إلى ذلك، و لكنه كله كان تحت سمع و بصر القيادة و فى نطاق علمها، و سيطرتها على الموقف كما هو معلوم.

مدائن كسرى و قصور الروم و صنعاء:

إننا حين نقرأ هذه القضية نشعر: أن المسلمين كانوا يواجهون أكبر تجمع لقوى الشرك، و يتهيأون للدفاع عن وجودهم و حياتهم و هم يشعرون بعظيم الخطر الدايم، و تختلف فى نفوسهم عوامل اليأس تاره، و عوامل الرجاء تاره أخرى.

و لعل المنافقين، و من وراءهم اليهود، قد أسهموا بتضعيف عوامل الرجاء بما أشاعوه و أذاعوه مما يؤكد و يقوى حاله التشاؤم إلى درجه اليأس لدى الكثيرين ممن لم ترسخ لهم بعد قدم فى الإيمان و التسليم، و التوكل.

فتأتى قصه رؤيه قصور الحيره و الروم و صنعاء، و مدائن كسرى حينما ضرب النبى (صلى الله عليه و آله) تلك الصخره المستعصيه فى الخندق ضربات ثلاثا- تأتى- لتعيد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم و بربهم، و تطلعاتهم و نظراتهم القويه و الثاقبه للمستقبل، و يبتعد حينئذ تلقائيا شبح الخوف المذل و الاستسلام الخانع لعوامل اليأس، التى لو تمكنت و ترسخت فيهم لجرتهم إلى مزلق الذل، و لكان ذلك سببا فى ذهاب ريحهم و سقوطهم فى حمأ الهوان، و البوار.

إذ إن الحادثه قد استنبطت: أن ما هم فيه ما هو إلا (سحابه صيف عن قريب تقشع) و أنهم سيخرجون من هذه الضائقه التي يواجونها مرفوعى الرأس، ليواصلوا مسيرتهم الظافره من نصر إلى نصر، و من فتح إلى فتح، حتى ينتهى بهم الأمر إلى فتح الفتوح، حيث تفتح لهم البلاد، و تدخل العباد فى دينهم أفواجا، و يملكون كنوز كسرى و قيصر، حسبما أخبرهم به الرسول (صلى الله عليه و آله) منذ فجر دعوته فى مكه.

و مما يدخل فى هذا السياق: ما روى من أنه (صلى الله عليه و آله) قال يوم الخندق لأصحابه: لئن أمسيتم قليلا، لتكثرن، و إن أمسيتم ضعفاء لتشرقن، حتى تصيروا نجوما يهتدى بكم، و بواحد منكم (١).

الأمل بالنصر:

و ذلك كله يوضح لنا: سر اطمئنان المؤمنين بنصر الله لما رأوا الأحزاب و قد أحاطوا بالمدينه، و ضيقوا عليها الخناق، فلم يnehزموا أمام كل تلك الحشود، و ما وهنوا لما أصابهم، بل واجهوا ذلك بكل صلابه عزم، و بكل تصميم قاهر، تحدث الله عنه سبحانه حينما قال:

وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢) (٣).

أما المنافقون، فاتخذوا ما أخبر به النبى (صلى الله عليه و آله) ذريعه ٥.

١- الخرائج و الجرائح ج ١ ص ٦٦.

٢- الآيه ٢٢ من سوره الأحزاب.

٣- فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٥.

للمزيد من السخريه، و التندر و الاستهزاء، الذى يعبر عن انهزامهم النفسى و الروحى أمام القوى الغازيه قال تعالى: وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١).

كرم و كرامه:

و قضيه وليمه جابر فى الخندق تروى بنصوص مختلفه نلخصها فيما يلى:

قال جابر: رأيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يحفر، و رأيتة خميصا و رأيت بين عكنه الغبار؛ فاستأذن من النبي (صلى الله عليه و آله) أن يذهب إلى بيته، فأذن له فعاد إلى امرأته- و اسمها سهيله بنت مسعود الأنصاريه- فاتفق معها على أن يصلحا ما عندهما، و هو مد من شعير، و عناق (شاه) أو شويهه غير سمينه. ثم يدعو النبي (صلى الله عليه و آله) للطعام.

فذهب ليدعوه مع رجل أو رجلين؛ فسأله النبي (صلى الله عليه و آله) عما عنده فأخبره؛ فقال (صلى الله عليه و آله): كثير طيب.

ثم دعا أهل الخندق جميعا، و قال لهم: إن جابرا قد صنع لهم سورا؛ فأقبلوا معه.

قال جابر: فقلت: و الله إنها الفضيحه.

فأتيت المرأه فأخبرتها (أى بأنه (صلى الله عليه و آله) قد جاءها بالجند أجمعين، أو قد جاءك رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أصحابه أجمعون).

فقلت: أنت دعوتهم، أو هو دعاهم؟ ب.

فقلت: بل هو دعاهم.

قالت: دعهم، هو أعلم.

و في نص آخر: أنها سألته إن كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد سأله عما عنده.

فأجابها بالإيجاب، فقالت له ذلك.

و ذكرت نصوص أخرى: أنه (صلى الله عليه و آله) أقبل و أمر أصحابه، فكانوا فرقا عشرة عشره، ثم قال اغرفوا و غطوا البرمه، و أخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه. ففعلوا، فجعلوا يغرفون، ثم يغطون البرمه، ثم يفتحونها فلا- يرون أنها نقصت شيئا، و يخرجون الخبز من التنور، ثم يغطونه فما يرونه ينقص شيئا؛ فأكل الجميع حتى شعوا.

و قال (صلى الله عليه و آله): كلوا و اهدوا، فإن الناس أصابتهم مجاعه شديده فأكلنا و أهدينا.

و في نص آخر: فلم نزل نأكل و نهدي يومنا ذلك أجمع، فلما خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) ذهب ذلك.

و لهذه الروايه: نصوص تختلف من حيث التفصيل و الإختصار، لم نر حاجه إلى إيرادها، و يمكن لمن يريد ذلك أن يراجع المصادر التي في الهامش (١). ٣-

١- راجع النصوص المختلفه لهذه القضيه في: المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٦-١٩٠ و تفسير القمي ج ٢ ص ١٧٨ و ١٧٩ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٩ و ٢٢٠ و ١٩٨ و ١٩٩ و ج ١٨ ص ٢٦ ج ٧ و ص ٣٢ حديث ٢٥ و دلائل النبوه للبيهقي ج ٣ ص ٤١٦ و ٤١٥ و ٤٢٧ و مستدرک الحاكم ج ٣-

و قد صرحت بعض المصادر: بأن الذين أكلوا عند جابر كانوا ألف رجل، وهم جميع أهل الخندق.

وقيل: كانوا ثلاث مئه، وقيل: ثمان مئه، وقيل: تسع مئه (١).

و فى بعض النصوص: حتى شبع المسلمون كلهم.٢.

١- البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٨ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ عن البخارى و ابن أبى شيبه و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢١ و ٥٦٤ و دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٣٦٠ و الشفاء ج ١ ص ٢٩١ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤٢٤ و ٤٢٦ و عن فتح البارى ج ٧ ص ٣٩٥، و راجع: تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٦١ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٩ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٦١ و إعلام الورى ص ٩٠ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٢٣٣ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣٤ و ٢٣٥ و المختصر فى أخبار البشر ج ١ ص ١٣٤ و ١٣٥ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٤ و حدائق الأنوار ج ١ ص ٥٣ و ٢١٢ و ج ٢ ص ٥٩٢.

زاد ابن شهر آشوب: فلم يكن موضع للجلوس، فكان يشير إلى الحائط، و الحائط يبعد، حتى تمكنوا، فجعل يطعمهم بنفسه (١).

و فى نص آخر: أنه (صلى الله عليه و آله) قال: هل دلتم على رجل يطعمنا أكله؟

فدلوه على رجل، فذهب إلى بيته، و لكنه كان فى الخندق يعالج نصيبه، فأرسلت إليه امرأته، فأقبل يسعى، فذبح لهم جديا كان عنده فأكل منه عشره، ثم ذهبوا، و جاء عشره آخرون فأكلوا.

(ثم قام (صلى الله عليه و آله) و دعا لربه البيت، و سمت عليها، و على أهل بيتها) (٢).

قضية أخرى فيها كرامه لرسول الله صلى الله عليه و آله:

و أرسلت أم متعب (أو أم عامر) الأشهلية بقعبه فيها حيس (٣) إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و هو فى قبته مع أم سلمه، فأكلت حاجتها، ثم خرج بالقعبه فنادى مناديه: هلم إلى عشائه، فأكل أهل الخندق حتيت.

-
- ١- دلائل النبوه لأبى نعيم ص ٣٦٠ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٨ و راجع: الخرائج و الجرائح ج ١ ص ١٥٤ و ١٥٥ و البحار ج ١٨ ص ٣٢ حديث ٢٥ و المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٠٣.
 - ٢- السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٣ و ١٩٤ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠١ و ١٠٠ عن الطبرانى، و راجع: فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٥.
 - ٣- الحيس: طعام متخذ من التمر و السمّن، و الدقيق و الفتيت.

نهلوا، و هي كما هي (١).

كرامه أخرى للنبي صلى الله عليه وآله:

و بعث أبو طلحه إنسانا بأقراص من الشعير تحت إبطه، ففتها (صلى الله عليه وآله) و أطمع منها ثمانين (٢).

يطعم الجيش كله حفنه من تمر:

و مما ذكره في هذا السياق: أن ابنه بشير بن سعد (٣) جاءت بحفنه من تمر إلى أبيها و خالها عبد الله بن رواحه؛ فرآها رسول الله (صلى الله عليه وآله) و هي تلتمس أباها و خالها، فأخذ ذلك منها في كفه فما ملأتها، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب.

ثم أمر جعال بن سراقه، فصرخ في أهل الخندق: أن هلم إلى الغداء؛ فاجتمعوا، فجعلوا يأكلون منها، و جعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، و أنه ليسقط من أطراف الثوب (٤) هـ.

١- إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٥ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٢ عن ابن عساكر، و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣٣٠.

٢- حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٢ و سنن الدارمي ج ١ ص ٢١ و ٢٢ (المقدمه).

٣- هي أخت النعمان بن بشير.

٤- راجع: السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢١ و ٥٢٢ عن أبي نعيم، و ابن إسحاق و الإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٠ و ١٦١ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٠ و ١٦١ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٥، و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٠ و ١٩١ و البدايه-

كرامه أخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله:

عن معاوية بن الحكم قال: لما أجرى أخى على بن الحكم فرسه فصدق جدار الخندق ساقه، فأتينا به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) و آله) على فرسه، فقال: بسم الله، و مسح ساقه، فما نزل عنها حتى برئ (١).

بين نظرتين:

ألف: و يلفت نظرنا فى قصه جابر: أن جابراً قد تصرف وفق ما وجد أنه متوفر لديه من معطيات ماديته، حيث رأى أن ما عنده لا يكفى إلا لعدد يسير من الأشخاص، و لكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكن ليجعل نفسه أسيره للأسباب الماديته فى حدودها الظاهره.

بل تجاوز ذلك ليتعامل مع مسبب الأسباب، و مفيض الوجود مباشره، و هو الله سبحانه، و لم يكن الله ليخل على نبيه (صلى الله عليه وآله) فى وقت يحتاج فيه هؤلاء الناس إلى الشعور برعايه الله سبحانه لهم.

و حتى مع إغماض النظر عن ذلك كله، فى الأسوه و القدره، لم يكنى.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٢ عن الطبرانى، و أبى القاسم البغوى.

ليميز نفسه عن الناس، بل هو سوف يواسيهم بنفسه فيما قل و كثر، و فيما صغر و كبر. و ذلك هو ما تمليه عليه التعاليم و المبادئ التي جاء بها من عند الله جل و علا.

و الذى يستأثر بإعجابنا العميق هو تلك اللفته الواعيه من زوجه جابر، و التي تظهر لنا أيضا مدى إيمان هذه المرأه و مدى تسليمها لرسول الله (صلى الله عليه و آله). كما أنها تحكى لنا طبيعه و نوعيه و سنخ اعتقادها بهذا الرسول الكريم و العظيم.

و ذلك حينما أخرجت زوجها جابرا من حيرته المحرجه بسؤالها له: إن كان النبى (صلى الله عليه و آله) قد علم بمقدار الطعام المتوفر عندهم، فأجابها بالإيجاب، فقالت: الله و رسوله أعلم.

و من يدري فلعل النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) قد عرف أن هذا الإخلاص من جابر و زوجته، ثم الإيثار منه (صلى الله عليه و آله)، و حبه لأصحابه، و إقدامه على تقسيم هذا القليل من الطعام معهم، ثم إخلاص صحابته الأخيار فى دفاعهم عن أنفسهم، و عن كرامتهم، و شرفهم و دينهم، و نبيهم، و هذه المتاعب الكبيره، و المصاعب الخطيره التي تواجههم، بالإضافة إلى أن الله سبحانه لن يخيب نبيه و وليه و صفيه،

نعم .. إن ذلك كله إذا اقترن بأن اللطف الإلهى لا بد أن يظهر فى هذه الفتره العصبيه بالذات ليطمئن المؤمنون إلى نصر الله سبحانه، فإن زياده الطعام الذى قدمه جابر، حتى ليأكل المسلمون كلهم حاجتهم منه، تصيح أمرا مقبولا و معقولا، و فى محله ..

التزوير الرخيص:

زعم الشعراني: (أنه شاهد شيخه الشيخ محمد الشناوى، و قد جاء من الريف، و معه نحو خمسين رجلا، و نزل بزوايه شيخه الشيخ محمد السروى، فتسامع مجاورو الجامع الأزهر بمجيئه، فأتوا لزيارته، فامتألت الزاويه، و فرشوا الحصر فى الزقاق.

ثم قال لنقيب شيخه: هل عندك طبيخ؟!

قال: نعم، الطبيخ الذى أفعله لى و لزوجتى.

و قال له: لا تعرف شيئا حتى أحضر.

ثم غطى الشيخ الدست بردائه، و أخذ المغرفه، و صار يغرف إلى أن كفى من فى الزاويه، و من فى الزقاق. و هذا شىء رأيتُه بعينى (١).

و نحن إذا قارنا بين هذا الكلام و بين قضيه وليمه جابر، فإننا نجد أن هذا النص أراد أن يعطى الشناوى نفس الكرامه التى ثبتت لرسول الله (صلى الله عليه و آله) حين استجاب لدعوه ذلك الرجل الصالح (رحمه الله).

و الذى يستوقفنا هنا: ثقه الشناوى بحصول الكرامه له، و كأنه يمارس عملا عاديا لا يشك فى انتهائه إلى النتيجة التى يريد لها. تماما كما كان الحال بالنسبه للنبي (صلى الله عليه و آله) فى الخندق.

و ليت شعرى لماذا لم يشتهر أمر الشناوى فى الآفاق، و تسير به الركبان من بلد إلى بلد، و يصبح قبره كقبر النبي (صلى الله عليه و آله) فى المدينه المنوره تشد إليه الرحال، و تقصده النساء و الرجال من أقصى بلاد المعموره؟ ١.

مع أننا نجدهم يقصدون زياره قبور أناس صالحين لم تظهر لهم حتى و لو كرامه واحده من هذا القبيل!!

الجهد، والضعف و الجوع:

اشاره

قد تحدثت النصوص التي سلفت في هذا الفصل، و في غيره من الفصول، عن المعاناه التي كان يتعرض لها المسلمون بسبب شحه الأقوات في تلك السنه بالذات حيث: (كان المسلمون قد أصابهم مجاعه شديده، و كان أهلهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه) (١).

و ذكر نص آخر: أن حفر الخندق كان في زمان عسيره، و عام مجاعه حتى أن الأصحاب كانوا يشدون على بطونهم الحجر من الجهد و الضعف الذى بهم من الجوع، و يقول البخارى: إنهم لبثوا ثلاثه أيام لا يذوقون ذواقا، و كذا النبى (صلى الله عليه و آله) (٢).

و فى نص آخر: (يأتون بملء كفى شعير، فيصنع لهم بإهاله سنخه توضع بين يدي القوم، و القوم جياع، و هى بشعه فى الحلق، و لها ريح متن) (٣).٧.

١- إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٥ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٧٦.

٢- راجع مصادر حديث جابر الذى أوردناه فى فقره: كرم و كرامه. و راجع أيضا: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣٢٩ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٢.

٣- راجع: السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٨٤ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ٩٦ عن البخارى، و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٤٥ و صحيح البخارى ج ٣ ص ٢٠ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٧ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤١٢ و عن فتح البارى ج ٧ ص ٣٩٧.

و يقول أبو طلحه: (شكونا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) الجوع، و رفعنا عن بطوننا عن حجر، حجر، فرفع رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن بطنه حجرين) (١).

و يقول نص آخر: (و كانوا فى قر شديد و جوع) (٢).

و عن على أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: (كنا مع النبي (صلى الله عليه و آله) فى حفر الخندق إذ جاءته فاطمه، و معها كسره خبز، فدفعتها إلى النبي (صلى الله عليه و آله) و قال النبي عليه و على آله الصلاة و السلام: ما هذه الكسره؟!)

قالت: قرصا خبزتها للحسن و الحسين، جئتك منه بهذه الكسره.

فقال النبي (صلى الله عليه و آله): أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث (٣).

و لنا هنا وقفات:

الأولى: النبي صلى الله عليه و آله و صوم الوصال:

لقد ذكروا: أن النبي (صلى الله عليه و آله) نهى عن صوم الوصال، فقالوا له: ما لك تواصل يا رسول الله؟!

قال: إني لست مثلكم، إني أبيت يطعمنى ربي و يسقيني. ٢.

١- السيره النبويه للندوى ص ٢٨٢ عن الترمذى.

٢- سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٩.

٣- عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٤٠ و ذخائر العقبى ص ٤٧ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٥ و صحيفه الإمام الرضا (عليه السلام) ط دار الأضواء ص ٧١ و ٧٢.

قال ابن حبان: و يستدرك بهذا الحديث على بطلان ما ورد: أنه (صلى الله عليه و آله)، كان يضع الحجر على بطنه، لأنه كان يطعم و يسقى من ربه إذا واصل. فكيف يترك جائعا مع عدم الوصال، حتى يحتاج إلى ربط الحجر على بطنه؟!

قال: و إنما لفظ الحديث: الحجز، بالزاي، و هو طرف الإزار. فصحفوا، و زادوا لفظ الجوع.

و أجيب: بأنه (لا منافاه، كان (صلى الله عليه و آله) يطعم و يسقى إذا واصل فى الصوم، أى يصير كالطاعم و الساقى، تكرمه له. و لا- يحصل له ذلك دائما، بل يحصل له الجوع فى بعض الأحيان، على وجه الابتلاء الذى يحصل للأنبيا، عليهم الصلاة و السلام، تعظيما لثوابهم) (١).

أضف إلى ذلك: أن توجه ابن حبان هذا، و دعواه تصحيف كلمه الحجز بالحجر لا تتلاءم مع ما تقدم عن على (عليه السلام)، و لا مع ما تقدم عن جابر فى قصه اندفاعه لتهيئه طعام للنبي (صلى الله عليه و آله) لما رآه خميصا، و لا مع ما ذكر فى قصه سلمان حينما طلب من النبي (صلى الله عليه و آله) أن يعالج الصخره.

التانيه: العزم و الثبات:

و يلفت النظر هنا: أنه رغم كل ما كان يعانيه المسلمون من جهد و ضعف و جوع، و برد- كما يقولون- فإن ذلك لم ينل من عزمهم، و لم يؤثر ٩.

على إرادتهم، ولا هزمهم روحيا. بل استمروا فى تصميمهم على تنفيذ قرارهم بالمواجهه، و لم يحملهم ذلك على الدخول فى أى مساومه، و تقديم أى تنازلات.

و لا- شك: فى أن للعامل الإيمانى دوره الحساس فى هذا المجال، و لعل العامل الأهم هنا: هو توفر القياده الحكيمه و الواعيه و الحازمه، المرتبطه بالله سبحانه، المتمثله بشخصيه النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله).

الثالثه: الخصاصه و الجوع:

قد تعودنا من أولئك الذين يتعاقبون على كراسى الحكم: أن يكونوا من أصحاب الأموال الطائله، و أهل الثراء الفاحش، مع السعى الحثيث منهم للتمتع بمباهج الحياه، و التقلب فى ملذاتها، و اهتمام ظاهر بما فيها من زينه، و بهارج، فى حين تكون شعوبهم تعاني من النصب و الحرمان، و من الحاجه و الخصاصه بدرجة قبيحه و مزريه.

إن لم نقل: إن الكثيرين من هؤلاء الحكام هم الذين يمتصون دماء شعوبهم، و يعبثون بمقدراتها، و يختلسون كل ما قدروا عليه من أموالها.

أما نبينا الأكرم (صلى الله عليه و آله): فإنه على عكس ذلك تماما، فها هو فى أيام الخندق يربط الحجر، و لا يستأثر نفسه بشىء من حطام الدنيا.

بل إنه حتى حينما يرغب أحدهم فى استضافته على الشىء القليل جدا فى هذا الظرف العصيب بالذات، لا يرضى (صلى الله عليه و آله) إلا- أن يشاركه المسلمون جميعا فى ضيافته تلك، فيبارك الله سبحانه فى ذلك الطعام، و تكون الكرامه من الله سبحانه لرسوله الأكرم (صلى الله عليه و آله).

ثم نجد عليا أمير المؤمنين (عليه السلام) خير من يتأسى برسول الله (صلى الله عليه وآله)، و يسير على نهجه، و ينسج على منواله. فإنه رغم أنه كان قد أنشأ- بكديده، و بعرق جبينه- الكثير من الضياع و البساتين، لكنه لم يكن يستفيد منها بتحسين وضعه المعيشي، و لا- أحدثت تغييرا في حياته الخاصة، بل كان يتصدق بها و يوزعها على الفقراء و المحتاجين، و قد أوقف عامتها على جهات البر المختلفه، ثم لم يزل يلبس الخشن، و يأكل الجشب إلى أن توفاه الله سبحانه.

و حسبك ما كتبه لعثمان بن حنيف: يلومه على حضوره وليمه دعى إليها:

قال (عليه السلام): (ألا و إن لكل مأموم إماما يقتدى به، و يستضيء بنور علمه، ألا و إن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه، ألا و إنكم لا تقدرين على ذلك، و لكن أعينوني بورع، و اجتهاد، و عفه و سداد. فوالله ما كنت من دنياكم تبرا، و لا- ادخرت من غنائمها و فرا، و لا أعددت لبالي ثوبى طمرا، و لا حزت من أرضها شبرا، و لا أخذت منه إلا كقوت أتان دبره، و لهى فى عيني أوهى و أهون من غصه مقره) (١).

إلى أن قال: (و لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، و لباب هذا القمح، و نسائج هذا القز. و لكن هيهات أن يغلبنى هواى، و يقودنى جشعى إلى تخير الأطمعه، و لعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له فى القرص، و لا عهد له بالشبع.

أو أبيت مبطانا و حولى بطون غرثى، و أكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:ه.

١- الأتان الدبـره: التى عقر ظهرها فقل أكلها. مقره: مره.

و حسبك داء أن تبيت بطنه حولك أكباد تحن إلى القد أقنع من نفسى بأن يقال: هذا أمير المؤمنين و لا أشاركهم فى مكاره الدهر، أو أكون أسوه لهم فى جشوبه العيش؟ فما خلقت ليشغلنى أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطه، همها علفها، أو المرسله، شغلها تقمها (١)، تكثرش (٢) من أعلافها، و تلهو عما يراد بها).

إلى أن قال: (و كأنى بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبى طالب، فقد قعد به الضعف على قتال الأقران، و منازل الشجعان. ألا و إن الشجره البريه أصلب عودا، و الروائح الخضره أرق جلودا، و النباتات العذيه (٣) أقوى وقودا، الخ (٤). ٨.

١- التقمم: التقاط القمامه.

٢- تكثرش: تملأ كرشها.

٣- العذى: الزرع لا يسقيه إلا ماء المطر.

٤- نهج البلاغه (تحقيق صبحى الصالح، ط سنه ١٣٨٧ هـ. ق) ص ٤١٧ و ٤١٨.

الفصل الخامس: جيش المسلمين و جيش المشركين فى المواجهه

اشاره

الإعداد و الإستعداد:

قال البلاذرى: (بلغ رسول الله (صلى الله عليه و آله) الخبر، فندب المسلمين إلى قتال الأحزاب، و خرج فارتاد لعسكر المسلمين) (١). و كان خروجه بعد أن استخلف على المدينة ابن أم مكتوم (٢).

و حسب نص الصالحى الشامى: (ركب فرسا و معه عده من المهاجرين و الأنصار فارتاد موضعا، و كان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعا الجبل خلف ظهره، و يخندق الخ ..) (٣). ٥.

١- أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣.

٢- راجع: الثقات ج ١ ص ٢٦٦ و التنبيه و الإشراف ص ٢١٦ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ و جوامع السيره النبويه ص ١٤٩ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ و العبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٧ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٣ و ١٠٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٥ و ٣١٤ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٦ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٣ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٨ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٤١ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٧.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٤١٤ و ٤١٥.

و كان خروجه (صلى الله عليه و آله) لثمان خلون من ذى القعدة، أو شوال، حسبما تقدم، و يقال: إن خروجه (صلى الله عليه و آله) كان فى يوم الإثنين (١).

و اختار (صلى الله عليه و آله) ذلك الموضع المكشوف للخندق، و جعل معسكره تحت جبل سلع (٢) أو سفح سلع، أو سطح سلع، أو جعل سلعا وراء ظهره، و الخندق بينه و بين القوم (٣).

يقول البعض: (فلو أن العدو عبر الخندق لقدمت سلع للمدافعين ٨).

١- راجع: نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٧٠ و غير ذلك من المصادر السابقه و اللاحقه

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٥.

٣- راجع المصادر المتقدمه فى الهوامش السابقه، و فى: البداء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٧ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و ٣٠٠ و ج ٤ ص ١٢٠٤ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٦٢ و ١٦٣، و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣٦ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٧ و جوامع السيره النبويه ص ١٤٩ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٧ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٤١٥ و ٥١٤ و ٥٢٣ و تهذيب سيره ابن هشام ص ١٩٠ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤٢٨ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٤ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٢ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٢٥ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٢ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٠ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٨ و سعد السعود ص ١٣٨.

نفس المزايا التي حصلوا عليها في أحد (١).

و يستفاد مما تقدم: أن موقعهم كان عند سلع من جهة الشام و المغرب (٢).

مقر القيادة:

(و ضربت له (صلى الله عليه و آله) قبه من أديم أحمر، على القرن في موضع مسجد الفتح) (٣).

و تقدم في الفصل السابق، حين الكلام عن قصور الروم و فارس: أنها قبه تركيه.

مقر القيادة: ص : ٢٨٥ (٤) و نسجل هنا:

ألف: إنه يستفاد من هذا و مما تقدم- مع أن بعض النصوص ذكرت: أن النبي (صلى الله عليه و آله) جعل معسكره سطح (أو سفح) سلع-: أنه (صلى الله عليه و آله) قد اختار من السفح موضعا مشرفا، و مرتفعا نسبيا يمكنه من مراقبه الوضع بدقه، ثم المبادرة إلى اتخاذ القرار اللازم في الموضع المناسب.

ب: إنه إذا كان المشركون إنما يفكرون بالدنيا، و يرون العزه بما.

١- محمد في المدينة ص ٥٦.

٢- وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٠.

٣- و راجع أيضا: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١.

٤- المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ و ٤٥٧ و راجع: السير الحلبيه ج ٢ ص ٣١٤ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٤.

يحصلون عليه من حطامها، فإن رؤيتهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى مكان مشرف عليهم، و هو فى قبه ذات لون متميز من آدم أحمر، سيكون مغيظا لهم، و سيزيد من حسرتهم و حنقهم، حين يرغمون على التراجع، و هم يجرون أذيال الخييه و الخسران، و قد خلفوا وراءهم قتلى من رؤسائهم و أبطالهم، كما سنرى.

عرض النبي صلى الله عليه وآله الخارجين إلى الحرب:

ثم عرض (صلى الله عليه وآله): الجيش، و هو يحفر الخندق.

فعن أبى واقد الليثى قال: (رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعرض الغلمان، و هو يحفر الخندق، فأجاز من أجاز، و رد من رد.

و كان الغلمان يعملون مع الذين لم يبلغوا و لم يجزهم، و لكن لما لحم الأمر، أمر من لم يبلغ أن يرجع إلى أهله، إلى الآطام مع الذرارى.

إلى أن قال: فكان ممن أجاز رسول الله (صلى الله عليه وآله) يومئذ ابن عمر و هو ابن خمس عشره، و زيد بن ثابت و هو ابن خمس عشره، و البراء بن عازب و هو ابن خمس عشره (١)، و أبى سعيد الخدرى و لم يردهم.

و يقال: إنه أجازهم قبل ذلك (٢).

قال العسقلانى: (عرض الجيش اختبار أحوالهم قبل مباشره القتال ٥).

١- راجع: المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٥٣ و أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣ و ٣٤٤ و راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨١ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٣١٤ و ٣١٥ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٤ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٣.

٢- أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٤ و راجع: السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٥.

للنظر فى هيتهم و ترتيب منازلهم و غير ذلك) (١).

و مهما يكن من أمر فقد أصبحت المدينة بسبب حفر الخندق كالحصن، حسبما تقدم (٢).

النساء و الأطفال فى الآطام:

و يذكر المؤرخون كاهه تقريبا، و هم يتحدثون عن غزوه الخندق: أن النبى (صلى الله عليه و آله) قد جعل النساء و الصبيان فى الآطام (٣).

قال الواقدى: (و رفع النساء و الصبيان فى الآطام، و رفعت بنو حارثه الذرارى فى أطمهم، و كان أطما منيعا. و كانت عائشه يومئذ فيه).

و رفع بنو عمرو بن عوف النساء و الذريه فى الآطام، و خندق بعضهم حول الآطام بقاء، و حصن بنو عمرو بن عوف و لفها، و خطمه، و بنو أميه، و وائل، و واقف فكان ذراريهم فى آطامهم (٤).

الحرس على أبواب الخندق:

و يذكر المؤرخون: أنهم بعد أن حفروا الخندق، و حصنوه (جعل له رسول ١).

١- فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٢.

٢- إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٣ و راجع أواخر الفصل الثانى، حين الكلام عن تشبيك المدينة بالبنيان.

٣- قد ذكرت ذلك مختلف المصادر التى تقدمت فى هذا الفصل، فمن أرادها فليراجعها.

٤- المغازى ج ١ ص ٤٥١.

اللّه أبوابا (١) و جعل على الأبواب حرسا، من كل قبيله رجلا، و عليهم الزبير بن العوام، و أمره إن رأى قتالا أن يقاتل (٢).

و فى نص آخر: (و جعل على كل باب رجلا من المهاجرين، و رجلا من الأنصار مع جماعه يحفظونه) (٣).

و تقدم: أن أبواب الخندق كانت ثمانيه.

تركيه الحرس مشار تساؤل:

و أما لماذا اختار النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) أن تكون تركيبه الحرس على أبواب الخندق بهذا الشكل، فربما يكون السر فيه: هو أنه (صلى الله عليه و آله) قد أراد أن يقطع الطريق على أى تفكير تأمرى، من خلال اتصالات سرية فيما بين المشركين و المنافقين أو غيرهم، للتواطؤ على المسلمين. و لو عن طريق الإغراء بالمال، أو الاحتيال، أو التغليل، حيث يتمكنون من إحداث ثغره أو أكثر، من شأنها أن تعرض المسلمين للخطر الكبير.

و حين يكون الحرس من كل قبيله رجلا، فإن الرقابه على بعضهم البعض تصبح طبيعیه، و لن يعود من السهل فتح علاقته مشبوّهه مع أى .

١- راجع: مغازى الواقدي ج ٢ ص ٤٥٢ و ٤٥٠ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٥ و تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٥٠، و راجع:

السيره الحلييه ج ٢ ص ٢ ص ٣١٢ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٧ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٠٦.

٢- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٥٠.

٣- تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٩ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٠.

منهم، و يصبح احتمال تواطؤهم أبعد، و اتفاقهم على الخيانه يكون أصعب و أعقد.

و يلفت نظرنا هنا: ذلك النص الذى يبين فيه اهتمام النبى (صلى الله عليه و آله) بمشاركه الأنصار للمهاجرين فى هذا الأمر.

و نحن نعلم: أن إمكانيه اختراق مشركى أهل مكه للمهاجرين أسهل و أيسر، لأنهم إخوانهم و أبناءهم، و لم نزل نجد فى المهاجرين من يحابى قومه و يهتم بعدم إلحاق المزيد من الأذى بهم بدءا من حرب بدر، حسبما أوضحناه هناك فى قضيه فداء الأسرى.

بل لقد وجدنا حتى زوجه النبى (صلى الله عليه و آله) تخرج عن وقارها، و تندفع لتحرض على رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى بدر، فراجع ما ذكرناه هناك أيضا عن سوده بنت زمعه.

و تجد فى كتابنا هذا، و فى كتاب (الغدير و المعارضون) شواهد كثيره و غزيره و مثيره عن مواقف قريش من النبى (صلى الله عليه و آله) و أهل بيته. و لا نرى حاجه لإعاده التذكير بها هنا.

الذرائى و النساء فى الآطام:

و إن جعل النساء و الذرائى فى مواضع حصينه، و تجميعهم فى أماكن معينه يعتبر إجراء حكيما، لأنه يوفر على المسلمين معاناه حاله التوزع فى الاهتمامات، و انتشارها، و يركزها فى نقطه أو نقاط محدده يمكن التركيز عليها فى الرعايه الأمنيه، و تسهيل تقديم المعونه الفاعله و المؤثره و السريعه، وفق خطه مرسومه فى الوقت المناسب لو فرض تعرضها لأى خطر من قبل الأعداء.

ثم هي تمكن هؤلاء الضعفاء من أن يفيدوا من مناعه تلك الآطام للدفع عن أنفسهم بدلا من بيوت واهنه لا- تساعد على حمايتهم، و لا تدفع عنهم في شىء.

و بذلك لم يعد النساء و الأطفال منتشرين على مساحات واسعة، بصورة تجعلهم هدفا سهلا لكل عابث، و عرضه لأطماع الأعداء و السفهاء، الأمر الذى يوجب إرباكا نفسيا لدى القوى التى يفترض فيها أن تصب كل اهتماماتها على نقطه واحده، و واحده فقط، و هي دفع العدو، و إبطال كيده، و إلحاق الهزيمة المخزیه به.

و قد يمكن للعدو- لو لم تجعل الذرارى و النساء فى الآطام- أن يستفيد من الوضع القائم، فيعتدى أو يتظاهر بالاعتداء على المواقع المختلفه المنتشره على مساحه المدينه بأكملها، و ذلك بهدف زعزعه حاله الاتحاد و الانسجام لدى الجيش الإسلامى، ليتمكن من إنزال ضربته القاصمه فى الوقت المناسب.

و قد كان بنو قريظه يعرفون تفاصيل مسالك المدينه، لأنهم من أهلها، فقيامهم بأى تسلل إليها سوف يربك الوضع فى ساحه القتال بصورة كبيره و خطيره.

و قد كان المسلمون يعرفون ذلك، فكانوا يعيشون حاله القلق لو لا هذا الإجراء الذى اتخذته النبى (صلى الله عليه و آله).

و مما زاد فى الربط على القلوب، و تهدئه المشاعر، و استقرار الحاله النفسيه: أنه (صلى الله عليه و آله) قد جعل حراسا يطوفون فى المدينه، حتى أصبح واضحا ليهود بنى قريظه و لغيرهم: أن أى تحرك سوف ينتهى بنكسه

خطيره لهم.

وقد كان في التجربه التي قام بها بعضهم للوصول إلى حصن حسان الذي كانت فيه النساء، و انتهت بقتل ذلك الرجل على يد زينب بنت جحش عبره لهم و بلاغ.

عقد الألويه للحرب:

أما بالنسبه لعقد ألويه الحرب، فإننا نقول:

ألف: بالنسبه للمشركين، فالمؤرخون يقولون: إنهم عقدوا لواءهم في دار الندوه، و حمله عثمان بن أبي طلحه، و قائد القوم أبو سفيان (١).

ثم وافى المشركون المدينه، فأنكروا أمر الخندق، و قالوا: ما كانت العرب تعرف هذا (٢).

ب: بالنسبه للمسلمين، يقول المؤرخون: (و كان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثه، و لواء الأنصار بيد سعد بن عباده، و كان (صلى الله عليه .

١- السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١١ و الإمتاع ج ١ ص ٢١٨ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٦ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٣.

٢- تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٥٠ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٥ و راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٥ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٣٠، و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ و تفسير القمى ج ٢ ص ١٨٢ و بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢٤ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٧٣ و الإرشاد للمفيد ص ٥٢ و كشف الغمه للأربلى ج ١ ص ٢٠٢ و إعلام الورى (ط دار المعرفه) ص ١٠٠.

و آله) يبعث الحرس على المدينة، خوفا على الذراري من بنى قريظه (١).

و نقول:

إننا لا نهتم لتحريفات المؤرخين هذه، حيث نراهم يتجاهلون الحقيقه الدامغه إرضاء لأسيادهم، و انسياقا مع أهوائهم و عصبياتهم و تعصباتهم البغيضه.

فها هم يهملون هنا ذكر صاحب الرايه العظمى للجيش كله و صاحب لواء رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى كل مشهد، و هو على أمير المؤمنين (عليه السلام) مع تصريحهم باسم حامل لواء المهاجرين، و حامل لواء الأنصار.

و نقول هنا:

١- إنه قد تقدم فى حرب أحد فى فصل: قبل نشوب الحرب، و فى بدر أيضا، طائفه من النصوص التى تضافرت و تواترت فى كتب السير و التاريخ و الحديث بالأسانيد الصحيحه و الموثوقه: أن عليا (عليه السلام) هو صاحب لواء ورايه النبى (صلى الله عليه و آله) فى كل مشهد، و تقدم أن ذلك من فضائله و خصائصه التى اشتهر بها. و هذه حقيقه مؤلمه لمبغضى و شائى على (عليه السلام) و لأجل ذلك فهم يحاولون تجاهلها، و الدس الرخيص للتشكيك بها، و لو وسعهم الجهر بإنكارها لبادروا إلى ذلك. ٨.

١- المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ و راجع ص ٤٨١ و السير النبويه لدحلان ج ٢ ص ٤ و السير الحليه ج ٢ ص ٣١٥ و راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٥ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٤، و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٧٠ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٨.

٢- وقد ورد في احتجاج الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) على معاوية و ابن العاص، و الوليد الفاسق قوله: (ثم لقيكم يوم أحد، و يوم الأحزاب و معه رايه رسول الله و معك و مع أبيك رايه الشرك) (١).

٣- روى الحكم بن عتيبه عن مقسم عن ابن عباس، قال: (كانت رايه رسول الله (صلى الله عليه و آله) مع علي (عليه السلام) في المواقف كلها:

يوم بدر، و يوم أحد، و يوم حنين، و يوم الأحزاب، و يوم فتح مكة. و كانت رايه الأنصار مع سعد بن عباده في المواطن كلها، و يوم فتح مكة، و رايه المهاجرين مع علي (عليه السلام) (٢).

و هذا يدل على أن قولهم: كانت رايه المهاجرين يوم الأحزاب مع زيد بن حارثه غير صحيح.

شعار الحرب:

و يقول المؤرخون: كان شعار المهاجرين أيام الخندق: (يا خيل الله) (٣).

و قالوا أيضا: كان شعار أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم ١.

١- كفايه الطالب ص ٣٣٦ و شرح نهج البلاغه للمعتزلى ج ٦ ص ٢٨٩ و الغدير ج ١٠ ص ١٦٨ عنه و جمهره الخطب ج ٢ ص ٢٣.

٢- إعلام الورى (ط دار المعرفه) ص ١٩١.

٣- إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٦٦ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥ و راجع: السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٨ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٣٢١.

الخندق و بنى قريظه: حم، لا ينصرون (١).

و نقول:

لقد رأينا: أن شعار المسلمين فى حروبهم مع أعدائهم، سواء فى زمن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أو فى زمن على (عليه السلام) فى حروبه مع البغاه هو: (حم، لا ينصرون)، و كذا عبارته: (يا منصور أمت).

و هاتان الكلمتان لهما دلالاتهما و إيحائتهما فى ظرف كهذا حيث إنهما تزرعان الطموح إلى النصر فى قلب و روح المقاتل المسلم فيزداد جرأه على القتال و إقداما على التضحية، و يتذرع بالصبر الجميل على ما يواجهه من مكاره يترقب الفرج و الفوز بعدها بمزيد من الطمأنينه و الثقه و يكون تحركه فى ساحه القتال و الحاله هذه تحرك الواثق، الذى يريد من خلال تفعيل طاقاته القتاليه بحكمه و حنكه و تعقل أن يتجاوز هذا الواقع، الذى يرى فيه.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ عن ابن هشام و ص ٤٨٥ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و الكافى ج ٥ ص ٤٧ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٧٨ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٧٤ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٢ عن ابن هشام، و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٧ و تهذيب سيره ابن هشام ص ١٩٤ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٨ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ و بهجه المحافل و شرحه ج ١ ص ٢٧١ و ٢٧٢ عن الترمذى، و أبى داود و الوسائل ج ١١ ص ١٠٥ و الكافى ج ٥ ص ٤٦ و ٤٧ و كنز العمال ج ١٠ ص ٢٩١ و جوامع السيره النبويه ص ١٥٠ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٦٩ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٣٢١ و قال: (لعل المراد بالمسلمين الأنصار، فلا يخالف ما فى الإمتاع، و كان شعار المهاجرين: يا خيل الله). و نقول: إن هذا التوجيه لا يمكن المساعده عليه.

وضعا إستثنائيا و نشازا، لا تساعد على استمراره عوامل طبيعیه و مقبوله.

ثم إن هذا الشعار، حين يبدأ بواحد من مفردات الحروف المقطعه التي اختص بها القرآن، فإنه يكون قد أوحى مسبقا لهذا الإنسان المؤمن بصدق هذا الوعد الإلهي، الذي يتلفظ به هو نفسه و يطلقه شعارا له في هذا الوقت بالذات الذي يحتاج إليه عمليا. فهو شعار يتجه نحو الواقع ليتجسد حقيقه ملموسه له، و يساهم هو في صنعها و في بلورتها.

و الأمر الملفت للنظر هنا: أن يكون هذا اليقين قد أيقظته في نفسه كلمه حم، التي هي رمز التحدى الفكرى كما تقدم في الجزء الثانى من هذا الكتاب مفصلا و قد اقترن هذا التحدى الفكرى بالتحدى بالعنف و القتال، كنتيجه طبيعیه لعجز قوى الشرك، و هزيمتها المخزيه و النكراء في مجال الفكر و المثل و القيم.

و أما بالنسبه للمشركين، فالأمر سيكون على عكس ذلك تماما، فإنهم حين يسمعون هذه الكلمه (حم، لا ينصرون) لسوف يتمثلون حاله العجز و السقوط و الهزيمه بكل أنحاءها، و بكل مجالاتها، و لسوف تزرع هذه الكلمه اليأس و الفشل في نفوسهم، فإنها كانت رمز التحدى القرآنى لهم و لكل من هو على شاكلتهم، بالإضافة إلى إحياءات أخرى - ألمحنا إليها فيما سبق - كانت إيجابيه بالنسبه لقوى الإيمان و لسوف تكون معكوسه و سلبيه بالنسبه لقوى الشرك و الطغيان.

فليتأمل المتأمل فيما ذكرناه، و ليتدبره كيف يتحول إلى الضد من ذلك على قوى الشرك، حتى لا نضطر إلى إعادته تفصيليه له.

غير أننا نلمح هنا إلى نقطه واحده نضيفها إلى ما سبق، و هي: أن هذا

الشعار يقول: (لا ينصرون) بصيغه المبني للمجهول و لم يقل: (لا ينتصرون) ففيه إلماح إلى أن المشركين لا يملكون معطيات النصر في أنفسهم فلا بد أن ينتظروا النصر من غيرهم، و ليس ثمة ناصر لهم و لا معين، فهزيمتهم حتميه لفقدهم مقومات النصر من الجهتين. فالمشرك يرى العجز و الفشل الفكرى و العقيدى بكلمه حم. كما أنه يتمثل الخواء من أى من القدرات و الطاقات التى تخوله أن يصنع نصرا. فهو مهزوم فى الحاليتين، و المؤمن يأتيه النصر من الله، و هو على يقين من هذا النصر. فاجتمع على قوى الشرك عاملان من عوامل الضعف و لقوى الإيمان عاملان من عوامل القوه.

هذا عدا عن أن الصيغه صيغه إخبار، تعطى: مزيدا من الثقة بتحقيق ذلك، حتى كأنه أمر واقع و ملموس، يصح الإخبار عنه بهذه الدرجة من الجزم و الثبات و الطمأنينه.

و لسوف يتيقن المشركون صدق هذا الوعد، ما دام أنه هدى قرآنى استقر فى نفوسهم: إنهم أعجز و أصغر من أن يشككوا فى أى من آياته و حقائقه.

و هذا درس نافع نستفيده من هذا الشعار. نسأل الله التوفيق للتوفر على دراسه هذا الموضوع بصورة أتم و أوفى، و أوضح و أجلى و أصفى، و هو الموفق و الهادى إلى سواء السبيل.

عده و عدد المسلمين:

هذا و قد اختلفت كلمات المؤرخين فى عده و عدد الجيش الإسلامى الذى واجه الأحزاب فى حرب الخندق.

فأما بالنسبه للعهده، فقد ذكر ابن سعد: (أنه كان مع المسلمين سته

و ثلاثون فرسا (١) و أما بالنسبه إلى العدد فنشير إلى الأقوال التاليه:

١- قيل كان المسلمون سبع مئه، و هو قول ابن إسحاق (٢).

و قد حكم البعض على ابن إسحاق بأنه: (و هم فى ذلك) و غلط. و زعم ابن القيم: أن منشأ الغلط هو ارتكاز عدد من خرج معه (صلى الله عليه و آله) فى أحد (٣).

٢- قيل: كانوا ألفا أو نحوها، و هو صريح روايه البخارى و مسلم عن جابر. و صرح به قتاده أيضا (٤).

٣- و قيل: تسع مئه أضاف ابن خلدون قوله: (و هو راجل بلا شك).

و قال ابن حزم: (و هو الصحيح الذى لا شك فيه، و الأول و هم) (٥). ٩.

١- المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ عن ابن سعد، و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧.

٢- تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٥٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٤ عن ابن إسحاق. و راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٤ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و راجع ص ٥٦٥ و تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٧ و البحار ج ٢٠ ص ٢١٨ عنه و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٧.

٣- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٤ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٤ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٧.

٤- راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٦٥ و حدائق الأنوار ج ١ ص ٢١٢ و دلائل النبوه لليهقى ج ٣ ص ٣٩٤.

٥- راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٥ و جوامع السيره النبويه ص ١٤٩.

يريد بالأول: القول بأنهم كانوا ألفا.

٤- و ذهب أكثر المؤرخين إلى أنهم كانوا ثلاثة آلاف أو نحوها (١).

و نقول:

ألف: إننا نحتمل قويا: أن يكون القول الثالث هو نفس قول ابن إسحاق، لكن النسخ صحفوا سبعمئة بتسعمئة، لتقارب رسم الخط فى الكلمتين، و عدم ٨.

١- إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ و البحار ج ٢٠ ص ٢٠٠ عنه، و راجع هذا القول فى المصادر التالية: سيره مغلطاي ص ٥٦ و التنبية و الإشراف ص ٢١٦ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و ج ٤ ص ١٢٠٤ عن المطرى عن ابن إسحاق و الثقات ج ١ ص ٢٦٦ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ و السير النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٦٢ و الوفاء ص ٦٩٣ و مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٧ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ج ٢ ص ٢٣٣ و ٢٣٦ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ و العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٢٩ و السير النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٧ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٢ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٠ و ١١٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٣ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٤ و السير الحلبيه ج ٢ ص ٣١٤ و السير النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و ٥٦٥ و كشف الغمه للأربلى ج ١ ص ١٩٧ و شرح النهج للمعتزلى (منشورات دار مكتبه الحياه) ج ٤ ص ٢٦٧ و البحار ج ٢٠ ص ٢٧٢ عن المناقب و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٨ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨ و التهذيب سيره ابن هشام ص ١٩٠ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤٢٨ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٧ و مختصر التاريخ ص ٤٣ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٩ و جوامع السير النبويه ص ١٤٩ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠١ و ٣٠٧ و سعد السعود ص ١٣٨.

وجود النقط في السابق، و ما أكثر ما يقع الاشتباه و الاختلاف بين سبع و تسع، من أجل ذلك.

ب: إننا نرجح قول ابن إسحاق، و إن حكم عليه البعض، كالحلبى و غيره، بأنه قد وهم أو غلط في ذلك.

و لو تنزلنا عن ذلك، فإننا نأخذ بالقول الثانى، أما القول بأنهم كانوا ثلاثة آلاف، فلا مجال للاعتماد عليه، و ذلك للأمور التالية:

١- ما تقدم فى قصه إطعام جابر لأهل الخندق جميعا و كانوا سبع مئة رجل، أو ثمان مئة، أو ألف رجل. فراجع حديث جابر المتقدم فى الفصل السابق، و راجع المصادر التى أشير إليها فى الهامش هناك.

٢- روى عن الإمام الصادق (عليه السلام): أنه (صلى الله عليه و آله) شهد الخندق فى تسع مئة رجل (١). و يحتمل أن تكون كلمه تسع تصحيفا لكلمه سبع أيضا.

٣- روى: أن النبى (صلى الله عليه و آله) قال: اكتبوا لى من تلفظ بالإسلام. فكتب حذيفه بن اليمان له ألفا و خمس مئة رجل.

و فى نص آخر: و نحن ما بين الست مئة إلى السبع مئة.

قال الدمامينى: قيل: كان هذا عام الحديبيه (٢).

و يرى البعض: أن المسلمين كانوا فى أحد بعد رجوع المنافقين سبع مئة ٩.

١- الكافى ج ٥ ص ٤٦ و الوسائل ج ١١ ص ١٠٥.

٢- راجع: صحيح البخارى ج ٢ ص ١١٦ و صحيح مسلم ج ١ ص ٩١ و مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٤ و سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٣٧ و التراتيب الإداريه ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٢٣ و ج ٢ ص ٢٥١ و ٢٥٢ و عن المصنف لابن أبى شيبه ج ١٥ ص ٦٩.

رجل، و بين أحد و الخندق سنه أو أكثر بقليل، و يبعد أن يزيد المسلمون خلال سنه واحده هذه الزيادة الكبيره، بحيث يصلون إلى ثلاثه آلاف (١).

و ما جرى فى الخندق يوضح: أن عدد سكان المدينه لا يصل إلى الخمسه آلاف نسمة بما فى ذلك الأطفال و النساء.

عدد المشركين:

و وافى المشركون المدينه، و أحاطوا بها من جميع جهاتها و اشتد الحصار على المسلمين (٢). و قد اختلفت الأقوال فى عدد المشركين، و ذلك على النحو التالى:

١- قال المسعودى: (سارت إليه قريش، و غطفان، و سليم، و أسد، و أشجع، و قريظه، و نضير، و غيرهم من اليهود، فكان عدده الجميع أربعة و عشرين ألفاً، منها قريش و أتباعها أربعة آلاف) (٣).

٢- و قال ابن شهر آشوب: (كانوا ثمانية عشر ألف رجل) (٤).

٣- و قال ابن الدبيع: كانوا أحد عشر ألفاً (٥).

و ذكر فى موضع آخر: أنهم كانوا عشره آلاف. و لعله حين عد معهم ٨.

١- الرسول العربى و فن الحرب، هامش ص ٢٣٨.

٢- راجع: حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٧.

٣- التنبيه و الإشراف ص ٢١٦.

٤- مناقب آل أبى طالب ج ١ ص ١٩٧ و البحار ج ٢٠ ص ٢٧٢ عنه.

٥- حدائق الأنوار ج ١ ص ٥٢ و يفهم ذلك من الزمخشري فى الكشاف ج ٣ ص ٥٢٦ و عنه فى سعد السعود ص ١٣٨.

بنى قريظه ذكر الرقم الأول، و حين غض النظر عنه عددهم عشره آلاف.

٤- إن عدد جيش المشركين بجميع فئاته كان عشره آلاف: قريش و كانوا أربعه آلاف، و من أجابهم من بنى سليم، و أسلم، و أشجع، و بنى مره، و كنانه، و فراره، و غطفان (١).

٥- إنهم كانوا مع يهود بنى قريظه و النضير زهاء اثني عشر ألفا (٢).

٦- و لكننا نجد آخرين من المؤرخين يتحدثون عن هذا الأمر بطريقه تؤيد أحد القولين الأولين، فقد قال ابن الوردي و غيره:

(أقبلت قريش فى أحابيشها، و من تبعها من كنانه فى عشره آلاف، و أقبلت غطفان و من تبعها من أهل نجد) ثم ذكر انضمام بنى قريظه ٤.

١- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ عن ابن إسحاق و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ و تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٧ و ١٧٦ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٧ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٧ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٨ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٧ و سيره مغلطاي ص ٥٦. و راجع: الوفاء ص ٦٩٣ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣٣ و ٢٣٦ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤٢٨ و راجع: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠١ و ٣٠٧ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٠ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢ و ٤ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١١ و حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٨٧ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٤ و منهاج السنه ج ٤ ص ١٧٠.

٢- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤.

٧- ثم هناك من يقول: إن عدد جيش الأحزاب كان أربعة آلاف فقط (٢).

ولا نشك في أن هذا القول ناظر إلى حشود قريش، أو أن بعض المؤرخين رأهم يذكرون أن عدد الجمع القريشى كان هذا المقدار فتوهم أنه يقصد بيان عدد الجيش كله.

عده جيش الشرك:

و أما بالنسبة لعده أهل الشرك، فقد قال المسعودى: إنه كان (معهم ثلاثة).

١- تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ و كشف الغممة للأربلي ج ١ ص ١٩٧ و الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ و المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ و راجع المصادر التالية: الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٦٢ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٠ و ٢٣١ و تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٧ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٢ و البدء و التاريخ ج ٤ ص ٢١٧ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٢ و مختصر التاريخ ص ٤٣ و جوامع السيره النبويه ص ١٤٩ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠٧ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤١ و ٣٤٢ و البحار ج ٢٠ ص ٢٠٠ و تهذيب سيره ابن هشام ص ١٩٠ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١.

٢- راجع هذا القيل فى: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و فتح البارى ج ٧ ص ٣٠١ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٠ و ٣١١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٢ ص ٣٩٤ عن قتاده.

مئة فرس، و ألف و أربع مئة بعير، و قائدهم أبو سفيان صخر بن حرب) (١).

و ذكر آخرون: أنه كان معهم ألف و خمس مئة بعير، و ثلاث مئة فرس (٢).

و ذكر الديار بكري: أنهم كانوا أربعة آلاف معهم ثلاث مئة فرس و ألف بعير، و عند غيره: ألف و خمس مئة بعير (٣).

و يظهر من المقرئى: أنه كان مع المشركين بالإضافة إلى ألف و خمس مئة بعير: ثلاث مئة فرس مع قريش، و ثلاث مئة أخرى مع غطفان (٤).

و فى كلام حبي بن أخطب لكعب بن أسد: (و الخيل ألف فرس و سلاح كثير) (٥).

و صرح النويرى: أن غطفان و فزاره كان معهما ألف بعير (٦).

و من الواضح: أن لا مجال لتحديد الرقم الحقيقى لذلك كله و لا لغيره.

لكن مما لا شك فيه: أن هذا العرض للنصوص و الأقوال يوضح مدى التفاوت فيما بين عدده و عدد المسلمين، و أعدائهم من الأحزاب الذين ٧.

١- التنبيه و الإشراف ص ٢١٦.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٠ و ٣١١ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٢ و الإمتاع ج ١ ص ٢١٨ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥١٣ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٧ و حبيب السير ج ١ ص ٣٥٩.

٣- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٠ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٦ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣٣ و لم يذكر عدد الإبل.

٤- إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١٨ و ٢١٩.

٥- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥.

٦- نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٦٧.

جاؤوا من كل حذب و صوب.

معنويات جيش الشرك:

و قد كان من الواضح: أن تفوق المشركين فى العدد و العده، ثم ما كان من تحالفهم مع بنى قريظه الذين كانوا فى الجبهه الأخرى للمدينه،

أضف إلى ذلك: هذا الإجماع الحاصل من مختلف القبائل العربيه،

و كذلك بسبب الإعلام المسموم الذى أعقب حرب أحد، و صوّر لأهل الشرك أنهم قد حققوا فيها نصرا كبيرا،

و بسبب الحقد الذى يتغلغل فى نفوس الكثيرين منهم على الإسلام و المسلمين،

نعم .. إنه بسبب ذلك كله، و سواه مما لم نذكره، كان جيش الشرك يعيش فى بدايات حصاره للمسلمين حاله من الانتعاش الروحى، و الشعور بالقوه و التفوق، و بإمكانيه تحقيق بعض ما كانوا يصبون إليه.

و لكن الأمر لم يدم على هذا الحال طويلا فقد تبخرت الآمال و حل محلها الشعور بالخيبه، و تلاشت حاله الانتعاش، لتخلفها حاله التملل و الشعور بالضيق.

حتى إذا جاءت ضربه على القاصمه لجيش الشرك، تبدل كل شىء ليواجه هذا الجيش حاله من الرعب و الخوف، و تصبح تلك الكثره فى العدد و فى العده عبئا ثقيلا، و مصدر متاعب لذلك الجيش بالذات. فقد أصبحت العده من أفراس و من وسائل نقل - أبعره - بسبب طول المده، و بسبب الجذب أمرا يحسن التخلص، أو على الأقل يحسن التخفيف منه و تحجيمه.

كما إن إجماع القبائل لم ينجح فى توحيد القياده لهم، و لا استطاع أن يحجب الروح القبليه، و يمنعها من الهيمنه على مسيره التحرك، حتى فى مواقع القتال.

فكانت كثره هذا الجيش تستبطن التمزق، و كان تكثر الانتماءات فى الولاء و الطاعه، يحمل معه بذور الفساد و الإفساد، و الخلاف و الشقاق لأنفه الأسباب.

أضف إلى ما تقدم: أن الإعلام المزور و المسموم قد أوجب انتفاخا كاذبا، و أذكى توقعات كبيره، يعلم قاده الأحزاب أنفسهم أنهم أعجز عن أن ينالوها، أو أن يحققوا أذناها.

و بعد ما تقدم: فهل يمكن لجيش كهذا أن يقوم بتجربه حربه ضد المسلمين، مع أنه لا يمكن ضمان نتائجها، لا سيما بعد أن عرف و رأى ميدانيا أن الأمور قد أصبحت على غايه من التعقيد و الخطوره، و لم يكن قد حسب لكل هذه المستجدات أى حساب؟

و بعد كل ما تقدم: فإن علينا أن لا ننسى أن تلك القبائل كانت تفتقر إلى ترسيخ عامل الثقه فيما بينها. و لم تكن ثمه ضمانات حقيقيه لوفاء بنى قريظه للمشركين، و لا العكس، مع علمهم: أن الذى يجمع كل هذه المتفرقات هو الخوف من التفرق، و ليس شيئا غير ذلك ..

جيش أهل الإيمان:

و أما بالنسبه لجيش أهل الإيمان فإن الأمر يختلف تماما، فهو يرى أن وجوده معرض للاستئصال و الفناء، و لا بد له من الدفاع، و لن يجد ملجأ له

إلا بذل الجهد، وإلا الجهاد من أجل البقاء.

كما أن هذا الجيش ينطلق في حركته و في جهاده من قاعده إيمانيه تجمع بين متفرقاته، و تؤلف بين مختلفاته.

و هو و إن كان قد تعرض - في بادئ الأمر - لهزه من نوع ما حين صار المنافقون و ضعفاء الإيمان يتسللون و يتركون مواضعهم بأعداء مختلفه، و لكن حزم القيادة، و هيمنتها، و حسن تدبيرها لم يفسح المجال للتأثر بالشائعات، و استطاعت هذه القيادة، حين فضحت أمر هؤلاء المنافقين بالوحي القرآني، و حين ظهرت الكرامات الباهره على يدها، و أطلقت البشارات بالنصر الأكيد، استطاعت أن تعيد للجو الإيماني صفاءه و نقاءه، و تحصنه من كل ما من شأنه أن يشيع روح التخاذل، و يزرع اليأس و الخوف في نفوس المخلصين و المؤمنين، و قطعت الطريق على أي كان، من أن يتخذ موقفا، أو يتصرفا من شأنه أن يعطى للعدو أيه فرصه من أي نوع كانت.

الغطر سه القرشيه:

و عن علي (عليه السلام) قوله: (فقدمت قريش، فأقامت على الخندق محاصره لنا، ترى في أنفسها القوه و فينا الضعف، ترعد و تبرق، و رسول الله (صلى الله عليه و آله) يدعوها إلى الله عزوجل، و يناشدها بالقرابه و الرحم، فتأبى، و لا يزيدا ذلك إلا عتوا) (١).٤.

و نقول:

ليس غريبا على قريش هذا العتو، و هذه الغطرسة، ما دامت تقيس الأمور بمقاييس ماديته، و ترى القوه فى أنفسها، و الضعف فى المسلمين، الذين جاءت لاستئصالهم، و إباده خضرائهم، و لكن هذا العتو و تلك الغطرسة سرعان ما تلاشت، ليحل محلها الضعف و الخنوع، و الخيبة القاتله، كما سنرى.

و ليس غريبا أيضا: أن نجد النبى (صلى الله عليه و آله) و من موقع الشعور بالمسؤوليه يعتمد الأسلوب الإنسانى، و يستثير العاطفه الناشئه عن صلات القربى و لحمه النسب، و التى تكون لها هيمنه حقيقه على الإنسان و لا بد أن تجتاح هزاتها الجامحه كل كيانه، و كل وجوده. ثم هو (صلى الله عليه و آله) يقرن ذلك بالدعوه إلى الله عز و جل، الذى هو مصدر الخير و القوه و البركات.

رساله تهديد من أبى سفيان:

و يقال: إن أبى سفيان كتب إلى النبى (صلى الله عليه و آله) مهددا إياه بما جمعه من الأحزاب لقتاله، و لعله قد كتب هذا الكتاب بعد وصوله إلى المدينه و حصول المواجهه، و الكتاب هو:

أما بعد .. فإنك قد قتلت أبطالنا، و أيتمت الأطفال، و أرملت النساء، و الآن قد اجتمعت القبائل و العشائر يطلبون قتالك، و قلع آثارك و قد جئنا إليك نريد نصف نخل المدينه، فإن أجبتنا إلى ذلك و إلا أبشر بخراب الديار، و قلع الآثار.

تجاوبت القبائل من نزار لنصر اللات في بيت الحرام

و أقبلت الضراغم من قريش على خيل مسومه ضرام فرد عليه النبي (صلى الله عليه و آله) بالرساله التاليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، و صل كتاب أهل الشرك و النفاق، و الكفر و الشقاق، و فهمت مقاتلكم، فوالله، ما لكم عندي إلا أطراف الرماح، و سفار الصفاح. فارجعوا ويلكم عن عباده الأصنام، و أبشروا بضرب الحسام، و بفلق الهام، و خراب الديار، و قلع الآثار، و السلام على من اتبع الهدى) (١).

قال الشيخ محمد أبى زهره: (و نشك في نسبه هذا الكتاب إلى النبي (صلى الله عليه و آله) لما فيه من السجع) (٢).

و لا نرى: أن السجع في الكتاب يبرر الشك فيه، فإن خطب الزهراء، و خطب على (عليهما السلام) لم تخل من ذلك، كما يظهر لمن راجعها. ١.

١- خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٢٠ و ٩٢١ عن كتاب السيره لابن جرير الطبرى

٢- خاتم النبيين ص ٩٢١.

ص: ٣١٠

الفصل السادس: غدر بني قريظه

اشاره

بنو قريظه ينقضون العهد:

يقول المؤرخون: إن بنى قريظه كانوا أصحاب حصون بالمدينه و موضعهم من المدينه على قدر ميلين، و هو الموضع الذى يسمى: بئر بنى المطلب، و عددهم سبع مئه مقاتل (١).

و صاحب عقدهم و عهدهم كعب بن أسد القرظى، و كان وادع رسول الله على قومه و عاهده.

و كان حيبى بن أخطب سيد بنى النضير، يقول لقريش فى مسيره معهم:

إن قومى بنى قريظه معكم، و هم أهل حلقه وافر، و هم سبع مئه مقاتل و خمسون مقاتلا.

فلما دنوا قال له أبو سفيان: ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم و بين محمد (٢).

فلما جاء حيبى إلى بنى قريظه كرهوا دخوله إلى دارهم، فكان أول من لقيه غزال بن سموأل، فقال له حيبى: قد جئتك بما تستريح به من محمد.٤.

١- تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٧ و البحار ج ٢ ص ٢١٧ عنه.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٥ و ٣١٦ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٥ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤.

هذه قريش قد حلت وادى العقيق، و غطفان بالزغابه.

قال غزال: جئتنا- و الله- بذل الدهر.

قال حيي: لا تقل هذا.

ثم توجه إلى باب كعب بن أسد فدق عليه (١)، فأغلق كعب دونه باب الحصن، وقال: بينى و بين محمد عقدا، و لن أنقض ما بينى و بينه.

و فى نص آخر: (لم أر منه إلا وفاء و صدقا).

زاد الواقدي: (و الله، ما أخفر لنا ذمه، و لا هتك لنا سترا، و لقد أحسن جوارنا).

و عند البيهقي: (لم أر رجلا أصدق و لا أوفى من محمد و أصحابه، و الله، ما أكرهنا على دين، و لا غصبنا مالا الخ ..).

فقال حيي: افتح الباب أكلمك.

فقال كعب: ما أنا بفاعل.

فقال: و الله، إن أغلقت دونى الباب إلا على جشيشتك (٢) أن آكل معك منها.

فأحفظه حتى فتح له، فقال: ويحك يا كعب (جئتك بعز الدهر، و ببحر طام) جئتك بقريش على قاداتها و ساداتها، حتى أنختهم بالمدينه، و جئتك بغطفان على قاداتها و ساداتها، و قد عاهدونى ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا و من معه. فتأبى كعب، و قال: جئتنى بذل الدهر، بجهام هراق ماؤها.

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥.

٢- الجشيشه هى: البر يطحن غليظا.

و برعد و ببرق ليس فيه شىء.

زاد الواقدي قوله: (و أنا فى بحر لجى لا- أقدر على أن أريم دارى، و مالى معى و الصبيان و النساء) فدعنى و محمدا، و ما أنا عليه، فلم أر منه إلا وفاء و صدقا.

فلم يزل يفتله فى الذروه و فى الغارب، حتى أعطاه عهدا من الله و ميثاقا أن يكون معه، على أنه إن رجعت تلك الجموع خائبه و لم يقتلوا محمدا: أن يرجع معه إلى حصنه، يصيبه ما أصابه. و نقض كعب ما بينه و بين رسول الله، و برئ مما كان عليه له (١). ٧.

١- راجع: تجارب الأمم ج ١ ص ١٤٩ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٥ و ٤٥٦ و تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦١ و بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٥ و شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٥ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٣ و ٤٨٤ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦٠ و جوامع السيره النبويه ص ١٤٩ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٣١ و ٢٣٢ و تهذيب سيره ابن هشام ج ٣ ص ١٩٠ و ١٩١ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٦ و ٣١٥ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٦ و دلائل النبوه لليهقي ج ٣ ص ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٢٨ و ٣٢٩ و راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٦ و ٥٢٧ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ و البحار ج ٢٠ ص ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٢١ و ٢٢٣ و نهايه الأرب ج ١٧ ص ١٧٠ و ١٧١ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٩ و الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٧ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٣ و راجع: تفسير القمى ج ٢ ص ١٧٩ و ١٨١ و الإكتفاء ج ٢ من ١٦٣ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٨ و ١٩٩ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣٦ و ٢٣٧.

(و مزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد، و جمع رؤساء قومه و هم:

الزبير بن مطا (باطا)، و شاس (نباش) بن قيس، و عزال بن ميمون (سموأل)، و عقبه بن زيد (و كعب بن زيد) و أعلمهم بما صنع من نقض العهد، و شق الكتاب الذي كتبه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، فلحم الأمر لما أراد الله من هلاكهم. و كان حبي بن أخطب في اليهود يشبه بأبي جهل في قریش).

و عند القمي: عزال بن شمول و ياسر بن قيس، و رفاعه بن زيد، و الزبير بن باطا (١).

و قال البعض: إن الزبير بن باطا كان شيخا كبيرا، مجربا، قد ذهب بصره، و قد قال لهم: إنه قرأ التوراه، و وجد فيها: أنه يبعث نبي في آخر الزمان في مكه، و يهاجر إلى المدينه، و ذكر لهم صفته.

فادعى حبي بن أخطب: أن هذا النبي هو من بنى إسرائيل و هذا من العرب. و لا يكون بنو إسرائيل أتباعا لولد إسماعيل أبدا لأن الله قد فضلهم على الناس جميعا، ثم ادعى أن محمدا (صلى الله عليه و آله) ساحر، و لم يزل حتى أقنعهم بنقض العهد، فنقضوه (٢).

و يقول نص آخر: (و وعظهم عمرو بن سعدى، و خوفهم سوء فعالهم، ه).

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٦ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٦ و تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٠ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢١ و ٢٢٢ عنه. و راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٦ و ٤٥٧.

٢- راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٠ و ٨١ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ عنه.

و ذكرهم ميثاق رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عهده، و قال لهم: إن لم تنصروه، فاتركوه و عدوه، فأبوا، و خرج إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) من بنى قريظه بنو سعنه: أسد، و أسيد و ثعلبه، فكانوا معه، و أسلموا.

و أمر كعب بن أسد حبي بن أخطب: أن يأخذ لهم من قريش، و غطفان رهائن تكون عندهم (١)، (لثلا ينالهم ضيم، إن هم رجعوا و لم يناجزوا محمدا، قالوا: و تكون الرهائن تسعين رجلا من أشرافهم: فنازلهم حبي على ذلك، فعند ذلك نقضوا العهد، و مزقوا الصحيفة التي فيها العقد، إلا بنى سعنه) (٢).

لا بد من التثبت:

(و بلغ رسول الله (صلى الله عليه و آله) ذلك فغمه غما شديدا، و فزع أصحابه) (٣)، و يقال: إن الذى أبلغ النبى ذلك هو عمر بن الخطاب، فاشتد الأمر على رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و شق عليه ذلك (٤)، فقال: حسبنا الله، و نعم الوكيل.

فبعث سعد بن معاذ، و سعد بن عباده، و خوات بن جبير، و عبد الله بن رواحه.٧.

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٣ و راجع ص ١٣ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤٠١.

٢- البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٣.

٣- تفسير القمى ج ٢ ص ١٨١ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه.

٤- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٦ و راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٥٧.

و بعض النصوص: (لم تذكر الأخيرين و ذكرت بدلتهما أسيد بن حضير) (١) يستخبرون الأمر، فوجدوهم مكاشفين بالغدر، و النيل من رسول الله (صلى الله عليه و آله) فشاتمهم سعد بن معاذ و كانوا أحلافه، و انصرفوا.

و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قد أمرهم إن وجدوا الغدر حقا أن يخبروه تعريضا، لئلا يفتوا فى أعضاء الناس، فلما جاؤوا إليه قالوا: يا رسول الله، عضل و القاره. يريدون غدرهم بأصحاب الرجيع) (٢).٩.

١- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٦ و راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٨ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ و تفسير القمى ج ٢ ص ١٨١ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه، و فيهما: (فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لسعد بن معاذ، و أسيد بن حصين، و كانا من الأوس. و كانت بنو قريظه حلفاء للأوس)، و الظاهر: أن كلمه (حصين) هى تصحيف: حضير. و ذلك كثير.

٢- العبر و ديوان المبتدأ و الخبر ج ٢ ق ٢ ص ٢٩ و ٣٠ و راجع المصادر التاليه: بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٥ و المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٥ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٧ و جوامع السيره النبويه ص ١٤٩ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٦٤ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٩ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣٧ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٩ و السيره النبويه لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٢ و ٢٣٣ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٦ و ٣١٧ و إمتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٧ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ و تهذيب سيره ابن هشام ص ١٩١ و ١٩٢ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤٢٩ و ٤٣٠ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٨ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٣ و ١٠٤ و تفسير القمى ج ٢٠ ص ١٨١ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ و ٢٠١ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٨ و ٤٥٩.

و قال ابن إسحاق و آخرون: (إن الذى شاتمهم هو سعد بن عبادہ).

و كان رجلا فيه حده، فقال ابن معاذ: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا و بينهم أربى من المشاتمہ (١).

و الذى شاتم ابن عبادہ هو نباش بن قيس (٢).

و قال أسيد بن حضير لكعب: (أتسب سيدك يا عدو الله؟! ما أنت له بكفؤ يا بن اليهوديه، و لتولين قريش إن شاء الله منهزمين، و تتركك فى عقر دارك، فنسير إليك، فنتركك من جحرك هذا على حكمننا) (٣).

و قال موسى بن عقبه: (فدخلوا معهم حصنهم، فدعوهم إلى الموادعه و تجديد الحلف، فقالوا: الآن و قد كسر جناحنا و أخرجهم؟ (يريدون بنى النضير). و نالوا من رسول الله (صلى الله عليه و آله) فجعل سعد بن عبادہ يشاتمهم فأغضبوه فقال له سعد بن معاذ: إنا و الله ما جئنا لهذا، و لما بيننا أكبر من المشاتمہ.

ثم ناداهم سعد فقال: إنكم قد علمتم الذى بيننا و بينكم يا بنى قريظه، ٨.

١- راجع: شرح بهجه المحافل ج ١ ص ٢٦٥ عن البغوى، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٩ و السيره الحلييه ج ٢ ص ٣١٦ و ٣١٧ عن الشيخين و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠١ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٨. و نقل فى البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٤ عن ابن إسحاق عكس ذلك.

٢- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٢٢٧ عن ابن عقبه، و الواقدي، و ابن عائذ، و ابن سعد.

٣- سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ و ٥٢٨ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٨.

و أنا خائف عليكم مثل يوم بنى النضير، أو أمر منه.

فقالوا: أكلت ... (١) أبيضك.

فقال: غير هذا من القول كان أجمل بكم و أحسن).

إلى أن قال: (فأمرهم بكتمان خبرهم) (٢).

و عند القمى: أنه لما رجع سعد بن معاذ و أسيد إلى النبی (صلى الله عليه و آله) و أخبراه بنقض قريظه، قال (صلى الله عليه و آله): (لعناء، نحن أمرناهم بذلك)، و ذلك أنه كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) عيون لقريش يتجسسون خبره (٣).

و فى نص آخر: أنهم لما قالوا للنبي (صلى الله عليه و آله): عضل و القاره، قال (صلى الله عليه و آله): (الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين) (٤).

أو قال: (أبشروا بنصر الله و عونته) (٥). ٩.

١- كلمه يستقبح التصريح بها.

٢- البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٤ و دلائل النبوه للبيهقى ج ٣ ص ٤٠٣.

٣- تفسير القمى ج ٢ ص ١٨١ و البحار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه.

٤- راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٧ و السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٥ و تاريخ الأمم و الملوك ج ٢ ص ٢٣٨ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٤ و مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠١ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ و الإكتفاء للكلاعى ج ٢ ص ١٦٤ و تاريخ الإسلام للذهبي (المغازى) ص ٢٣٧.

٥- إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ و سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ و المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٩.

زاد البعض قوله: (إنى لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق، و آخذ المفتاح و ليهلكن كسرى و قيصر، و لتنفقن أموالهم فى سبيل الله. يقول ذلك حين رأى ما بالمسلمين من الكرب، ثم تقنع الخ ..) (١).

و يقول الحلبي إنه قال: (نصره الله و عونته، و تقنع بثوبه و اضطجع، و مكث طويلا، فاشتد على الناس البلاء و الخوف حين رأوه (صلى الله عليه و آله) اضطجع، ثم رفع رأسه و قال: أبشروا بفتح الله و نصره) (٢).

ثم إنه قد بقيت لنا مع النص المتقدم وقفات.

و نحن نلخصها فى المطالب التاليه:

النزعه العنصريه لدى اليهود:

أول ما يستوقفنا هنا: الطريقه التى أحبط بها حيبى مقاله الزبير بن باطا حول نبى تحدثت عنه التوراه، بيعث فى مكه، و يهاجر إلى المدينه.

فإنه ضرب على الوتر الحساس لدى اليهود، حين طرح لهم مقوله: أن هذا النبى لا بد أن يكون إسرائيليا، مستندا إلى مقوله ترتكز على النزعه العنصريه لدى اليهود، حيث قال لهم: لا يكون بنو إسرائيل أتباعا لولد إسماعيل الخ ..

و قد أشرنا إلى هذا الموضوع بصورة أوسع فى كتابنا: (سلمان الفارسى) .

١- سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٨.

٢- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٧ و راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ و البدايه و النهايه ج ٤ ص ١٠٤ و المغازى للواقدى ج ٢ ص ٤٥٩ دلائل النبوه للييهقى ج ٣ ص ٤٠٣ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ١٩٩ و ٢٠٠.

فى مواجهه التحدى).

وفاء اليهود:

وقد اتضح أيضا: أن اليهودى حين يلتزم بعهدده، فإنه لا- ينطلق فى ذلك من شهامه، و لا كرامه و لا نبل، و لا لأجل أنه يلتزم بشرف الكلمه .. و إنما لأنه يرى أن نقضه له سوف يلحق به ضررا من نوع ما؛ فإذا اطمأن إلى عدم وجود ضرر فى ذلك فإنه يبادر إليه، دونما وازع أو رادع.

وقد رأينا: أن كعب بن أسد ينقض العهد حين تخيل أنه سيحقق ما يتمناه من استئصال محمد (صلى الله عليه و آله) و من معه، واقتنع بأن القوه التى حشدتها الأحزاب كافيه فى تحقيق هذه الأمنيه، و أن المستقبل الرغيد و السعيد سيكون بانتظاره، و أصبح على الأبواب.

طريقه حيبى للتأثير على كعب بن أسد:

ويلفت نظرنا هنا: الطريقه التى أثار فيها حيبى بن أخطب حفيظه كعب بن أسد حتى فتح له، حيث اتهمه بأنه لا يفتح له خوفا من أن يأكل من طعامه؛ ففتح له حينئذ الباب، الذى كان باب الخزى و الخسران، و الذل الأبدى، و البوار فى الدنيا و الآخره.

و لكن كعبا هذا: رغم اعترافه بأنه لم ير من النبى (صلى الله عليه و آله) إلا الوفاء و الصدق، و غير ذلك فإنه ينقض العهد معه، حبا للدنيا، و طمعا بها فكان له الدمار و الهلاك.

و حسبك بهذا دلالة على تفاهه تفكير هؤلاء الناس، و سفاهه عقولهم، و تناقضهم السافر فى مواقفهم.

دوافع نقض العهد:

أما ما قدمه من امتياز لكعب بن أسد و لبني قريظه ليشير شهيتهم لنقض العهد، و الدخول معهم فى حرب محمد فهو استئصال محمد و من معه.

و قد اشترط كعب لنفسه إن لم يتحقق هذا الهدف أن يواجه حىي بن أخطب معه كل السليبات التى تنشأ عن عدم استئصال محمد و من معه، حيث شرط عليه أن يدخل معه حصنه، و يصيبه ما أصابه فقبل حىي بن أخطب ذلك.

و ذلك يوضح لنا: صوابيه القرار الذى اتخذه الرسول (صلى الله عليه و آله) بتنفيذ حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظه، و هو الحكم الذى أعطاه بنو قريظه أنفسهم موافقتهم المسبقة عليه، بل هم الذين اقترحوا تحكيم سعد بن معاذ فيهم.

و سيأتى بحث هذا الموضوع فى غزوه بنى قريظه إن شاء الله تعالى.

جهام بلا ماء:

و لم يكن كعب بن أسد يرى فى كل تلك الجموع قدره على تحقيق الهدف الذى تسعى له، أو يشفى الغليل، و ما هى إلا رعد و برق فارغ، و سراب خادع.

و لعل مما ساعد على تكوّن تلك النظرة لديه هو ما جرى فى حرب بدر و أحد، و قينقاع، و النضير، و غيرها. مع رؤيته وجود فرق كبير فيما بين قدرات المسلمين فى السابق و فى اللاحق. فقد تنامت قدراتهم، و اتسع نفوذهم، و تأكدت هيمنتهم على المنطقه بأسرها. كما أن الخطه التى اتبعها رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى مواجهه الأحزاب قد كانت على مرأى

و مسمع من بنى قريظه، و هم يعرفون: أنها خطه ناجحه إلى حد كبير، و لا يمكن اختراقها، و تحقيق فجوه فيها بسهولة.

الشعور بالذنب و الخيانه:

و إذا كان كعب يعترف بوفاء و صدق محمد، و بسائر المواقف النبيله و الإنسانيه لنبي الإسلام، فإنه يكون قد اعترف ضمنا بالخيانه و بالغدر، فهل كان حقا قد شعر بالذنب و بتأنيب الضمير؟!

لو كان قد شعر بذلك حقا لبدرت منه بادره تراجع أو ندم و لكن الله لا يوفق كل ظلوم كفار، و لن يكون لغادر فلاح، و لا لخائن نجاح. و المصير الذى انتهى إليه بنو قريظه خير شاهد على ذلك.

عده مبعوثين لمهمه واحده:

لقد رأينا فيما سبق: أن النبي (صلى الله عليه و آله) قد أرسل أكثر من شخص واحد لكشف خبر بنى قريظه. و لعل ذلك يرجع إلى أن الجماعه تكون فى مناسبات مشحونه بالتوتر أكثر تدبرا للأمر فى المواقف التى تشهد تصعيدا خطيرا، و على درجه كبيره من الحساسيه. و يمكن لبعضهم أن يستعين ببعض الآخر، و يسدده و يعضده، لو كان ثمه ما يقتضى اتخاذ موقف أو القيام بمبادره من نوع ما.

كما أن ذلك يجعل الخبر الذى يأتى به هؤلاء، ليتخذ على أساسه قرارات فى غايه الخطوره، ترتبط بمستقبل و مصير أمه من الناس، يجعله أكثر دقه، و وضوحا، و أبعد عن اللبس، و عن احتمالات تدخل الأهواء فى صياغته و فى أدائه. بالإضافة إلى أنه يقطع العذر لمن يريد أن يغدر و يمكر، ثم يجنب

نفسه عواقب هذا الغدر و المكر، حتى تلوح له بوادر فشله، و خيبته. إذ لا بد أن يحيق به مكره السيئ، و لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

و الملفت للنظر هنا بالذات: أنه (صلى الله عليه و آله) لا يختار لهذه المهمه أناسا عاديين، بل يختار لها الرؤساء و الكبراء الذين يحترمهم رؤساء بنى قريظه. و قد اختار (صلى الله عليه و آله) أن يكونوا جميعا من الأنصار، و فيهم خصوص سعد بن معاذ، سيد الأوس، و سعد بن عباده سيد الخزرج، لكى يلمس اليهود وجود التفاهم و الانسجام الكامل، و العميق و الراسخ فيما بين هاتين القبيلتين، اللتين لهما تاريخ طويل من الصراع. ثم ليستمعوا من هذين الزعيمين، و خصوصا من سعد بن معاذ، ما يزيل لهم كل شبهه و يدفع أى لبس أو تشكيك فى حقيقه موقفهما.

مع ملاحظه: أن بين بنى قريظه و بين الأوس حلف و عهد، يلزمهم الوفاء به. ثم إن هذه البادره منه (صلى الله عليه و آله) ما هى إلا- تعبير لهم عن حسن النيه، و تدخل فى سياق تهيئه الأجواء لهم ليعودوا عن قرارهم الخياني، إذا كانوا يطمعون بوفاء سعد و قبيلته لهم، و هم الذين يفترض بهم أن يعيشوا معهم بعد رحيل الأحزاب، و عليهم أن يفكروا بأن لا يحرقوا السفن وراءهم، فإن ذلك سوف يحرمهم من السلامه فى نهايه المطاف.

طريقه الرمز فى نقل المعلومات الحساسه:

و قد طلب (صلى الله عليه و آله) من رسله إلى بنى قريظه: أن يستعملوا طريقه الرمز فى تأديه المعلومات إليه، إذا كانت تلك المعلومات ذات طابع خاص يميزها بالخطوره و الحساسيه، و كان للجهر بها أثر سلبي على المعنويات.

كما أن ذلك يفرض أن يكون الذين يتم اختيارهم لمهمات من هذا القبيل لديهم المؤهلات الكافية لاختيار أسلوب الرمز المناسب مع قدرتهم على تصنيف المعلومات نفسها وفقا للخطة التي ترسمها القيادة.

البشائر النبويه بالنصر:

و حين بلغ النبي (صلى الله عليه و آله) خبر نقض بنى قريظه للعهد، الذى من شأنه أن يهد العزائم، و يثير حاله من الهلع فى صفوف أهل الإسلام فإنه يعلن بالتكبير، الذى يؤذن بالغلبه و الفلاح و النجاح، ثم يبشرهم بالنصر الأكيد الساحق، و بالسيطره على العالم بأسره.

و لكنه (صلى الله عليه و آله) لم يذكر لهم مضمون البشاره إلا بعد أن اضطجع و تقنع بثوبه، و طال انتظارهم له، و اشتد عليهم البلاء و الخوف فجاءت البشاره لتبخر ذلك الخوف، و تكشف البلاء، و ليفهمهم أن كلامه هذا ليس لمجرد التطمين و رفع المعنويات.

حده سعد بن عباده:

و قد أشرنا فيما سبق: إلى أن وصفهم لسعد بن عباده بالحدده ليس له ما يبرره، و يبدو أن ذلك من تزييفات الحاقدين على سعد، لإقدامه على طلب الخلافه فى يوم السقيفه، و هو ذنب يصعب أن يغفره له الآخرون، و إن كان أبو بكر قد استطاع بما لديه من حنكه و دهاء أن يقلب الأمور رأسا على عقب، و يفوز هو بالأمر كما يعلمون.

كما أن سعدا هو والد قيس نصير عليّ و الحسن، و المجاهد بين أيديهما فى سبيل الله.

أسيد بن حضير:

وقد ذكر أسيد بن حضير فيما سبق كبديل عن بعض الشخصيات التي أرسلها النبي (صلى الله عليه وآله) لكشف خبر بنى قريظه ثم أعطوه دورا هاما جدا، وهو أنه قد أخبر بنى قريظه بتفاصيل ما سوف يجرى لهم، وقد تحقق ما قال حرفا فحرفا، و كأنه يقرؤه فى كتاب.

ونحن لا نصدق كل ذلك عن أسيد، الذى كان يحظى بعنايه خاصه من قبل بعض التيارات؛ لأنه كان قريب أبى بكر، و كان له دور هام فى توطيد أمر أبى بكر فى يوم السقيفه، و كان أحد المهاجمين لبيت فاطمه (عليها السلام) و كان للسلطه اهتمام ظاهر به، و سعى لتسطير الفضائل و الكرامات له، و منحه الأوسمه، بسبب و بلا سبب (١).

فضيله مكذوبه للزبير:

عن عبد الله بن الزبير، قال: كنت يوم الأحزاب، أنا و عمر بن أبى سلمه مع النساء فى أطم حسان، فنظرت، فإذا الزبير على فرسه يختلف إلى بنى قريظه مرتين أو ثلاثا، فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف!

قال: رأيتنى يا بنى؟!

قلت: نعم.

قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من يأت قريظه، فأتينى بخبرهم؟!ه.

فانطلقت، فلما رجعت جمع لى رسول الله (صلى الله عليه و آله) أبويه، فقال: (فداك أبى و أمى) (١).

و فى روايه أخرى: أن عمر بن الخطاب لما أخبر النبى (صلى الله عليه و آله) بنقض بنى قريظه للعهد، قال (صلى الله عليه و آله):
من نبعث يعلم لنا علمهم!؟

فقال عمر: الزبير بن العوام.

فكان أول من بعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) من الناس، الزبير بن العوام، فقال: اذهب إلى بنى قريظه، فذهب الزبير فنظر،
ثم رجع، فقال: يا رسول الله، رأيتهم يصلحون حصونهم، و يدربون طرقهم، و قد جمعوا ماشيتهم.

فذلك حين قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): إن لكل نبى حواريا و حوارى الزبير ابن عمى.ر.

١- المواهب اللدنيه ج ١ ص ١١٢ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٢١٧ و راجع ص ٣٢٧ و ٣٢٨ كلاهما عن الشيخين. و قال الترمذى:
حديث حسن و التاريخ الكبير للبخارى ج ٦ ص ١٣٩. و قول الزبير الأخير: موجود فى السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٥ و ١٠ و
كذا فى سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ لكنه لم يصرح ببني قريظه و حدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ عن الصحيحين، و ليس
فيهما تصريح ببني قريظه أيضا. و فيه: أنه لما قال له الزبير: أنا. قال: إن لكل نبى حوارى و إن حوارى الزبير، و راجع: صحيح
البخارى كتاب أصحاب النبى، باب مناقب الزبير.

ثم تذكر القصة إرسال السعدين إلى بنى قريظه (١).

و نقول:

إن هذه الروايه لا تصح، و ذلك للأمور التاليه:

أولاً: إنها تخالف سائر الروايات و تناقضها؛ لأنها مجمعه على أن السعدين هما اللذان جاءا بخبر نقض بنى قريظه للعهد.

و حاول البعض توجيه ذلك، و رفع التنافى فقال: (لا منافاه بين إرسال الزبير و إرسال هؤلاء، لاحتمال أنهم أرسلوا دفعه، أو بعد إرساله، و خص هؤلاء القوم بالإرسال لأنهم حلفاؤهم، فيحتمل أن يرجعوا إلى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم، فغلبت عليهم الشقوه) (٢).

و قال الحلبي: (و لعل هذا- أى إرسال السعدين و من معهما- كان بعد إرسال الزبير إليهم ليأتى بخبرهم، هل نقضوا العهد استنباتا للأمر) (٣).

و نقول:

إن احتمال إرسال الزبير بعد تلك الجماعه ليس له ما يبرره، إذ إن إخبار هؤلاء الكبار كان يكفى فى ثبوت هذا الأمر لديه (صلى الله عليه و آله).

و أما إرسال الزبير قبلهم، فهو أيضا فى غير محله، إذا كان (صلى الله عليه و آله) عازما من أول الأمر على إرسال تلك الجماعه، إذ إن إرساله لا يفيد شيئا فى حصول اليقين له (صلى الله عليه و آله)، أما مجرد الاحتمال فقد ٧.

١- المغازى للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧.

٢- السيره النبويه لدحلان ج ٢ ص ٥.

٣- السيره الحلبيه ج ٢ ص ٣١٧.

حصل بإخبار عمر له أولا حسبما تقدم.

ثانيا: أضف إلى ما تقدم: أننا لم نفهم السر في أن الزبير حين أرسله النبي (صلى الله عليه و آله) ليأتيه بخبرهم، قد تردد إليهم مرتين أو ثلاثا، ألم تكن المره الأولى كافيه لوقوفه على حقيقه أمرهم؟! و لماذا التردد بين المرتين و الثلاث، فهل نسي ولده عبد الله عدد المرات التي رصدها و سأل أباه عنها؟!!

ثالثا: إننا لم نعرف وجه تسميه الأطم ب (أطم حسان)، مع أن النساء كن في أطم بنى حارثه، إلا أن يكون قد أراد الإشارة إلى أن جبن حسان قد تجلى في هذا الأطم بالذات، ثم اشتهر به بسبب ذلك، و لكن ذلك - على كل حال - يحتاج إلى إثبات.

رابعا: قال ابن عبد البر: (ثبت عن الزبير أنه قال: جمع لى رسول الله (صلى الله عليه و آله) أبويه مرتين: يوم أحد، و يوم بنى قريظه، فقال: (ارم فداك أبى و أمى).

فقال: و لعل ذلك كان فى أحد: (إن لكل نبى حواريا، و إن حوارى الزبير الخ ..) (١).

خامسا: إن ابن الزبير كان يوم الخندق طفلا صغيرا، لا يعقل مثل هذه الأمور، فلا يصح أن يسأل أباه هذا السؤال، ثم يجيبه أبوه بذلك الجواب الذى لا يدرك مغزاه إلا ذو الحجى، و لا يخاطب به طفلا صغيرا، عمره على أبعد الأقوال أربع سنوات، أو سنتان و نصف سنه - كما هو قول الأكثر - ٧.

فضلا عن القول الذى يذكر: أنه ولد فى أحد، أو فى الخندق بالذات، و لتوضيح ذلك نقول:

رغم أنهم يقولون: إن ابن الزبير كان أول مولود فى الإسلام من المهاجرين (١)، مع وضوح خطأ الرازى فى قوله: إنه أول مولود ولد فى الإسلام (٢) - رغم ذلك - فإنهم قد اختلفوا فى تاريخ ولادته، على النحو التالى:

١- فريق يقول: إن أسماء حملت بعبد الله فى مكة، و خرجت مهاجرة إلى المدينة، فلما دخلت المدينة نزلت قباء، فولدته بقاء (٣).

٢- و بعضهم أطلق القول فى ولادته، فقال: ولد عام الهجرة، أو ما ٧.

١- السيره النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٢٣١ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٢ ص ٣٠١ و ٣٠٢ و تهذيب الأسماع ج ١ ص ٢٦٦ و سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٣ و ٣٦٥ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٤٨ و تلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) و تاريخ الصحابه ص ١٥٠ و تهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٩ و راجع: أسد الغابه ج ٣ ص ١٦١ و مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٧٠ و ١٧١ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٣٠ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٨٩ و ٨٠ و التبيين فى أنساب القريشيين ص ٢٥٧ و تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٣ و الإصابه ج ٢ ص ٣٠٩ و ٣١٠.

٢- الجرح و التعديل ج ٥ ص ٥٦ و خلاصه تذهيب تهذيب الكمال ص ١٩٧.

٣- تاريخ الصحابه لابن حبان ص ١٥٠ و الإستيعاب (بهامش الإصابه) ج ٣ ص ٣٠١ و السيره النبويه لابن كثير ج ٣ ص ٢٣١ و التاريخ الكبير ج ٥ ص ٦ و حليه الأولياء ج ١ ص ٣٣٣ و مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٧١ و التبيين فى أنساب القريشيين ص ٢٥٧ و السيره الحلبيه ج ٢ ص ٧٩ و الثقات ج ٣ ص ٢١٢ و الجمع بين رجال الصحيحين ج ١ ص ٢٤٠ و نسب قريش لمصعب ص ٢٣٧.

يقرب من هذه العبارة، و بعضهم ذكر ذلك بلفظ قيل (١).

٣- و نجد الآخرين يقولون: إنه ولد في شوال السنه الثانيه للهجره النبويه الشريفه (٢).

و القائلون بهذا القول هم الأكثر (٣).

لكن عباره عدد منهم هكذا: هاجرت به أمه و هى حامل، فولد بعد الهجره بعشرين شهرا (٤).

١- راجع: البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٣٠ و وفيات الأعيان ج ٣ ص ٧١ و مستدرک الحاكم و تلخيصه للذهبي ج ٣ ص ٥٤٨ و الإصابه ج ٢ ص ٣٠٩، و راجع: سيره أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٣ و أسد الغابه ج ٣ ص ١٦٣ و تهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٩ و تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٣ و تهذيب الأسماء ج ١ ص ١٦٦ و أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٧٥.

٢- الإستيعاب بهامش الإصابه ج ٣ ص ٥٥١ و الإصابه ج ٢ ص ٣٠٩ عن الواقدي و من تبعه، و سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٣ و خلاصه تذهيب تهذيب الكمال ص ١٩٧ و تهذيب الأسماء ج ٢ ص ٢٦٦ و المحبر ص ٢٧٥ و ٢٧٦ و راجع: السير النبويه لابن كثير ج ٢ ص ٢٣١ و أسد الغابه ج ٣ ص ١٦١ و مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٧١ عن الزبير بن بكار و السير الحلبيه ج ٢ ص ٨٠ عن الواحدى و غيره.

٣- تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٤ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٣ ص ٥٥١.

٤- راجع: الإستيعاب (بهامش الإصابه) ج ٢ ص ٣٠١ و تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٣ و راجع: أسد الغابه ج ٣ ص ١٦١ و تهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٩ و البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٣٠ و المحبر ص ٢٧٥ و ٢٧٦ و الجمع بين رجال الصحيحين لابن العسقلانى ج ١ ص ٢٤٠.

قال العسقلاني: (لا يتجه إلا بتقدير أن يكون قد أقام في بطنها نحو ستين، و لم أر من صرح بذلك) (١).

و لعل هذا هو السبب في أنه قد استظهر أن يكون القول بولادته في أول سنّي الهجره أقرب إلى الصحه، و إن كان الأكثر على خلافه (٢).

٤- و يؤيد القول بأنه قد ولد بعد الهجره بعشرين شهرا، و أنه قد ولد في السنه الثانيه قولهم: إنه قتل في السنه الثلاث و سبعين، و له اثنتان و سبعون سنه (٣).

٥- إنهم يقولون: إن النعمان بن بشير ولد قبل ابن الزبير بسته أشهر، على رأس أربعه عشر شهرا من الهجره (٤).

و قال الذهبي: ولد سنه اثنتين (٥).

و قالوا أيضا: إن النعمان هذا قد ولد قبل وفاه النبي (صلى الله عليه ٨).

١- تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٣ و ٢١٤ و راجع: السيره الحليه ج ٢ ص ٨٠.

٢- تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢١٤.

٣- الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٢ ص ٣٠٣ و مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٩٨ و ج ٢٤ ص ١٩٠ و وفيات الأعيان ج ٣ ص ٧٤ و الجمع بين رجال الصحيحين ج ١ ص ٢٤٠ و الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٩ و طبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج ٥ ص ٤٣.

٤- البدايه و النهايه ج ٣ ص ٢٣٠ و الإصابه ج ٣ ص ٥٥٩ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٣ ص ١٥١ و تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٤٨ و ٤٤٧ و المحبر ص ٢٧٦ و تهذيب الأسماع ج ٢ ص ١٢٩.

٥- سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤١١ و تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٤٨.

و آله) بثمان سنين و سبعة أشهر.

وقيل: ست سنين. و الأول أصح.

و قال ابن الزبير: النعمان أكبر منى بستة أشهر. و هو أول مولود للأنصار بعد الهجرة (١). و ذلك يعنى أن ابن الزبير قد ولد فى السنه الثالثه.

٦- إنهم يقولون: إن ابن الزبير يكبر مروان بن الحكم بأربعة أشهر (٢).

و مروان ولد فى الثالثه يوم أحد كما عن مالك، أو فى الرابعه، أو يوم الخندق- كما عن ابن عبد البر- أو فى الثانيه. فراجع ترجمه مروان فى كتب السير و التراجم (٣) ..

٧- و يقولون أيضا: كان لابن الزبير حين موت النبى (صلى الله عليه و آله) ثمانيه سنين و أربعة أشهر (٤).

و لعل قول ابن إسحاق: كان له تسع سنين (٥)، لا ينافى ذلك؛ إذا كان قد ٤.

١- أسد الغابه ج ٥ ص ٢٢.

٢- سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٧٦.

٣- راجع على سبيل المثال: الإصابه ج ٣ ص ٤٧٧ و ٤٧٨ و تهذيب الأسماء ج ٢ ص ٨٧ و أسد الغابه ج ٤ ص ٣٤٨ و تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٩١ و ٩٢ و الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٣ ص ٤٢٥ و البدايه و النهايه، و تاريخ الأمم و الملوك (ط دار المعارف) ج ٥ ص ٦١١ و طبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج ٥ ص ٣٦ و فى مختصر تاريخ دمشق ج ٢٤ ص ١٨٤ و

١٧٩: أن عمر مروان حين موت النبى كان ثمانيه سنين. و راجع: الكامل فى التاريخ ج ٤ ص ١٩٢

٤- راجع: تهذيب الكمال ج ١٤ ص ٥٠٩ و سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٤ و مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ١٧١.

٥- الإصابه ج ٢ ص ٣٠١ و تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٥١٤.

قال ذلك على سبيل التقريب، لا التحديد ..

٨- قال العسقلاني عن عمر بن أبي سلمه: (ولد بالحبشه فى السنه الثانيه. وقيل: قبل ذلك. وقبل الهجره إلى المدينه.

و يدل عليه قول عبد الله بن الزبير: كان أكبر منى بسنتين الخ ..) (١).

و جزم ابن عبد البر بأنه ولد فى الثانيه، و عند الذهبى: ولد فى أواخرها (٢).

٩- و أخيرا: فقد روى البخارى عن عروه: أن الزبير أركب ولده عبد الله يوم اليرموك فرسا و هو ابن عشر، و وكل به رجلا (٣).

و قد كانت وقعه اليرموك سنه ١٣ هـ أو ١٥ هـ. و عليه الجمهور (٤). و يدل عليه كتاب الصلح الذى كتبه خالد للنصارى حينما أراد النهوض إلى اليرموك، و قد أرخه بسنه خمس عشره (٥). فتكون ولاده ابن الزبير فى السنه الثالثه أو الخامسه، و هو ما أيدته بعض الشواهد المتقدمه، خصوصا قولهم ١.

١- الإصابه ج ٢ ص ٥١٨ و تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٥٦.

٢- الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابه) ج ٢ ص ٤٧٥ و راجع: الثقات ج ٣ ص ٢٦٣ و الجمع بين رجال الصحيحين ج ١ ص ٣٣٩ و المحبر ص ٢٩٣ و راجع: تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٥٦ و تهذيب الأسماء ج ٢ ص ١٦

٣- صحيح البخارى ج ٣ كتاب المغازى، باب قتل أبى جهل، و سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٥.

٤- عمده القارى ج ١٧ ص ٩٠ و ذكر هذا التاريخ فى مصادر كثيره، فراجع على سبيل المثال: تاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٩١ و إرشاد السارى ج ٦ ص ٢٥٢ و فتح البارى ج ٧ ص ٢٣٣.

٥- فتوح البلدان ص ١٣٠ و البدايه و النهايه ج ٧ ص ٢١.

فى ولاده مروان. و قد اعتذر العسقلانى و غيره عن قصه اليرموك هذه: بأنها قد جاءت على سبيل إلغاء الكسر (١).

و لكنه اعتذار واه، لأن إلغاء خمس أو ثلاث سنوات، من أصل خمس عشرة سنه، بعيد و مستهجن، خصوصا إذا كان فى مقام التحديد، من أجل إظهار فضيله و خصوصيه خاصه للزبير، و لو سلمنا، فإنما يقبل هذا الاعتذار بعد ثبوت كون سن عبد الله هو عشر سنين، و هو لم يثبت.

بل الظاهر: خلافه كما قلنا.

من الذى شاتم بنى قريظه!؟

و قد ذكرت إحدى الروايات السابقه: أن ابن إسحاق و بعضا آخر يقولون:

إن سعد بن عباد هو الذى شاتم بنى قريظه، و كان رجلا فيه حده، و نقول:

١- قد روى عن ابن إسحاق ما يخالف ذلك، و أن الذى شاتمهم هو ابن معاذ.

٢- إن قول أسيد بن حضير لكعب بن أسد: أتسب سيدك يا عدو الله، يشير إلى: أن الذى شاتمهم هو ابن معاذ، لأنه هو الذى كان بينه و بينهم حلف، و يحسن وصفه بأنه سيدهم. أما ابن عباد فحاله معهم حال سائر الناس.

إلا أن يقال: إن مراده بالسيد هو رسول الله (صلى الله عليه و آله) نفسه.

أو أن يقال: إنه إنما قال ذلك لإظهار عظمه ابن عباد و امتيازهم عليهم، ٣.

١- فتح البارى ج ٧ ص ٢٣٣ و عمدته القارى ج ١٧ ص ٩١ و إرشاد السارى ج ٦ ص ٢٥٣.

بالإسلام، و بأنه رئيس قومه. و الذى نستقر به هو: أن المشاتمه قد حصلت لكلا الرجلين، فابن معاذ شتم من قبل كعب بن أسد، و ابن عباده شتم من قبل شاس (نباش) بن قيس حسبما تقدم، ثم قال أحدهما للآخر: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا و بينهم أربى من المشاتمه.

عمر عرف بأمر بنى قريظه:

و يذكر النص التاريخى: أنه لما نقض بنو قريظه العهد (بلغ عمر بن الخطاب نقض بنى قريظه العهد، فأعلم رسول الله (صلى الله عليه و آله) بخبرهم) (١).

و نقول:

إن لم تكن هذه القضية كاذبه، فإننا لا ندرى ما السبب فى أن ذلك بلغ خصوص عمر بن الخطاب دون النبى (صلى الله عليه و آله)، و دون كل المسلمين الآخرين؟ فهل كان لعمر جواسيس لدى بنى قريظه يخبرونه بكل مواقفهم و تحركاتهم؟ أم أنه علم ذلك من جهه المشركين؟

إننا نعترف بالعجز عن إدراك الحقيقه، و ليس فى النصوص التى بين أيدينا ما يكشف لنا عن هذا الأمر..

و لا نريد أن نذكر القارئ بما ذكرناه فى غزوه أحد، و بما سأتى فى هذه الغزوه من أن رموز الشرك، كخالد بن الوليد، و ضرار بن الخطاب كانوا يتحاشون إيصال الأذى إلى عمر بن الخطاب، و لا ندرى سر و سبب ذلك، ت.

١- راجع: سبل الهدى و الرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ و بقيه المصادر تقدمت تحت عنوان: لا بد من التثبت.

لا سيما و أنهم يصرحون له بأنهم يتخذون ذلك يدا لهم عنده.

هذا بالإضافة: إلى قضايا أخرى لا مجال للتذكير بها الآن، رغم أن أهل الشرك إلى أن انقضت غزوه الخندق، كانوا يعتقدون أن بالإمكان اقتلاع الإسلام و استئصاله من جذوره، و كانوا يهتمون بقتل كل من تصل إليه أيديهم، و لا سيما من بنى هاشم، كحمزه و عبيده بن الحارث، و عليّ (عليه السلام) و غيرهم. فلماذا يريدون قتل هؤلاء، و لا يريدون قتل غيرهم من رجالات الإسلام؟

أحلاف عباده بن الصامت:

و يذكر البعض: (أنه لما خرج النبي (صلى الله عليه و آله) يوم الأحزاب قال عباده بن الصامت: يا رسول الله، إن معي خمس مئة رجل من اليهود، و قد رأيت أن يخرجوا معي، فأستظهر بهم على العدو ..

فأنزل الله تعالى: لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١) (٢).

و نقول:

إن هذا الكلام لا يصح.

أولاً: لأن ظاهر الآية يأبى الانطباق على واقعه من هذا القبيل فإنها تزجر عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، و لم يكن عباده يريد أن ٧.

١- الآية ٢٨ من آل عمران.

٢- الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٥٨ و تفسير الخازن ج ١ ص ٢٢٧.

يتخذهم أولياء من دون المؤمنين، بل هو يريد أن يشركهم في الدفاع عن أهل الإيمان، جبا منه بسلامه المؤمنين. فهذا التحذير القوي، واستثناء حاله مصانعتهم تقيه، والتنصيص على أنه يواليهم من دون أهل الإيمان يبعد القضييه عن أن تكون في شأن عباده.

ثانيا: من أين يأتي عباده بخمس مئة يهودى ليقاتلوا معه؟ فقد أجلى بنو قينقاع و بنو النضير عن ديارهم، و لم يكونوا ليدافعوا عن الإسلام، بل كانوا هم المحرضين للأحزاب على حرب النبي (صلى الله عليه و آله) و المسلمين.

و بنو قريظه قد نقضوا العهد، و أصبحوا مع الأحزاب.

عريش جديد لأبى بكر:

و يستفاد من كلام الواقدى: أنه قد كان ثمة ما يشبه العريش - عريش بدر - لأبى بكر فيذكر: أن أبا بكر كان مع النبي (صلى الله عليه و آله) (في قبه من آدم مضروبه في أصل الجبل، عند المسجد الذى فى أسفل، معه أبو بكر، و المسلمون على خندقهم يتناوبون) (١).

فجاء عمر إلى النبي (صلى الله عليه و آله) و أخبره بنقض بنى قريظه للعهد.

لكن قد تقدم: أن ذلك لا يصح، أو على الأقل يشك كثيرا فى صحته.

و قد تحدثنا فى غزوه بدر عن عدم صحه قصه العريش المزعوم لأبى بكر و النبي (صلى الله عليه و آله) فراجع ما ذكرناه هناك .٧..

و لسنا ندرى لماذا ترك أبو بكر الناس يتناوبون على خندقهم؟

أليس هو خندقه أيضا؟

و لماذا استثناه رسول الله (صلى الله عليه و آله) ليكون معه دون كل من عداه؟!

و كيف لم يعترض على ذلك أى من الناس الذين كانوا يقومون بواجباتهم فى الحفظ و الحراسه و كان النبى (صلى الله عليه و آله) نفسه يفعل ذلك أيضا؟!

ص: ٣٤٠

الفهارس

اشاره

١- الفهرس الإجمالي ٢- الفهرس التفصيلي

١- الفهرس الإجمالي

الفصل الثاني: حدث و تشريع ٣٤-٥

الفصل الثالث: عطات و كرامات أو سياسات إلهيه ٧٤-٣٥

الفصل الرابع: بدر الموعد ١٢٨-٧٥

القسم السابع: من الخندق إلى الحديبيه الباب الأول: التحضيرات لغزوه الخندق

الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينه ١٣٣-١٨٦

الفصل الثاني: الخندق فى خطه الحرب و الدفاع ٢١٤-١٨٧

الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات ٢٥٠-٢١٥

الفصل الرابع: كرامات فى نطاق السياسه الإلهيه ٢٨٠-٢٥١

الفصل الخامس: جيش المسلمين و جيش المشركين فى المواجهه ٣٠٨-٢٨١

الفصل السادس: غدر بنى قريظه ٣٣٨-٣٠٩

الفهارس ٣٥٢-٣٣٩

٢- الفهرس التفصلى

الفصل الثانى: حدث و تشرىع ماذا فى هذا الفصل!؟ ٧

صلاه الخوف: ٨

الروايه الأقرب إلى القبول: ١٢

كيفية صلاه الخوف: ١٤

صلاه الخوف فى غزوه الخندق: ١٤

صلاه الخوف لماذا؟! : ١٥

قصر الصلاه: ١٨

تارىخ قصر الصلاه: ١٨

القصر فى حالتى الأمن و الخوف: ٢٠

إتمام عثمان للصلاه فى منى و عرفات: ٢٣

الصامدون و المترلفون: ٢٤

معاويه و الأمويون، و سنه عثمان: ٢٥

أعذار لا تصح: ٢٦

التقصير رخصه أم عزيمه: ٣٢

نزول آيه التيمم: ٣٣

الفصل الثالث: عطات و كرامات أو سياسات إلهيه ماذا فى هذا الفصل!؟ ٣٧

جمل جابر: ٣٩

اختلافات الروايه فى مقدار ثمن الجمل: ٤٣

الزياده المباركه: ٤٥

تاريخ قصه جمل جابر: ٤٥

القيمه الحقيقيه لهذا الحدث: ٤٦

كرامه و تكريم: ٤٩

مع الحدث فى دلالاته و خصوصياته: ٥١

رحمه الله بعباده: ٥٣

النبي صلى الله عليه و آله يعالج ابن الأعرابيه: ٥٤

كرامه أخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله: ٥٦

جمل يستعدى على صاحبه: ٥٧

معرفة النبي صلى الله عليه و آله بلغات البشر، و الحيوان و الجماد، و الشجر: ٥٨

سؤالان يحتاجان إلى جواب: ٦٠

الإجاباه و التوضيح: ٦١

تسخير المخلوقات للإنسان فى الآيات القرآنيه: ٦٤

الشعور و الإدراك لدى المخلوقات: ٦٥

نماذج حيه من تسخير الموجودات العاقله: ٦٧

قصه سليمان و داود نموذج فذ: ٦٨

ص: ٣٤٥

مع آيات سورة النمل: ٧٠

إعاده توضيح و بيان: ٧١

النقاط على الحروف: ٧٢

الفصل الرابع: بدر الموعد بدايه الحديث عن بدر الموعد: ٧٧ الصحيح من السيره النبى الأعظم، مرتضى العاملى ج ١٠ ٣٤٥ ٢ -
الفهرس التفصيلى ص : ٣٤٣ النص التاريخى لبدر الصغرى: ٨٠

آيات سورة آل عمران: ٨٦

مواقف لا بد من التأكد من صحتها: ٨٨

الأفراح و الأتراح: ٩٠

المجتمع المفتوح: ٩٣

استخلاف ابن أبى على المدينه: ٩٥

قوه الإسلام: ٩٥

لا بد من الندم: ٩٩

الانتظار ثمانيه أيام: ١٠١

الإتجار فى بدر الموعد: ١٠٢

غزوه دومه الجندل: ١٠٤

تاريخ هذه الغزوه: ١٠٥

هذه الغزوه: ١٠٦

مده غيبته صلى الله عليه و آله عن المدينه: ١٠٩

رجوع النبى صلى الله عليه و آله قبل بلوغ دومه!! ١٠٩

التوجيه الأقرب: ١١٠

دومه الجندل حقيقه أم خيال؟! ١١٤

ذكريات أبي موسى الأشعري في دومه الجندل: ١١٦

موادعه عينه بن حصن الغادر: ١١٧

حكومه القيم، أم حكومه المشاعر؟! ١١٨

القسم السابع: من الخندق إلى الحديبيه آيات حول غزوه الخندق: ١٢٣

تقديم: ١٢٥

موجز عن غزوه الخندق: ١٢٦

الباب الأول: التحضيرات لغزوه الخندق الفصل الأول: الأحزاب إلى المدينه تمهيد و بيان: ١٣٥

تحزيب الأحزاب في روايات المؤرخين: ١٣٨

تجمع القوى: ١٤٣

الأحزاب إلى المدينه: ١٤٥

مناقشات و إيضاحات: ١٤٦

تاريخ غزوه الخندق: ١٤٧

غزوه الخندق في زمن الحصاد: ١٥٦

هل أخطأ التقويم التطبيقي؟! ١٥٧

مشاركه الحارث بن عوف في الخندق: ١٥٨

أبو رافع قتل بعد أحد: ١٥٩

هل كان أبو الأعور فى الخندق؟! : ١٦٠

توثيق أبى الأعور!! : ١٦٢

آيه سوره النساء متى و فيمن نزلت: ١٦٥

توضيح و تصحيح: ١٦٧

تحريض اليهود: ١٦٨

الداء الدوى: ١٧٠

أهداف الحرب: ١٧٢

الأحقاد هى المحرك: ١٧٣

يريدون ليطفئوا نور الله سبحانه: ١٧٤

الإيمان و الموثيق لا تجدى: ١٧٦

تمر خير: ١٧٩

تأثير المال فى تحزيب الأحزاب: ١٨٠

الإرهاب الفكرى و الخداع للسذج: ١٨١

الحارث بن عوف ينصح قومه: ١٨٢

عقده بدر الموعد: ١٨٣

عيينه بن حصن و المعانى الإنسانية: ١٨٣

شكك المشركين: ١٨٥

الفصل الثانى: الخندق فى خطه الحرب و الدفاع المفاجأه: ١٨٩

المشوره، و التخطيط: ١٩٢

من أخبر النبي صلى الله عليه وآله بمسير الأحزاب؟! ١٩٤

من المشير بحفر الخندق؟! ١٩٥

وعى سلمان: ١٩٧

لو كان الخندق بإشاره سلمان: ١٩٨

طريقه استشارته صلى الله عليه و آله أصحابه: ٢٠٠

الخندق فى إيجابياته الظاهره: ٢٠١

بين الأصاله و التجديد: ٢٠٣

أين كان الخندق و ما هى مواصفاته؟! ٢٠٤

١- موضع الخندق: ٢٠٥

٢- جعل الأبواب للخندق: ٢٠٦

٣- خصوصيات و مواصفات أخرى: ٢٠٧

الموقع الجغرافى للخندق: ٢٠٨

تشبيك المدينه بالبنيان: ٢١٠

مده حفر الخندق: ٢١١

زام المبادره بيد من؟! ٢١٣

الفصل الثالث: حفر الخندق: أحداث و دلالات شذائذ و متاعب: ٢١٧

حفر الخندق فى روايات المؤرخين: ٢١٨

المساحى و المكاتل: ٢١٩

تقسيم العمل فى الخندق: ٢١٩

النبي صلى الله عليه و آله يشارك فى حفر الخندق: ٢٢١

على عليه السلام و شيعته أعظم الناس عناء: ٢٢٤

ص: ٣٤٩

و ثمه تفاصيل أخرى: ٢٢٤

عمل المنافقين فى الخندق: ٢٢٧

١- توزيع المهام على العاملين: ٢٢٨

٢- النبى صلى الله عليه و آله و الشعر: ٢٣٠

٣- دور عضل و القاره: ٢٣٢

٤- الأمثوله المواساه: ٢٣٣

٥- المتحذلقون الأغبياء: ٢٣٣

٦- لا عيش إلا عيش الآخره: ٢٣٤

٧- الحماسه و المثابره: ٢٣٤

٨- الأسوه الحسنه: ٢٣٤

منع حسان و كعب بن مالك من الشعر: ٢٣٧

الكلمه المسؤوله القرار الحاسم: ٢٣٨

زيد بن ثابت: ٢٤٠

سلمان منا أهل البيت: ٢٤١

الصحيح فى القضيه: ٢٤٥

تقتلك الفئه الباغيه: ٢٤٦

الفصل الرابع: كرامات فى نطاق السياسه الإلهيه مما سبق: ٢٥٣

الكرامات و المعجزات فى الخندق: ٢٥٣

نبوءه صادقته للنبي صلى الله عليه و آله: ٢٥٥

كرامه اخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله: ٢٥٦

ص: ٣٥٠

قصور الروم و فارس: ٢٥٧

نص آخر يخالف ما سبق: ٢٦١

القيادة الحازمه، و الإنضباط أساس النجاح: ٢٦٣

مدائن كسرى و قصور الروم و صنعاء: ٢٦٥

الأمل بالنصر: ٢٦٦

كرم و كرامه: ٢٦٧

قضيه أخرى فيها كرامه لرسول الله صلى الله عليه و آله: ٢٧٠

كرامه أخرى للنبي صلى الله عليه و آله: ٢٧١

يطعم الجيش كله حفنه من تمر: ٢٧١

كرامه أخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله: ٢٧٢

بين نظرتين: ٢٧٢

التزوير الرخيص: ٢٧٤

الجهد، و الضعف و الجوع: ٢٧٥

الأولى: النبي صلى الله عليه و آله و صوم الوصال: ٢٧٦

الثانيه: العزم و الثبات: ٢٧٧

الثالثه: الخصاصه و الجوع: ٢٧٨

الفصل الخامس: جيش المسلمين و جيش المشركين فى المواجهه الإعداد و الإستعداد: ٢٨٣

مقر القيادة: ٢٨٥

عرض النبي صلى الله عليه و آله الخارجين إلى الحرب: ٢٨٦

ص: ٣٥١

الحرس على أبواب الخندق: ٢٨٧

تركيبه الحرس مثار تساؤل: ٢٨٨

الذراري و النساء فى الآطام: ٢٨٩

عقد الألويه للحرب: ٢٩١

شعار الحرب: ٢٩٣

عده و عدد المسلمين: ٢٩٦

عدد المشركين: ٣٠٠

عده جيش الشرك: ٣٠٢

معنويات جيش الشرك: ٣٠٤

جيش أهل الإيمان: ٣٠٥

الغطرسه القرشيه: ٣٠٦

رساله تهديد من أبى سفيان: ٣٠٧

الفصل السادس: غدر بنى قريظه بنو قريظه ينقضون العهد: ٣١١

لا بد من التثبت: ٣١٥

التزعه العنصرية لدى اليهود: ٣١٩

وفاء اليهود: ٣٢٠

طريقه حبي للتأثير على كعب بن أسد: ٣٢٠

دوافع نقض العهد: ٣٢١

جهام بلا ماء: ٣٢١

عده مبعوثين لمهمه واحده: ٣٢٢

طريقه الرمزيه في نقل المعلومات الحساسه: ٣٢٣

البشائر النبويه بالنصر: ٣٢٤

حده سعد بن عباده: ٣٢٤

أسيد بن حضير: ٣٢٥

فضيله مكذوبه للزبير: ٣٢٥

من الذي شاتم بني قريظه؟! ٣٣٤

عمر عرف بأمر بني قريظه: ٣٣٥

أحلاف عباده بن الصامت: ٣٣٦

عريش جديد لأبي بكر: ٣٣٧

الفهارس:

١- الفهرس الإجمالي ٣٤١

٢- الفهرس التفصيلي ٣٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان

الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

